العرب (الثقافي)

هنا غرست الآلهة البردي والقصب

رحلة مع المصور كريم إبراهيم في جنة الأهوار

مايكل روتنبرغ: كيف تكون شاعراً وتدير ظهرك للبشر

أبوبكر العيادي: ثرثرة على نهر السين

أمير العمري: السينما الصينية تنهض

محمد حياوي: نوبل 2016.. الانحراف يساراً

شربل داغر: هل كان لنابليون ابنة مصرية

عواد علي: مسرح تونسي في القاهرة

ص 11 إلى 16

وجوه

ص8

علي أبو الريش

إماراتي يبحر بعيدا في فضاء الكتابة

ص7

أهل الموصل

بين رحى تحريرين 1959 - 2016

ص9

جان بيير فيليو

الغزو الأميركي للعراق أيقظ شياطين الحقد

ص10

محجوب بن بله

جزائري تمرد على الحروفية ليدحرها بإيقاعاته

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/10/23 الموافق لـ 22 المحرم 1438

السنة 39 العدد 10433

Sunday 23/10/2016

39th Year, Issue 10433

العرب

alarab.co.uk

إخوان اليمن يقودون حملة لدعم باسندوة بديلا لهادي

● حزب الإصلاح يظهر الود للسعودية، ويربط علاقات مع الحوثيين لتثبيت وضعه بعد الحرب

❑ **صنعاء** – يعمل إخوان اليمن على إعادة رئيس الوزراء اليمني الأسبق محمد سالم باسندوة إلى الواجهة عبر حملة على مواقع التواصل الاجتماعي، في خطوة تعكس رغبة الجماعة في إحلاله بديلا للرئيس اليمني عبدربه منصور هادي في حال جدد المجتمع الدولي ضغوطه باتجاه تنحّي الرئيس عبدربه منصور لصالح رئيس توافقي.

وأطلق ناشطون مقربون من حزب التجمع اليمني للإصلاح (الإخواني)، حملة على مواقع التواصل الاجتماعي حملت عنوان "الشعب يعتذر لباسندوة"، في وقت تتزايد فيه الضغوطات على الحكومة اليمنية والانقلابيين للعودة إلى المسار السياسي.

واستغرب مراقبون يمنيون من توقيت الحملة التي قالوا إنها تستهدف تسليط الأضواء على باسندوة، الذي تولّى رئاسة حكومة الوفاق اليمنية في العام 2011 بعد تنحّي الرئيس السابق علي عبدالله صالح عن السلطة، إثر الاحتجاجات الشعبية وعقب التوقيع على المبادرة الخليجية.

وكشفت مصادر سياسية لـ"العرب" عن تمويل حملة إعادة باسندوة لدائرة الضوء من قبل الشيخ القبلي ورجل الأعمال الإخواني المقيم في تركيا حميد الأحمر والذي تربطه علاقة وصفت بالقوية بباسندوة، وصلت إلى درجة اتهام رئيس الوزراء الأسبق بتعيين الكثير من المقربين من الأحمر إبّان توليه السلطة من ديسمبر 2011 حتى سبتمبر 2014 عندما غادر بعد اجتياح ميليشيات الحوثيين للعاصمة صنعاء.

وقالت مصادر مطلعة لـ"العرب" إن الحملة النشطة التي تعمل على تحسين صورة باسندوة، تأتي في الوقت الذي عاد فيه الحديث خلف كواليس الحوار اليمني الذي يرعاه المجتمع الدولي عن إحياء مبادرة سلام تتضمن التوافق على مؤسستي الرئاسة والحكومة، وهو الأمر الذي مازالت الحكومة الشرعية ترفضه حتى الآن.

وكان البحث عن التغيير في مؤسستي الرئاسة والحكومة السبب في الإطاحة بنائب الرئيس اليمني ورئيس الوزراء السابق خالد بحاح الذي ترددت أنباء أثناء مشاورات السلام اليمنية في جنيف عن تقديمه كمرشح لمنصب الرئيس التوافقي في أيّ تسوية قادمة، وهو ما حظي حينها بموافقة الحوثيين والرئيس السابق في ذلك الوقت.

تشابك الأجندات يضعف الأمل في حل قريب

ويشير محللون سياسيون يمنيون إلى أن باسندوة قد يحظى بقبول مماثل من قبل الحوثيين والرئيس السابق والذين أشادوا به لعدم إعلانه عن دعم "عاصفة الحزم" و"التحالف العربي لدعم الشرعية" ولزومه الصمت.

وأكدت مصادر "العرب" أن رئيس الوزراء اليمني الأسبق يحظى بدعم هائل من قبل التيار القويّ في حزب الإصلاح "الإخوان" الذي يرأسه حميد الأحمر والذي يقف بقوة خلف دفعه للواجهة مجددا للقيام بدور كبير في المرحلة المقبلة.

وقال المحللون إن رغبة الإخوان في عودة باسندوة تكشف عن لعبهم على حبال متعددة، فهم يسعون لإظهار دعمهم لدور السعودية ودول التحالف العربي، ويرشحون أنفسهم لاستثمار نتائج التغييرات التي يمكن أن يحدثها التدخل العربي. لكنهم بالتوازي يحتفظون بعلاقات مع الحوثيين ويسعون لإظهار قدرتهم على التحالف معهم برغم حجم الاستهداف الذي طال قياداتهم ومؤسساتهم في فترة سيطرة جماعة أنصار الله (الحوثية) على مختلف المحافظات.

وشهدت فترة رئاسة محمد باسندوة للحكومة اليمنية توترا غير مسبوق بينه وبين الرئيس عبدربه منصور هادي، بلغت ذروتها في العام 2014 عندما سعى الأخير لإقالته غير أنه جوبه برفض شديد من قبل حزب الإصلاح الذي كان يتمتع بقوة سياسية ونفوذ كبير في المؤسسات العسكرية والأمنية.

وتميزت فترة تولي باسندوة لرئاسة حكومة الوفاق بانهيار أمني واقتصادي وتصاعد لافت في أزمة الخدمات، جراء استهداف أبراج الطاقة وأنابيب النفط والتي اتهم الرئيس السابق في ذلك الوقت بتدبيرها.

ولم تكن سيطرة الإخوان، وحميد الأحمر، على حكومة باسندوة تخفى على العموم، حتى أن سفراء الولايات المتحدة ودول أوروبا عبّروا أكثر من مرة عن استيائهم من تدخلات الأحمر في مهام رئيس الوزراء الأسبق.

وسيطر الإخوان في فترة حكومة باسندوة على المواقع الحساسة في اليمن، وخاصة على الجمارك.

وكان عدد من وسائل الإعلام قد نشر وثائق تشير إلى فساد مرعب ينخر منظومة الجمارك وسيطرة لوبي خطير على المنافذ كان وراء دخول شحنات أسلحة تركية إلى اليمن.

ميدانيا، قال مسؤولون عسكريون السبت إن معارك ضارية اندلعت بين المتمردين اليمنيين والقوات الموالية للحكومة على طول الحدود مع السعودية رغم الهدنة.

وأضاف مصدر عسكري أن طائرات قوات التحالف العربي قصفت ما يشتبه بأنه منصات لإطلاق الصواريخ تابعة للمتمردين شرق صنعاء، وذلك بعد اعتراض صواريخ باتريوت لصاروخين أطلقهما المتمردون الخميس فوق مأرب.

وكان المبعوث الخاص للأمم المتحدة إسماعيل ولد الشيخ أحمد قال الجمعة إن وقف إطلاق النار "هش لكن يتم الالتزام به إلى حد كبير"، داعيا جميع الأطراف "إلى ضبط النفس، وتجنب المزيد من التصعيد، والالتزام الصارم بوقف إطلاق النار لمدة 72 ساعة".

وأضاف ولد الشيخ أحمد في بيان أنه يجري اتصالات مع الطرفين في محاولة لتمديد وقف إطلاق النار من أجل "إيجاد بيئة مواتية لسلام دائم" في اليمن.

من يصنع الإرهاب ويرعاه ويستثمره

سميرة رجب

ص6

في تناقض مع الحريري.. ريفي يرفض ترشيح عون

❑ **بيروت** – قال وزير العدل اللبناني المستقيل أشرف ريفي السبت إن وصول ميشال عون، رئيس التيار الوطني، الى رئاسة الجمهورية أمر مرفوض لأنه يعرض البلاد للمزيد من الانقسامات.

جاء هذا في كلمة لريفي أمام حشود اعتصمت أمام مكتبه في طرابلس احتجاجا على تبني سعد الحريري، زعيم تيار المستقبل، ترشيح عون لرئاسة الجمهورية.

وقال ريفي "إن وصول العماد ميشال عون إلى بعبدا أو أي مرشح للنفوذ الإيراني مرفوض، وسيعرض البلد للمزيد من الانقسامات وسيؤدي إلى اختطاف الدولة والمؤسسات وتجييرها لخدمة النفوذ الإيراني".

ويأتي هذا الموقف من ريفي المرشح لأن يكون منافسا للحريري، الذي اهتزت صورته لدى سنة لبنان، في وقت يسود فيه الغموض بشأن نتائج رهان الحريري على التوافق مع حزب الله وعون.

وبدا أن الحريري قد وقع ضحية غياب بدائله حين راهن على أن حزب الله سيدعم ترؤسه للحكومة بمجرد دعم الجنرال عون لرئاسة الجمهورية.

وقالت أوساط مقربة من الحريري أنه بدأ يشعر أن حزب الله تنكر له وأن إصرار نبيه بري رئيس مجلس النواب على معارضة "صفقته" مع عون ربما يكون جزءا من لعبة أكبر تتيح لحزب الله تمرير خيار عون للرئاسة وتعطيل ترؤس زعيم تيار المستقبل للحكومة.

واستغرب متابعون للشأن اللبناني موقف بري المعارض للاتفاق بين الحريري وعون، وهو الحليف الدائم لحزب الله، والذي لعب الوسيط بين الحزب ومختلف الفرقاء في أزمات مختلفة.

ولا يستبعد أن يكون الهدف من إفشال تلازم الخيارات (رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة)، تثبيت عون والبحث عن شخصية سنية أقرب لحزب الله لترشيحها لرئاسة الحكومة، وتمكين الحزب الشيعي من السيطرة على المعادلة السياسية كلها، وقطع الطريق أمام مساءلته عن سياسته في سوريا، أو عن قضية السلاح التي طرحت بشدة في سنوات ماضية.

ويتوقع المتابعون انتقال الأزمة السياسية إلى ما بعد انتخاب عون رئيسا للجمهورية في حال تم ذلك، مرجحين أن يجد الحريري صعوبات كثيرة لتشكيل حكومته إذا تم التوافق عليه.

بين «حزب الله» وميشال عون

خيرالله خيرالله

ص5

الفراغ الرئاسي وصراع الأجنحة يضعان الجزائر على طريق «الربيع العربي»

● استقالة أمين عام الحزب الحاكم لإنجاح المصالحة بين القصر وجهاز الاستخبارات

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – تتخوف الأوساط الرسمية الجزائرية من أن تكون البلاد في طريقها إلى "ربيع جزائري" بسبب الفراغ السياسي الذي أنتجته الحالة الصحية للرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فضلا عن صراع الأجنحة الذي خرج إلى العلن بشكل كامل.

وتتزامن هذه المخاوف مع تقارير أميركية تحدثت عن "ربيع عربي" قريب في الجزائر، وعن فوضى مرتقبة تضعها في مستوى ليبيا وسوريا واليمن والعراق.

وأثارت تقارير تساؤلات حول عودة الدفء إلى العلاقة بين قطبي السلطة، أي الرئاسة وجهاز الاستخبارات، بعد أشهر من التجاذب والتلاسن.

وتعززت الخطوة بإعلان الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني عمار سعداني، السبت، عن تقديم استقالته من منصبه، أمام أعضاء اللجنة المركزية المنعقدة في العاصمة، على أن يخلفه مؤقتا الوزير السابق جمال ولد عباس.

وقالت مصادر من الحزب الحاكم، إن القرار جاء امتثالا لأوامر فوقية صدرت عن الرئاسة، من أجل فسح المجال أمام التوافق المنتظر بين قطبي السلطة، والذي يستوجب رحيل الجهة التي شحنت الساحة السياسية في السابق.

ولم تستبعد مصادر متابعة أن يكون الطرفان قد توصلا إلى قناعة بعدم جدوى الاستمرار في الصراع بين قطبي الرئاسة وقادة جهاز الاستخبارات السابق، وخطورة ذلك على حاضر البلاد ومستقبلها، لا سيما في ظل الإشارات غير المطمئنة، حول وقوع الجزائر تحت أجندة فوضى الربيع العربي، الأمر الذي يفرض إعادة ترتيب أوراق الجبهة الداخلية، ووضع الخلافات السابقة جانبا.

وكان معهد الشركات الأميركية قد نشر تقريرا، خلال الأيام الماضية، ذكر فيه بأن "الجزائر ستكون خامس دولة غير مستقرة في القريب العاجل، بعد كلّ من اليمن، سوريا، العراق وليبيا ". وهو الأمر الذي قد يكون عزز مخاوف السلطة في الجزائر، ودفع الأطراف الفاعلة إلى مراجعة سياسية بشأن الجبهة الداخلية.

وأشرف على تحرير التقرير ميشال ريبان، المسؤول السابق في وزارة الدفاع الأميركية عن تدريب ضباط الجيش قبل إرسالهم إلى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث حذر المؤسسات الاقتصادية من مغبة الاستثمار في عشر دول بينها الجزائر.

وتتجلى أولى ملامح المراجعة بين قطبي الرئاسة وجهاز الاستخبارات السابق، في رسالة الاعتذار التي قدمها هشام عبود الضابط السابق في صفوف الاستخبارات، والمقيم في فرنسا، لشقيق الرئيس ومستشاره الشخصي سعيد بوتفليقة، على ما بدر منه من "نقد حاد وقدح جارح لشخصه".

ويرى مراقبون أن العودة اللافتة لعبدالعزيز بلخادم، واعتزام الجنرال محمد مدين مقاضاة الأمين العام المستقيل لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم عمار سعداني، على خلفية تصريحاته حول ما أسماه بـ"رعاية الجنرال توفيق لضباط فرنسا والوقوف وراء المواجهات العرقية والطائفية في منطقة غرداية"، يندرج في سياق مخطط يستهدف عودة الحرس القديم إلى السلطة.

ويرى المراقبون أن هذه العودة تستدعي التخلص من مثيري الصراع بين المؤسستين، وعلى رأسهم سعداني، بما أن بيت السلطة لا يتسع إلا لطرفين (الرئاسة والاستخبارات) وعلى الطرف الثالث (سعداني) المغادرة.

وشكّل موعد انعقاد اللجنة المركزية للحزب الحاكم المنعرج الحاسم للرجل، في ظل تمسكه بانتقاد ما يصفه بـ"الدولة العميقة"، وإصرار خصومه على الانقلاب عليه بشتى الوسائل، ولو بجرجرته للقضاء.

وحسب مصادر "العرب"، من الحزب الحاكم، فإن جبهة التحرير الوطني، ستذهب خلال الأسابيع القادمة إلى عقد مؤتمر استثنائي، لانتخاب قيادة جديدة.

ومع حالة الترقب التي تركتها معلومات اعتزام جنرال الظل السابق، التوجه للقضاء للدفاع عن نفسه بسبب اتهامات سعداني، فإن مصادر مطلعة على شؤون السلطة في الجزائر، رجحت توصل أقطاب السلطة إلى صيغة ترضي الجميع، بمن فيهم سعداني الذي قرّر الانسحاب والاستقالة من رئاسة الحزب الحاكم، فالمصلحة تستدعي عدم المجازفة بالمزيد من الاحتقان.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

اغتيال عميد بالجيش يعمق الأزمة الأمنية في مصر

خبراء: الحكومة تهدي المعارضة أسلحة لضربها

تتوالى الأزمات في مصر أمنيا وسياسيا واقتصاديا، الأمر الذي عزاه المؤيدون للنظام إلى وجود مؤامرة تستهدف الأخير، بالمقابل فسّرها آخرون على أنها نتاج فشل الحكومة في التعاطي مع الوضع المصري المتردي على مختلف الأصعدة.

أحمد حافظ

الأزمة تلو الأخرى

□ **القاهرة** – جاء حادث اغتيال العميد عادل رجائي، قائد الفرقة 9 مشاة، بالجيش المصري، أمام منزله بشمال القاهرة، فجر السبت، ليمثل أول عملية اغتيال لضابط عسكري كبير منذ وصول الرئيس عبدالفتاح السيسي إلى الحكم في العام 2014.

وسبق عملية الاغتيال نجاح 6 سجناء في الهروب من سجن المستقبل بالإسماعيلية (شرق القاهرة)، صباح الجمعة، الأمر الذي طرح تساؤلات حول مدى ارتباط الحادثين بدعوة بعض القوى المناوئة للنظام المصري، إلى تنظيم مظاهرات احتجاج في الحادي عشر من الشهر المقبل.

ونقلت وسائل إعلام مصرية، عن مصادر لم تسمّها، أنه تم إطلاق وابل من الأعيرة النارية على رأس العميد رجائي، ما أدّى إلى مصرعه في الحال.

وذكرت تقارير محلية أن رجائي، عمل لفترة طويلة في سيناء (شمال البلاد)، وكان له دور بارز في هدم الأنفاق بين مصر وغزة، وهي العملية التي بدأ الجيش المصري تنفيذها في سبتمبر العام 2014.

وقد ألغى رئيس الوزراء المصري، شريف إسماعيل، اجتماعاً مع رؤساء الأحزاب المصرية وعدد من الكتاب والمثقفين، وتوجه إلى حضور اجتماع عاجل دعا إليه الرئيس السيسي لمجلس الأمن القومي، الذي يضم كبار قادة الجيش.

وعلمت "العرب" أن هناك اتجاها قويا لدى الرئيس السيسي لإجراء تغييرات على الحكومة، وأخرى يمكن أن تطال عددا من القيادات الأمنية.

وجاء حادث الاغتيال، ومحاولة اقتحام السجن، وسط سلسلة من الأزمات المتتالية التي تواجه الحكومة، من بينها نقص السلع، مثل الأرز والسكر بسبب الممارسات الاحتكارية، وارتفاع الأسعار بشكل كبير.

يضاف إلى تلك الأزمات، تصاعد حدة العمليات الإرهابية في سيناء، واستهداف عدد كبير من جنود الجيش والشرطة خلال الأيام الماضية، وقد وجدت التيارات والجماعات، التي تروّج لمظاهرات 11 نوفمبر، مثل الإخوان المسلمين، وحركة 6 أبريل والاشتراكيون الثوريون، أوراق ضغط على الحكومة والنظام ككل.

> خبراء أمنيون يخشون أن يكون اغتيال العميد رجائي، وحادث سجن الإسماعيلية، «بروفة» لما قد يجري، خلال مظاهرات 11 نوفمبر

ويرى متابعون للمشهد، أن هذه الأحداث المتلاحقة، وتصعيد الأزمات بشكل غير مبرر، هي محاولة لإدخال النظام المصري في معارك جانبية، ومواجهة الإرهاب، ما يمهد للمزيد من الأزمات الأمنية، ويوقع المزيد من الضحايا في صفوف أجهزة الأمن المختلفة.

وكان المسؤولون عن تأمين سجن المستقبل بالإسماعيلية فوجئوا، صبيحة يوم الجمعة، بأن 6 سجناء خطرين، بحوزتهم أسلحة نارية داخل السجن، أطلقوا وابلا من الأعيرة النارية ما أدّى إلى مقتل رئيس مباحث شرطة "أبو صوير" وإصابة عنصر أمن، ليلوذوا بعدها بالفرار.

السيناريو الذي جرى إعداده مسبقًا لهروب السجناء الستة، أثار الكثير من الشكوك وعلامات الاستفهام، حول طريقة حصول المسجونين الهاربين على الأسلحة وهم بداخل السجن، لا سيما أنه كان بحوزتهم 3 بنادق آلية متطورة، كما أن زوجة أحدهم كانت تقف بسيارتها على مقربة من بوابة السجن، انتظارًا لخروجهم وتهريبهم تحت أعين رجال الحراسة.

وتحدثت مصادر أمنية، أنه قد يكون جرى إغراء أحد أفراد الشرطة داخل السجن بمبلغ ماليّ لمساعدتهم على الهرب، أو أن هناك تقصيرًا أمنيًا شديدًا من المسؤولين عن تأمين السجن، تسبب في إدخال هذه الأسلحة للسجناء الهاربين، ما اضطر معه اللواء مجدي عبدالغفار وزير الداخلية إلى إحالة الواقعة إلى جهاز التفتيش بالوزارة، للتحقيق تمهيدًا لإحالة الأمر برمته للنيابة العامة، بعد تنامي فرضية مساعدة رجل أمن لعملية الهروب.

ووفق تصريحات مصادر أمنية لـ"العرب" فإن 3 من المتهمين الستة، ينتمون لجماعة ولاية سيناء التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية، وهم أحمد شحاتة مصطفى وعودة درويش علي سلام وصلاح سعيد سعد، والأخير جرى ضبطه بشحنة كبيرة من الأسلحة مؤخرًا.

ولم تكن واقعة سجن المستقبل الأولى من نوعها، حيث وقع نفس الحادث قبل عامين (يوليو 2014)، عندما تم تهريب متهمين اثنين شديدي الخطورة، وكشفت تحقيقات جهاز التفتيش بوزارة الداخلية حينها عن تورّط أمين شرطة وفرد أمن في الواقعة، بعد حصولهما على رشاوى.

ويخشى خبراء أمنيون أن يكون اغتيال العميد رجائي، وحادث سجن الإسماعيلية، "بروفة" لما قد يجري، خلال مظاهرات 11 نوفمبر، بوقوع المزيد من عمليات الهروب لمتهمين خطرين، على غرار ما جرى في أحداث 25 يناير 2010، الأمر الذي استبعدته مصادر أمنية بالقاهرة، معربة عن جاهزية أجهزة الأمن لمواجهة أيّ سيناريو مشابه.

> هناك اتجاه قوي لدى الرئيس عبدالفتاح السيسي لإجراء تغييرات على الحكومة، وأخرى يمكن أن تطال عددا من القيادات الأمنية

وقال اللواء فاروق المقرحي، مساعد وزير الداخلية السابق لـ"العرب"، إن ما حدث في سجن المستقبل، محاولة من جانب "الجماعات الإرهابية" لإظهار عدم سيطرة أجهزة الدولة على البلاد، من خلال الأزمات التي تشهدها بشكل مستمر، والتي قال إن كثيرًا منها مفتعل.

وأكد أحمد مهران، رئيس مركز القاهرة للدراسات السياسة، أن كل هذه الأزمات الهدف منها محاصرة النظام والحكومة، والضغط عليهما وتشتيتهما. وأضاف لـ"العرب" أن بعض تحركات الحكومة الخاطئة تسببت في أن يخسر النظام كثيراً من مؤيديه، مشيراً إلى أن الحكومة المصرية تهدي المعارضة أسلحة لضربها.

وبدأ الجيش المصري، منذ أكثر من 6 أيام، حملة موسعة، بالتعاون مع الشرطة، لمطاردة مسلحين، عقب هجوم على حاجز عسكري، خلف 12 قتيلاً في صفوف العسكريين، في وقت متأخر من مساء الجمعة قبل الماضية.

ميليشيات مصراتة تنضم إلى حكومة الغويل

□ **طرابلس** - تتجه العلاقة بين الإسلاميين ورئيس حكومة الوفاق الليبية فايز السراج نحو المزيد من التصعيد، خاصة بعد انضمام ميليشيات مسلحة من مصراتة إلى ركب حكومة "الإنقاذ" المنبثقة عن المؤتمر الوطني المنتهية ولايته.

وذكر موقع "بوابة أفريقيا الإخبارية" أن رتلا مسلحا مكونا من العشرات من العربات العسكرية المجهزة بالأسلحة المتوسطة تابع لكتيبة المرسى بمصراتة، وصل الجمعة إلى العاصمة الليبية.

وقال الموقع إن الرتل المسلح تمركز أمام مقر مجلس الدولة بعد إخلائه وتسليمه لحكومة الإنقاذ برئاسة خليفة الغويل.

وبحسب أفراد من الرتل، فإنهم جاؤوا طرابلس لرد ما أسموها بـ"الشرعية" لأصحابها ممثلة في حكومة الغويل والمؤتمر الوطني العام.

ولم يصدر أيّ رد فعل رسمي من المجلس الرئاسي (المعترف به دوليا) أو حرسه أو لجنة الترتيبات الأمنية .

وكانت حكومة الإنقاذ قد أعلنت، السبت الماضي، السيطرة على مجمع قصور الضيافة (مقر مجلس الدولة) في طرابلس، معتبرة أن هذه الخطوة تمت بالتنسيق مع الحرس الرئاسي الذي أعلن انشقاقه عن مجلس الدولة بكامل عدته وأفراده.

واختفت حكومة الغويل عن المشهد في ليبيا منذ أن تمكن المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق من الوصول إلى قاعدة "بوستة" البحرية بطرابلس نهاية مارس الماضي، وتولي مهامه بدعم دولي كبير في إطار اتفاق الصخيرات.

وبعد عودة حكومة الغويل باتت هناك ثلاث حكومات تدير اليوم ليبيا، إذ نجد إلى جانبها كلاً من الحكومة المؤقتة بقيادة عبدالله الثني والمنبثقة عن مجلس النواب المنتخب، وكذلك حكومة الوفاق الوطني بقيادة فايز السراج.

ويشي انضمام كتائب مصراتة إلى النزاع بين حكومة الغويل وحكومة السراج بأن الأمور في العاصمة طرابلس تتجه بسرعة نحو التصادم.

ومعروف أن كتائب مصراتة مشكلة من الإسلاميين وجزء كبير منهم ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين، وقد اضطروا للقبول بحكومة السراج، تحت ضغط دولي، على أمل سحبها نحو مربعهم إلا أن تحركات الأخيرة خاصة في الفترة الماضية وفتحها لقنوات تواصل مع قيادات الجيش الليبي، دفعها لإعادة حساباتها مجددا.

وكان رفض حكومة السراج إعطاء الأوامر لمواجهة الجيش الليبي، خاصة بعد سيطرته على الهلال النفطي، بمثابة "القطرة التي أفاضت الكأس".

وتحاول هذه الكتائب دعم ومساندة حكومة الغويل مجددا لتثبيت أقدامها خاصة وأنها ترى أن البساط بات يسحب من الإسلاميين شيئا فشيئا، وأن عليهم التحرك قبل فوات الأوان.

ويرى مراقبون أن صمت المجتمع الدولي وتجاهله للتطورات الأخيرة، سيقرأ من قبل حكومة الغويل والميليشيات المؤيدة لها بمثابة ضوء أخضر لتجاوزاتها، وهو ما يضع البلاد على حافة حرب أهلية.

عناصر داعش العائدون من العراق يثيرون قلق المغرب

محمد بن امحمد العلوي

□ **الرباط** – يصعب على المراقبين الجزم بخطوات تنظيم داعش المستقبلية، خاصة بعد هزيمته المتوقعة في كلّ من سرت بليبيا والموصل بالعراق، إلا أن هناك احتمالا كبيرا باختراق عناصره الفارة لعدد من الدول ومنها المغرب.

وتؤكد المعطيات على الأرض بأن العديد من المغاربة موجودون في التنظيم بسوريا والعراق، وهذا ما بينته أيضا تحريات المكتب المركزي للأبحاث القضائية، التابع للمديرية العامة لمراقبة التراب الوطني.

ويرجح نبيل ملين الباحث المغربي وأستاذ العلوم السياسية في المعهد العالي للعلوم الاجتماعية بباريس، في حديثه لـ"العرب"، أن يبقى العدد الأكبر من عناصر التنظيم في سوريا فيما ستتوجه نسبة ضئيلة منهم إلى بؤر التوتر الأخرى مثل أفغانستان وبلدان الساحل والصحراء، كما من المتوقع أن يعود بعضهم إلى بلدانهم لا سيما المغرب في انتظار مغامرة جديدة.

ويؤكد آخر تقرير نشر بداية سبتمبر 2016، من طرف مجموعة "سوفان" الأميركية ومقرها نيويورك، أن عدد المجندين المغاربة في التنظيمات الجهادية في المشرق العربي يتراوح ما بين 1200 و1600 عنصر.

وحول هذا الموضوع أوضح عبدالإله السطي الباحث في الجماعات الإسلامية لـ"العرب"، أن المجندين المغاربة شكلوا قوة ميدانية لا يستهان بها خصوصا في سوريا، حيث استطاع هؤلاء أن ينشئوا كتيبة خاصة بهم سميت جماعة حركات شام الإسلام التي أسسها المغربي إبراهيم بنشقرون، وكتيبة طارق بن زياد، التي كان يقودها ابن مدينة الفنيدق عبدالعزيز المحدالي المكنى بـ"أبي أسامة المغربي".

ويتوزع المغاربة في سوريا، حسب إحصائيات المرصد السوري لحقوق الإنسان الصادرة نهاية شهر مايو 2016 كالآتي: 758 منهم يقاتلون في صفوف داعش، و100 يقاتلون في صفوف جماعة حركات شام الإسلام، فيما نجد 52 جهاديا يتوزعون على جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة، وهناك 190 جهاديا قد عادوا إلى المملكة من بينهم 59 امرأة و13 طفلا، في حين لقي ما يقارب الـ499 فردا حتفهم.

وينقسم المجندون المغاربة داخل تنظيم داعش إلى فئتين، الأولى التحقت بصفوف المقاتلين عبر الهجرة من خلال إطار منظم عبر قنوات التهريب السري على الحدود التركية، فيما الفئة الثانية تضم جهاديين وافدين من أوروبا وذوي أصول مغربية.

وأشار عبدالإله السطي إلى أن الفئة الأولى عرفت انحصارا ملحوظا نظرا لجسارة المقاربة الأمنية التي اعتمدها المغرب عبر سياسة تجفيف المنابع، التي أعطت أكلها بتراجع واضح لعدد الجهاديين المغاربة المستقطبين من قبل داعش، ونفس الأمر عرفته الفئة الثانية التي استطاعت البلدان الأوروبية من خلال تنسيقها المخابراتي مع الأجهزة الأمنية المغربية، أن تحد من عدد المهاجرين الجهاديين إلى سوريا والعراق.

وهناك قراءة أخرى ساهمت في تراجع ما يمكن أن نسميه بالهجرة الجهادية في صفوف المغاربة، وهو خفوت جاذبية التنظيم الجهادي الذي أضحى يعيش اختناقا عسكريا سواء في العراق أو سوريا، فضلا عن تراجع آليات الاستقطاب والموارد المالية التي ظلت تغذق بها الوافدين إليها.

وفي ظل التطورات الأخيرة سواء في العراق أو حتى سوريا وليبيا الأكيد أن المغرب سيعرف عودة المهاجرين الجهاديين المغرّر بهم لدى تنظيم الدولة الإسلامية، وفي هذا الباب يعتقد الباحث المغربي عبدالإله السطي أن المغرب يوفر كل الوسائل القانونية والردعية لمواجهة هذه الفئات والتي بطبيعة الحال ستستعمل حيلا واستراتيجيات للعودة قد لا تكون عبر القنوات الرسمية، مما قد يشكل خطرا أمنيا على المستوى الداخلي.

ويحذر البعض على غرار نبيل ملين، من غياب استراتيجية شاملة لمواجهة التحدي الإرهابي، مشددا على أن البعد الأمني ورغم أهميته إلا أنه يبقى غير كاف.

وخلال السنوات الأخيرة تمكنت الأجهزة الأمنية المغربية من إحباط العديد من المخططات الإرهابية الخطيرة، ولا يمكن أن تكون تلك التحضيرات في معزل عن توجيه من القيادات الجهادية المغربية في تنظيم الدولة الإسلامية.

ودأبت وزارة الداخلية المغربية على الإعلان عن تفكيك خلايا إرهابية تنتمي لتنظيم داعش. ويرى مراقبون أن المنتمين لهذه الخلايا التي عززت أعضاءها بالعنصر النسوي يتلقون تعليماتهم عبر قنوات غير تقليدية باختيار التوقيت الملائم والمدروس والأهداف الحيوية وأيضا نوعية المواد المستخدمة التي وصلت إلى حد المواد الكيميائية، لأجل إرباك الأجهزة الأمنية حتى يتسنى لهم تنفيذ هجماتهم الإرهابية.

ومن غير المستبعد حسب نبيل ملين الباحث المغربي وأستاذ العلوم السياسية في المعهد العالي للعلوم الاجتماعية بباريس، أن يحاول بعض العائدين وخصوصا المتشبعين بالأيديولوجية الجهادية بتكوين خلايا يكون هدفها زعزعة استقرار المغرب في إطار استراتيجية يطلقون عليها في أدبياتهم مرحلة شوكة النكاية والإنهاك، أي القيام بعلميات جهادية تدريجية ومتصاعدة الحدة بغرض إضعاف الحكومة المركزية رمزيا وفعليا.

ويعزز هذا التحليل توقيف خلية نسائية في 3 أكتوبر 2016 أي قبل أربعة أيام من الانتخابات، وهؤلاء النسوة كنّ ينشطن في أماكن متفرقة حيث أبانت الداخلية المغربية عن أن هؤلاء النسوة تربطهن علاقة قرابة بمقاتلين مغاربة في صفوف التنظيم الإرهابي وبعض المناصرين لجماعات متطرفة، كنّ ينسقن معهم.

إلى أين المفر

كارتر يفشل في نزع فتيل الأزمة بين تركيا والعراق

العبادي لأردوغان: شكرا لعرضك نحن لسنا بحاجة إليك في الموصل

لا يبدو وفق تصريحات المسؤولين العراقيين والأتراك أن الأزمة بين البلدين شارفت على الانتهاء، فبغداد ما تزال مصرة على موقفها من مشاركة أنقرة في معركة تحرير الموصل، الأمر الذي يرفضه الأتراك.

□ **بغداد** – فشلت زيارة آشتون كارتر، وزير الدفاع الأميركي إلى كل من أنقرة وبغداد، في نزع فتيل الأزمة بين البلدين على خلفية إصرار تركيا على المشاركة في معركة تحرير الموصل ومعارضة الحكومة المركزية العراقية لذلك.

وجدد رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي رفضه عرضا تركيًا للمساعدة في معركة استعادة السيطرة على الموصل من قبضة تنظيم الدولة الإسلامية عقب اجتماع مع وزير الدفاع الأميركي آشتون كارتر السبت في بغداد.

وقال العبادي للصحافيين الذين يسافرون مع كارتر إنه يعرف أن الأتراك يريدون المشاركة لكنه يقول لهم "شكرا". وأضاف أن هذا أمر سيتعامل معه العراقيون وإذا كانت هناك حاجة للمساعدة فالعراق سيطلبها من تركيا أو دول أخرى في المنطقة.

وأضاف "الآن العراقيون الأكراد والعرب السنة والشيعة والتركمان والمسيحيون والأزيديون، يقاتلون معا لتحرير الموصل، لا توجد لدينا مشكلة".

فيما أشار وزير الدفاع الأميركي إلى أن كلّ الدول التي تساعد العراق تحترم سيادته ولا يتم تقديم أيّ مساعدة إلا بموافقته.

وفي رد على ما يبدو على العبادي قال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في خطاب له "بعض الجهلة يأتون ويقولون ما هي الصلة التي يمكن أن تكون لنا بالعراق؟ هذه الجغرافيا التي نتحدث عنها الآن جزء من روحنا.. وحتى إذا كانت ثقيلة على قلوبنا قولها فنحن نحترم الحدود الجغرافية لكل دولة".

وفي وقت سابق رأى رئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم أن تصريحات العبادي "استفزازية"، مضيفا أن أنقرة ستستمر في تواجدها في العراق.

يشار إلى أن تركيا على خلاف مع الحكومة المركزية العراقية بشأن المشاركة في معركة الموصل وتواجد قوات تركية في معسكر بعشيقة قرب المدينة حيث تدرب قوات قوامها بالآلاف، فضلا عن مشاركة ميليشيات الحشد الشعبي المحسوبة على إيران في المعركة.

وكان وزير الدفاع الأميركي آشتون كارتر قد أجرى، الجمعة، زيارة إلى تركيا قبل أن يتجه إلى بغداد للإطلاع على سير المعارك في الموصل.

والتقى كارتر بأردوغان ورئيس وزرائه ليعلن بعد ذلك أن هناك اتفاقا مبدئيا بمشاركة أنقرة في المعركة الجارية لتحرير الموصل من تنظيم الدولة الإسلامية.

ولكن كارتر أوضح أن أيّ مشاركة للطرف التركي لا بد أن تلقى موافقة من قبل الجانب العراقي الذي يبدو أنه حسم أمره في رفض أيّ حضور لأنقرة في المعركة.

ومن المتوقع أن تصبح الحملة للسيطرة على الموصل أكبر معركة في العراق منذ غزو عام 2003 بقيادة الولايات المتحدة.

والموصل أكبر بخمس مرات تقريبا من أيّ مدينة سيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية من قبل، وتمتلك رمزية كبيرة، هذا فضلا عن موقعها الجغرافي الاستراتيجي الذي يجعلها محل اهتمام القوى الإقليمية والدولية.

ميدانيا أوضح وزير داخلية حكومة إقليم كردستان العراق السبت أن القوات العراقية على بعد خمسة كيلومترات من الموصل، لكنه أضاف أنه من غير المتوقع أن تنتهي المعركة قريبا.

وقال كريم سنجاري، وهو أيضا القائم بأعمال وزير الدفاع في المنطقة، إن مقاتلي الدولة الإسلامية المعتقد أن عددهم بين 4و8 آلاف سيبدون مقاومة شرسة بسبب أهمية الموصل الرمزية عند التنظيم المتشدد.

وكان تنظيم داعش قد فتح معركة جديدة في مدينة كركوك، كما عمد إلى تفجير مصنع للكبريت في الموصل في محاولة لتعطيل القوات العراقية المتقدمة، والتي تستعد لفتح محاور قتالية جديدة لتشتيت عناصر التنظيم.

وقد نجحت القوات العراقية في استعادة السيطرة على مدينة كركوك. وأعلن قائد شرطة المدينة العميد خطاب عمر عارف مقتل 48 من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية خلال الاشتباكات التي دارت مع قوات الأمن.

من جانبه أوضح العميد يحيى رسول المتحدث الرسمي باسم قيادة العمليات المشتركة (تابعة لوزارة الدفاع)، إن هناك إمكانية لفتح محاور قتالية جديدة في المعارك الجارية لتحرير مدينة الموصل بهدف تشتيت جهد مسلحي التنظيم.

وبدأت القوات الأمنية العراقية صباح السبت، باقتحام بلدتي تلكيف شمال الموصل وقراقوش جنوب شرقها، وهما بلدتان ذات أغلبية مسيحية من السريان الكاثوليك والأرثوذكس.

وأكد قائد في الحشد المسيحي (ينضوي تحت الحشد الشعبي) في سهل محافظة نينوى، أن القوات العراقية استعادت أجزاء واسعة من قضاء الحمدانية ومركزها مدينة قراقوش الموطن الأمّ للمسيحيين في المحافظة الواقعة شمالي البلاد.

دخان ناجم عن تفجير مصنع كبريت يغطي سماء الموصل

موسكو تبتز واشنطن في العراق

□ **موسكو** – اتهم الجيش الروسي السبت، قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة بالمسؤولية عن "جرائم حرب" تسببت بها ضرباته في العراق خصوصا بعد مقتل مدنيين قرب مدينة كركوك في شمال البلاد الجمعة.

وندد المتحدث باسم الجيش الروسي إيغور كوناشنكوف في بيان بالغارة التي اتهم قوات التحالف بشنها على مدينة داقوق قرب كركوك ما أدى حسب قوله إلى "مقتل العشرات من المدنيين بينهم نساء وأطفال".

وأضاف البيان "لاحظنا مرارا أن هذا النوع من الضربات الدامية التي تحمل كل مواصفات جرائم الحرب، باتت عمليا نوعا من الروتين اليومي لطيران التحالف الدولي".

وكان تنظيم الدولة الإسلامية قد شن هجوما مباغتا على مدينة كركوك النفطية في شمال العراق لتشتيت القوات العراقية التي بدأت الاثنين شن عملية عسكرية واسعة ضده في مدينة الموصل.

ونجحت قوات عراقية بدعم من التحالف الدولي في السيطرة على الأمور بالمدينة.

ويرى مراقبون أن روسيا باتت تستخدم ذات السلاح (حقوق الإنسان) الذي تشهره في كل مرة الولايات المتحدة الأميركية، في وجهها.

وتريد موسكو أن ترسل رسالة للولايات المتحدة أن بإمكانها هي الأخرى اللعب على ذات الوتر الذي تتقنه واشنطن.

وكانت الولايات المتحدة قد اتهمت روسيا مرارا بارتكاب جرائم حرب في سوريا، وتواترت هذه الاتهامات مع الهجمة التي شنتها موسكو لدعم النظام السوري في حلب.

وتستعد روسيا بعد انتهاء الهدنة التي كانت أعلنتها في حلب الخميس، إلى استكمال العملية العسكرية التي كانت بدأتها لاستعادة الأحياء الشرقية من المدينة من قبضة المعارضة السورية، والتي يخشى أن يذهب ضحيتها المزيد من المدنيين السوريين.

وباتت مسألة حقوق الإنسان ورقة تتقاذفها الأطراف الدولية المتصارعة على النفوذ في المنطقة العربية، حيث يسعى كل طرف لتسجيل نقاط في سلة الآخر عبر رفع شعار الدفاع عن هذه الحقوق، فيما الواقع بعيد كل البعد عن ذلك.

حلب مقبلة على فصل دموي جديد بعد انتهاء الهدنة

□ **دمشق** – تؤكد جميع المؤشرات أنّ مدينة حلب مقبلة على فصل دموي جديد وقد يكون النهائي في الصراع حولها بين النظام السوري المدعوم روسيًا والمعارضة.

وتعتبر حلب مدينة استراتيجية بالنظر إلى موقعها الجغرافي والرمزية الاعتبارية التي تحظى بها في نظر السوريين. وهذا ما يفسر وفق الكثيرين حرص جميع الأطراف المتصارعة محلية كانت أو إقليمية أو دولية على عدم التفريط بها.

وتبدو دمشق وموسكو الأكثر تشبثا بالسيطرة عليها، ليس فقط للأسباب الآنف ذكرها بل أيضا لأن سقوطها بأيديهما سيعني استكمال السيطرة على المدن السورية الكبرى (باستثناء إدلب)، وبالتالي ترجيح كفّة الحرب لصالحهما، رغم محاولة الولايات المتحدة التقليل من حجم الأمر.

وكانت روسيا قد أرادت من خلال هدنة إنسانية أعلنتها من طرف واحد الخميس، وانتهت السبت، حسم معركة حلب دون الاضطرار إلى المزيد من القتال ومواجهة تصعيد جديد مع الغرب، عبر فتح ممرات لخروج المدنيين والمقاتلين من المدينة، ولكن أعداد الذين عبروا هذه الممرات لم يتجاوز أصابع اليد الواحدة.

وتقول روسيا إن السبب في ذلك يعود إلى منع المقاتلين، خاصة من حركتي أحرار الشام وجبهة فتح الشام (النصرة سابقا)، الراغبين في الخروج من حلب، بالمقابل تؤكد الأمم المتحدة أن لا أحد من المدنيين كما هو الحال بالنسبة إلى عناصر المعارضة يريد مغادرة المدينة ومواجهة مصير مجهول.

> المسؤولون الروس يؤكدون أن الهدنة هي الفرصة الأخيرة للمعارضة للخروج من المدينة، وأن المرحلة التي بعدها ستكون اجتياح القسم الذي تسيطر عليه الفصائل والواقع شرقي حلب

ويؤكد المسؤولون الروس أن الهدنة هي الفرصة الأخيرة للمعارضة للخروج من المدينة، وأنّ المرحلة التي بعدها ستكون اجتياح القسم الذي تسيطر عليه الفصائل والواقع شرقي حلب.

وقد حرصت موسكو على مدار الفترة الماضية على إرسال المزيد من السفن الحربية، حتى في فترة الهدنة المعلنة، بغرض التحضير إلى جولة القتال النهائية، خاصة أنه ومنذ اليوم الأول من الهدنة بدا واضحا أن الهدف منها لن يتحقق.

وتحاول روسيا حاليا التسويق إلى أنّها فعلت كل ما بوسعها لمنع المزيد من سفك الدماء في المدينة الواقعة شمالي سوريا، محمّلة مسؤولية فشل الهدنة إلى الولايات المتحدة الأميركية وإلى فصائل المعارضة.

وقال النائب الأول لرئيس لجنة الدفاع والأمن في مجلس الاتحاد الروسي فرانس كلينتسيفيتش إن الهدف من الهدنة الإنسانية كان إفساح المجال للمدنيين لمغادرة مناطق القتال، وكانت الفرصة الأخيرة أمام المسلحين لمغادرة المدينة.

وأضاف كلينتسيفيتش أن عمليات تطهير المدينة من المسلحين ستبدأ بعد انتهاء مدة الهدنة، وسوف يكون من الصعب اتهام روسيا بأنها لم تأخذ بالاعتبار مسألة السكان المدنيين.

وتنقسم حلب منذ عام 2012 بين أحياء خاضعة لسيطرة النظام في الغرب ومناطق تسيطر عليها الفصائل في الشرق.

ويبلغ عدد المدنيين في الأحياء الشرقية، قرابة 250 ألفا، وتثير فرضية اجتياح النظام المدعوم بالطيران الروسي المتطور، المخاوف من مجازر بحق هؤلاء.

وتأخذ روسيا التي دخلت مباشرة في الصراع السوري في العام 2015 على عاتقها مسؤولية الحفاظ على النظام السوري، معتبرة أن البديل عنه هم الجهاديون الأمر الذي ليس بوسعها القبول به.

وترى أن معركة حلب لا بدّ أن تحسم بسرعة خاصة وأن الولايات المتحدة على أعتاب انتخابات رئاسية وبالتالي فأيّ تأخير لا يصبّ في صالحها ونظام دمشق، وهي مستعدة لكل شيء لتحقيق هذا الهدف.

وأعلن مسؤول في الكرملين السبت أن التدخل في سوريا يهدف إلى تحريرها من الجهاديين وبقاء الرئيس السوري بشار الأسد في السلطة.

وقال المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف في مقابلة مع تلفزيون "روسيا1– إنّ هناك نتيجتين فقط للنزاع في سوريا وهما إما أن يبقى الأسد في السلطة وإما أن يستولي الجهاديون على البلاد.

وأوضح بيسكوف "إما أن يكون الأسد في دمشق وإما إن تكون النصرة" في إشارة إلى تنظيم جبهة النصرة المرتبط بالقاعدة والذي غيّر اسمه إلى جبهة فتح الشام. وشدد "لا يوجد خيار ثالث".

وردا على سؤال عمّا إذا كانت روسيا يمكن أن توقف تدخلها في النزاع السوري، قال بيسكوف "من الضروري تحرير الأراضي السورية". وأضاف "علينا أن نفعل كل شيء بوسعنا لمنع تقسيم البلاد" لأن ذلك يمكن أن يقود إلى "أكثر النتائج كارثية للمنطقة بأكملها".

وتابع أنه من أجل التوصل إلى تسوية سياسية لإنهاء الحرب المستمرة منذ أكثر من خمس سنوات "يجب أن يبقى الأسد في دمشق".

وهذه المرة الأولى التي يكون فيها الكرملين واضحا بمثل هذا الشكل فيما يتعلق ببقاء الأسد، ففي السابق كان يتهرب من الإجابة حيال الأمر.

ويرى متابعون أن تصريحات المتحدث باسم الكرملين تعكس في واقع الأمر ثقة متزايدة لدى الجانب الروسي في أن بالإمكان حسم الأمر لصالحه في سوريا، في ظل استشعاره عجز المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية.

مسيرات في لندن تطالب بوقف القصف على حلب

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

ميشال عون رئيس الفراغ

رئاسة الجنرال تضع لبنان أمام مجموعة جديدة من الصراعات والأزمات

يبدو أن جلسة مجلس النواب اللبناني الـ46 المرتقبة نهاية أكتوبر الجاري والمخصصة لاختيار رئيس جديد للبنان ستكون مختلفة عن الجلسات الـ45 الماضية التي فشلت في تحقيق الغرض منها، بعد أن جاء إعلان زعيم تيار المستقبل سعد الحريري تأييد ترشيح العماد ميشال عون لدخول قصر بعبدا، في مسعى لحل الانسداد السياسي في البلاد، لكن بقدر ما يأتي ترشيح الجنرال ليكون حلا لأزمة شغور الرئاسة منذ عامين ونصف العام، يحمل معه ملامح توتر وأزمات أخرى أكبر.

شادي علاء الدين
كاتب لبناني

لـ **بيروت** – أظهر ترشيح سعد الحريري للجنرال ميشال عون مجموعة كبيرة من الصراعات والخلافات، وبدا أن صعود احتمال وصول الجنرال إلى سدة الرئاسة يحمل ملامح انقسام حاد بين جميع مكونات المشهد السياسي في لبنان، وأن وصوله أو الإبقاء على الفراغ أمران يتساويان في الدلالة والأثر، نظرا لغياب الحد الأدنى من التوافق عليه حتى بين أبناء الفريق الواحد.

> الانقسام الظاهر في صفوف الممانعة حول ترشيح الجنرال عون يخفي رغبة حزب الله في استمرار الفراغ، خصوصا، وأن الحزب تعامل في وسائل إعلامه مع ترشيح الجنرال ليس بوصفه تسوية بل بوصفه خضوعا من سعد الحريري لقراره

انقسم فريق الممانعة الذي ينتمي إليه الجنرال إلى فرعين واحد سوري يؤيد سليمان فرنجية وآخر إيراني يؤيد الجنرال، كما انقسمت كتلة المستقبل النيابية إلى مؤيد ورافض للترشيح بشكل علني. واعلنت كتلة الكتائب اللبنانية رفضها المباشر للترشيح، إضافة إلى أن رفض الرئيس بري وكتلته النيابية لوصول الجنرال إلى سدة الرئاسة تلزم أحدا. وفهم هذا الأمر مباشرة على أنه لا يزال ساريا. وقد أبلغ الرئيس بري ميشال عون شخصيا هذا الموقف في اللقاء الذي جمع بينهما مؤخرا. وكذلك فإن موقف كتلة النائب وليد جنبلاط غير محسوم. يضاف إلى ذلك ظهور مناخات إقليمية ودولية غير مرحبة بانتخاب الجنرال عون وتحذر من آثاره السلبية. بعد ذلك كله هل يمكن للجنرال ألا يكون رئيس الفراغ؟

الترشيح البارد

لم تعكس الأجواء التي رافقت ترشيح سعد الحريري للجنرال عون توفر الحدود الدنيا من التوافق، أو وجود مناخات توحي بإمكانية نضوج أي تسوية لبنانية داخلية. وأطلق الحريري على موقفه من ترشيح الجنرال وصف تأييد الترشيح، وتحفظ عن استعمال كلمة الترشيح بشكل صريح. ووصف الأمر برمّته بأنه مغامرة وتضحية يقوم بها على حساب رصيده وشعبيته من أجل بقاء الوطن، والحفاظ على النظام، ومنع انزلاق الأمور إلى حافة الحرب الأهلية.

أبقى سعد الحريري على خطاب معاداة إيران والهجوم عليها حيًا وفاعلا، بشكل يتناقض مع عنوان التهدئة التي من المفترض أن يتم التمهيد لها بالكف عن تفعيل عناوين الصراع، أو تأجيلها على الأقل.

وتعامل حزب الله بدوره مع الأمر بطريقة مماثلة وأكثر غموضا، فقد استبق إعلان الترشيح بمواقف رحّب فيها بكل التوافقات التي تجري بين المكونات السياسية لهذا البلد. وأبدى الحزب حرصا كبيرا على تجهيل المقصود بالمكونات السياسية في إشارة اعتبرت تقليلا واضحا وصريحا من شأن الاتفاق بين سعد الحريري والجنرال عون، ووضعه في إطار التفاهمات الثنائية التي لا تلزم أحدا. وفهم هذا الأمر مباشرة على أنه فصل تام للشأن الرئاسي عن الشأن الحكومي، وعدم التزام الحزب بتسمية سعد الحريري لتكليف الحكومة. تابع الحزب كذلك سياق هجومه على السعودية في إطار يتناقض تماما مع لحظة التوافق المنتظرة.

انقسمت مواقف الممانعة إثر ترشيح سعد الحريري لميشال عون إلى قسمين. عاد بشكل مفاجئ ذلك الانقسام الذي كان يسم الساحة في البلد إلى الظهور بصبغته التقليدية التي تتوزع الولاءات فيها بين النظامين السوري والإيراني. ولم يكن انتماء الجنرال إلى محور الممانعة بشكل واضح وصريح منذ إعلان تفاهمه الشهير مع حسن نصرالله عام 2006 كافيا لكي يتم تكريسه ممانعا كامل الأوصاف، يحظى وصوله إلى سدة الرئاسة بترحيب كافة فرعي الممانعة.

تحالف الجنرال مع حزب الله أغدق عليه صفة الانتساب إلى الفرع الإيراني من الممانعة في حين أن المرشح سليمان فرنجية يتمتع بصفة الانتساب إلى فرع النظام السوري. وتوزعت جوقة التأييد والرفض بين فريق الممانعة وفقا لهذا التوصيف الذي عاود الظهور فجأة في اللحظة التي اعتبر فيها الجميع أن الأمور في لبنان استقرت لصالح الممانعة في صيغتها الإيرانية.

لا يوجد تناسب فعلي بين قوة الطرفين الممانعين السوري والإيراني لأن غلبة حزب الله، تحول دون وجود أي تأثير فعلي للممانعة في صيغتها السورية يخرج عن صيغة يتحكم هو بشكلها، وحدودها، وحتى بمنطقها.

كل هذا يعني أن الانقسام الظاهر في صفوف الممانعة حول ترشيح الجنرال عون يخفي رغبة حزب الله في استمرار الفراغ، خصوصا، وأن الحزب تعامل في وسائل إعلامه مع ترشيح الجنرال ليس بوصفه تسوية بل بوصفه خضوعا من سعد الحريري لقراره. ولا تستشف من هذا المنطق نية التسهيل، بقدر ما يهدف إلى إثارة حفيظة الجميع ضد هذا الترشيح، وتوجيه رسالة مفادها أن ليس لأحد دور فيه إلا إن يحمله بشكل لا يحتمل التأويل معنى الرضوخ التام لمطالبه.

كذلك فإن موقف الرئيس بري الرافض لوصول عون إلى سدة الرئاسة، والذي أوصله إلى الجنرال مباشرة في اللقاء الذي جمع بينهما مؤخرا، بدل على أن توزيع الأدوار بين طرفي الممانعة في ما يخص الموقف من وصول الجنرال يشكل نهج إدارة الأمور في هذه المرحلة. ويقوم هذا النهج على ترك الرئيس نبيه بري يقود فرع الممانعة المحسوب على النظام السوري والذي يضم إضافة إليه حزب البعث والحزب القومي السوري الاجتماعي وتيار المردة، في سبيل تعقيد عملية وصول الجنرال إلى سدة الرئاسة، أو إيصاله بشكل يتلاءم مع الفراغ الذي لم يعد هناك كثير من المشككين في كونه يمثل المشروع الأساسي والنهائي لحزب الله.

كشف الرئيس نبيه بري عن السرّ الذي أعلن أنه كان يخفيه بصدد مواقف رئيس حزب القوات اللبنانية من ترشيح الجنرال. أعلن أن جعجع كان قد رشح الجنرال لحماية ظهره المسيحي ولكنه لا يفهم لماذا قد يقدم الرئيس سعد الحريري على ذلك. هذا المناخ الذي عكسه الرئيس بري وجد مصداقيته في عدم حضور أي ممثل للقوات اللبنانية في حفل إطلاق ترشيح الجنرال في بيت الوسط، ما يعني أن تبني جعجع لترشيح الجنرال عون لم يكن عمليا أكثر من مناورة سياسية هدفت إلى الرد على ترشيح سليمان فرنجية، وما يمكن أن يحمله وصوله إلى رئاسة الجمهورية من تهديد لزعامة جعجع نظرا لتقارب مناطق النفوذ وتداخلها بينهما.

التشرذم المسيحي

كذلك شعارات الأكثرية المسيحية الساحقة الذي رفع لتأكيد نهائية تمثيل ترشيح الجنرال من قبل جعجع لكافة المسيحيين بدت فارغة من مضمونها ومن معناها إثر إقدام الحريري على خطوة الترشيح. وكشف حجم الاعتراض المسيحي على ترئيس الجنرال انقساما مسيحيا حادا حوله، إذ أن كتلة القوات لا تريده عمليا وإن كانت لا تستطيع التراجع عن دعمه.

رئيس حزب القوات سمير جعجع أكد في الزيارة التي قام بها لميشال عون بعد إعلان ترشيحه من قبل سعد الحريري أنه سيكون رئيسا صنع في لبنان، في حين أن حزب الكتائب اللبنانية وتيار المردة إضافة إلى حزب الوطنيين الأحرار وشخصيات مسيحية تمتلك ثقلا بارزا من قبيل وزير الاتصالات بطرس حرب قد أعلنوا رفضهم له.

هكذا فإن رئاسة عون لن تكون كما تصورها الدعاية العونية في أنها فوز للرئيس الذي يمثل غالبية الرأي العام المسيحي، بل إن الجنرال سيكون في حال فوزه المشكوك فيه حتى هذه اللحظة رئيس الانقسام المسيحي والصراعات المسيحية الحادة، أو أنه سيكون كما تقول بعض الأصوات رئيس نهاية الوجود المسيحي في لبنان.

أيهما أفضل للبنان كرسي رئاسة فارغ أم رئيس يعقد الفراغ

> الجنرال ميشال عون، في حال فوزه المشكوك فيه حتى هذه اللحظة، برئاسة البلاد، سيكون رئيس الانقسام المسيحي والصراعات المسيحية الحادة في لبنان

لا يبدو العالم منشغلا بالرئاسة اللبنانية، ولكن جملة المواقف التي سبقت ترشيح الجنرال من قبل سعد الحريري والتي تزامنت معها، توحي بوجود جوّ دولي لا يشجع إطلاقا على وصول الجنرال إلى سدة الرئاسة.

لعل الموقف السعودي الغضفاض الذي ترك الأمر للحريري دون ترحيب أو رفض، مع تأكيد على تحميله المسؤولية عن تبعاته، والموقف الفرنسي المحذر والداعي إلى التريث بدلا من على عدم نضوج المناخات الدولية المرحبة بهذا الخيار. يضاف إلى ذلك صدور عقوبات أميركية وسعودية ضد شخصيات وشركات على علاقة مع حزب الله بالتزامن مع الترشيح.

أبعد من ذلك يعلم الجميع أن حزب الله مصنّف عربيا ولدى جهات دولية على أنه حزب إرهابي، وهو يصر على توجيه رسالة للعالم مفادها أن الجنرال عون هو الرئيس التابع له، أي أنه رئيس حزب الله. هذا يعني بمساطة أن توصيف الإرهاب سيشمل الرئاسة اللبنانية التي ستتحول مع وصول الجنرال إلى رئاسة إرهابية، ستنشأ بسببها تبعات شديدة الخطورة لا يستطيع البلد احتمالها.

أبرز تلك التبعات تتعلق بقدرة لبنان على الاستجابة للمعايير القانونية الدولية المتعلقة بمكافحة الإرهاب، وكذلك في قدرة البلد على إقرار منظومة قوانين مالية تتجنبه سيف العقوبات الدولية، والإدراج ضمن اللوائح السوداء للدول الممتنعة عن تطبيق قوانين مكافحة تبييض الأموال والتهرب الضريبي.

رئاسة الجنرال تفتح البلد من جهة أخرى على مخاطر أمنية تتعلق بأن المجموعات المتطرفة ستزى في البلد الذي ينتمي رأس الهرم في السلطة فيه إلى حزب الله هدفا مشروعا للاستهداف. يضاف إلى ذلك أن الاعتراض داخل الطائفة السنية على خيارات الحريري، والتي أنتجت مع ترشيحه لسليمان فرنجية ظاهرة زعامة وزير العدل المستقيل أشرف ريفي، والتي تشهد تنامي الرفض الشعبي إلى خيارات أكثر تشددا لن يكون معها حتى النموذج الرافض الذي قدمه أشرف ريفي مناسبا، بل سيكون الجو جاهزا لإنتاج شخصيات توازي الحزب في المنطق وتخالفه في الاتجاه. ولتبني المعادلة في نهاية المطاف وفق التسلسل التالي:

- الجنرال عون هو رئيس حزب الله
- الفراغ هو الرئيس الفعلي الذي يريده حزب الله
- إذن الجنرال ميشال عون هو رئيس الفراغ.

عون.. حلم العودة إلى بعبدا بعد 26 عاما على مغادرته منه

ميشال عون

باب على قاب قوسين من الوصول إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية

- 18 فبراير 1935 ولد في حارة حريك في الضاحية الجنوبية لبيروت
- 1955 بدأ مسيرته المهنية بالالتحاق بالمدرسة الحربية كتلميذ ضابط
- 1983 تدرج في صفوف الجيش وخاض معارك عدة أبرزها «حرب الجبل»
- يونيو 1984 عين قائدا للجيش اللبناني
- 1988 - 1990 كلف لتشكيل حكومة انتقالية لإجراء انتخابات رئاسة تعذر إجراؤها، فشكل حكومة عسكرية واتخذ من القصر الجمهوري مقرا له لمدة سنتين خاض خلالها حربين مدمرتين: حرب ضد «القوات اللبنانية» و «حرب التحرير» ضد القوات السورية
- 1990 تحت ضغط التصعيد العسكري السوري غادر إلى فرنسا وبقي منفيا فيها 15 عاما
- 1996 أسس «التيار الوطني الحر» من باريس
- 2005 عاد إلى لبنان بعد اغتيال الحريري وانسحاب الجيش السوري وفاز بـ 21 مقعدا من أصل 128 في المجلس النيابي
- 2006 وقع وثيقة تفاهم مع حزب الله
- 2009 عاد إلى البرلمان على رأس كتلة نيابية من 20 نائبا، وهي أكبر كتلة مسيحية

الصورة: جويل ساعيه AFP ©

بين «حزب الله» وميشال عون

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هل يقبل "حزب الله" أن يكون مرشّحه ميشال عون رئيسا للجمهورية اللبنانية بالفعل أم أن كل المسألة كانت منذ بدايتها مجرّد مناورة سياسية استهدفت إلقاء مسؤولية الفراغ الرئاسي على الآخرين؟ هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح بعد إعلان الرئيس سعد الحريري زعيم "تيار المستقبل" تبنيه ترشيح عون.

الأكيد أن ميشال عون ليس أفضل من يستطيع أن يكون رئيسا للجمهورية. فالرجل ليس مؤهلا أصلا لشغل هذا الموقع الذي يحتاج قبل كلّ شيء إلى شخصية متوازنة تعرف لبنان واللبنانيين بكلّ طوائفهم ومذاهبهم ومناطقهم معرفة عميقة بعيدا عن المظاهر الفولكلورية. كذلك الحاجة إلى شخصية تعرف المنطقة وما يدور فيها في وقت يبدو الشرق الأوسط مقبلا على تغييرات جذرية.

ولكن ما العمل عندما يصبح مطروحا إنقاذ الجمهورية، أو ما بقي منها، حتّى لو كان الشخص الذي أعلن سعد الحريري تأييده له يمتلك عقلا انقلابيا لا يتورّع عن الذهاب بعيدا في السير خلف كلّ ما يمكن أن يدمّر المؤسسات اللبنانية والتسبب في تهجير أكبر عدد من اللبنانيين من لبنان؟

هل من فضيحة أكبر من فضيحة أن يستخدم ميشال عون أصوات "حزب الله" و"التكليف الشرعي" لتكون لديه كتلة نيابية كبيرة تضمّ أكبر عدد من النافهين في المجلس النيابي؟ ربّما هناك فضيحة أكبر من هذه الفضيحة وهي تتمثل في أن يصرّ عون على أن يكون صهره جبران باسيل وزيرا، علما أنه ليس قادرا على الفوز بمقعد نيابي نظرا إلى أن "حزب الله" لا يمتلك عددا يذكر من الأصوات في الدائرة التي يترشّح فيها الصهر الغالي.

لم يكن أمام سعد الحريري سوى المخاطرة، خصوصا بعدما أيّد قائد "القوات اللبنانية" الدكتور سمير جعجع ميشال عون. هناك على الأرض خمس قوى مسيحية هي: المستقلون، أي الذين هم خارج الأحزاب، وهؤلاء يمثلون نسبة كبيرة من المسيحيين. قسم من هؤلاء مع ميشال عون عند تبني ترشيحه لرئاسة الجمهورية" بكلام أوضح، هل يعتبر "حزب الله"، ومن خلفه إيران التي تسيّره، أنه استنفد ميشال عون وأنه يكفيه لقب المرشح الدائم لرئاسة الجمهورية، في حين أنّ انتخابه رئيسا للجمهورية شيء آخر؟ مثل هذا التساؤل أكثر من مشروع، مثلما أنه مشروع وجود نواب من "تيّار المستقبل" عون، علما أن بينهما بركا من الدماء؟ ما الذي يستطيع عمله بعدما اكتشف أن سليمان فرنجية زعيم "تيّار المردة" الذي لديه وجود في شمال لبنان لا يستطيع حمل حلفائه على تأييده، على الرغم من أنّه يعتبر نفسه قريبا من "حزب الله"، إضافة إلى أنّه صديق شخصي لبشّار الأسد.

كان خطاب سعد الحريري في غاية الوضوح وذلك عندما اعتبر أنّ الأولوية لانتخاب رئيس للجمهورية، مشيرا إلى أنّ عون كان الخيار الوحيد الباقي أمامه من أجل تحقيق هذا الهدف. الأهم من ذلك، أنّه كشف وجود اتفاق واضح مع عون يقوم على ثلاث نقاط سبق له أن تفاهم في شأنها مع سليمان فرنجية.

تتعلّق النقطة الأولى بعدم تغيير النظام، أي بالتمسك باتفاق الطائف والثانية بإعادة الحياة إلى مشروع الإنماء والإعمار، أي لمشروع الرئيس الشهيد رفيق الحريري والثالثة بالنأي بالنفس عمّا يدور في سوريا. ليس معروفا هل قبل ميشال عون بمنطق إعادة الحياة إلى الحركة الاقتصادية أو بأنّ التدخل في سوريا سيجلب الويلات على لبنان. لكنّ الأكيد أنّه استوعب معنى وجود مليون ونصف مليون لاجئ سوري في لبنان وأن لمثل هذا الوجود نتائج وخيمة على البلد الذي عليه أن يلملم أوضاعه الداخلية للبقاء في منأى عن الحريق السوري.

تكمن المشكلة مع ميشال عون في أنّه لم يفهم يوما معنى المدينة ومعنى إعادة الحياة إلى بيروت. لا يعرف معنى إعادة الإعمار ولا معنى أن تكون بيروت عاصمة الشرق الأوسط ومكانا يقصده العرب والأجانب للسياحة والاستثمار. لا يفهم معنى خلق فرص عمل في لبنان وزيادة حجم الاقتصاد. إنها بديهيات غائبة عن باله نظرا إلى أنّه لم يكن في يوم من الأيّام أكثر من عسكري في السياسة وسياسي عندما كان الأمر يتطلب مواقف ذات طابع عسكري.

هناك في تاريخ ميشال عون أمر لا بدّ من الاعتراف به هو أنّه كان صادقا في تعاطيه مع "حزب الله". لم يخلّ يوما بالاتفاق الذي وقّعه في العام 2006. لا شكّ أن "حزب الله" أعطاه الكثير في كلّ المجالات في مقابل الحصول على غطاء مسيحي لسلاحه المذهبي غير الشرعي الموجّه إلى صدور اللبنانيين الآخرين. لذلك، يصحّ التساؤل الآن هل يتوقف دعم "حزب الله" لميشال عون عند تبني ترشيحه لرئاسة الجمهورية" بكلام أوضح، هل يعتبر "حزب الله"، ومن خلفه إيران التي تسيّره، أنه استنفد ميشال عون وأنه يكفيه لقب المرشح الدائم لرئاسة الجمهورية، في حين أنّ انتخابه رئيسا للجمهورية شيء آخر؟ مثل هذا التساؤل أكثر من مشروع، مثلما أنه مشروع وجود نواب من "تيّار المستقبل" عون، علما أن بينهما بركا من الدماء؟ ما الذي يستطيع عمله بعدما اكتشف أن سليمان فرنجية زعيم "تيّار المردة" الذي لديه وجود في شمال لبنان لا يستطيع حمل حلفائه على تأييده، على الرغم من أنّه يعتبر نفسه قريبا من "حزب الله"، إضافة إلى أنّه صديق شخصي لبشّار الأسد.

كان خطاب سعد الحريري في غاية الوضوح وذلك عندما اعتبر أنّ الأولوية لانتخاب رئيس للجمهورية، مشيرا إلى أنّ عون كان الخيار الوحيد الباقي أمامه من أجل تحقيق هذا الهدف. الأهم من ذلك، أنّه كشف وجود اتفاق واضح مع عون يقوم على ثلاث نقاط سبق له أن تفاهم في شأنها مع سليمان فرنجية.

تتعلّق النقطة الأولى بعدم تغيير النظام، أي بالتمسك باتفاق الطائف والثانية بإعادة الحياة إلى مشروع الإنماء والإعمار، أي لمشروع الرئيس الشهيد رفيق الحريري والثالثة بالنأي بالنفس عمّا يدور في سوريا. ليس معروفا هل قبل ميشال عون بمنطق إعادة الحياة إلى الحركة الاقتصادية أو بأنّ التدخل في سوريا سيجلب الويلات على لبنان. لكنّ الأكيد أنّه استوعب معنى وجود مليون ونصف مليون لاجئ سوري في لبنان وأن لمثل هذا الوجود نتائج وخيمة على البلد الذي عليه أن يلملم أوضاعه الداخلية للبقاء في منأى عن الحريق السوري.

تكمن المشكلة مع ميشال عون في أنّه لم يفهم يوما معنى المدينة ومعنى إعادة الحياة إلى بيروت. لا يعرف معنى إعادة الإعمار ولا معنى أن تكون بيروت عاصمة الشرق الأوسط ومكانا يقصده العرب والأجانب للسياحة والاستثمار. لا يفهم معنى خلق فرص عمل في لبنان وزيادة حجم الاقتصاد. إنها بديهيات غائبة عن باله نظرا إلى أنّه لم يكن في يوم من الأيّام أكثر من عسكري في السياسة وسياسي عندما كان الأمر يتطلب مواقف ذات طابع عسكري.

هناك في تاريخ ميشال عون أمر لا بدّ من الاعتراف به هو أنّه كان صادقا في تعاطيه مع "حزب الله". لم يخلّ يوما بالاتفاق الذي وقّعه في العام 2006. لا شكّ أن "حزب الله" أعطاه الكثير في كلّ المجالات في مقابل الحصول على غطاء مسيحي لسلاحه المذهبي غير الشرعي الموجّه إلى صدور اللبنانيين الآخرين. لذلك، يصحّ التساؤل الآن هل يتوقف دعم "حزب الله" لميشال عون عند تبني ترشيحه لرئاسة الجمهورية" بكلام أوضح، هل يعتبر "حزب الله"، ومن خلفه إيران التي تسيّره، أنه استنفد ميشال عون وأنه يكفيه لقب المرشح الدائم لرئاسة الجمهورية، في حين أنّ انتخابه رئيسا للجمهورية شيء آخر؟ مثل هذا التساؤل أكثر من مشروع، مثلما أنه مشروع وجود نواب من "تيّار المستقبل" في بعشيقة، في شمال الموصل على مسافة ربع ساعة من مركز المدينة، ويقول لك العالم بعد التحرير لا يريد أن يرى ممارسات تهجير وميليشيات إرهابية تدخل المدينة. ما العمل؟ هل هناك إمكانية لارتكاب إعدامات ميدانية ومقابر جماعية، وتهجير الناس بحجة تنشيط المدينة، كما حدث في الفلوجة؟ وهل سيأخذ أردوغان قواته ويعود ذليلا؟ هل هذا ممكن في السياسة؟ قائد دولة إقليمية مهمة محبطة بالعراق يهينه العبادي ويتقبل الأمر؟ الموصل مدينة كبيرة ولها وزن رمزي، ومن الممكن حدوث احتكاك مع القوات التركية، خصوصا وأن العراق ليس دولة قادرة على حماية أمنها وأمن جيرانها!

ثم ما علاقتنا بحسن نصرالله، الذي حذر في خطاب عاشوراء الحشد الشعبي من السماح للدواعش بالانسحاب غربا إلى دير الزور والرقة في سوريا؟ إذن هناك إمكانية لانسحاب الدواعش إلى سوريا، ونحن دماء العراقيين! لمَ لا؟ الحشد اليوم يطوق المدينة غربا امتثالا لأوامر حسن نصرالله؟

أثيل النجيفي محافظ الموصل وقائد القوات التي دربتها أنقرة، وجّه خطابا من تركيا قبل شهر، طالب فيه جميع أهل الموصل بعدم مغادرة منازلهم أثناء عمليات التحرير، ومن الواضح أنها أوامر من القيادة التركية. والبارحة العبادي يقول فتحنا طرقا للنازحين.

هذا اختلاف بالرأي ورسائل متضاربة لشعب الموصل. من الممكن جدا تفجر الموقف، واشتعال صراع ضخم حول المدينة التاريخية. الكل يعلم أن البارزاني متحالف

تحالف الضرورة

لا يمكن أن يقبلوا بالتصويت لميشال عون. مفهوم تماما أن يكون هناك نوّاب في "تيّار المستقبل" لا يمكن أن يتقوا بميشال عون بأيّ شكل وفي ظلّ أيّ ظروف. ما ليس مفهوما كيف يمكن لـ"حزب الله" أن يرشّح ميشال عون وأن يؤكد كبار قيادييه أن لا خيار آخر غيره في حال كان مطلوبا الإتيان برئيس للجمهورية، وأن يصبح موقفهم منه سلبيا بمجرد أن سعد الحريري قبل به رئيسا؟

ثمة من سيقول إن لا موقف سلبيا من "حزب الله" تجاه ميشال عون، أقلّه إلى الآن، وإن الصحف التابعة له سارعت إلى اعتبار أن الحريري "أيّد مرشح الحزب" وذلك في سياق تعليقاتها على خطاب زعيم "تيّار المستقبل". هذا لا يحول دون وجود علامات استفهام عدّة. في مقدّم هذه العلامات هل هدف "حزب الله" إيصال ميشال عون إلى رئاسة الجمهورية أم المطلوب استخدامه مرحليا في إطار حملة تستهدف تغيير طبيعة النظام اللبناني بدءا بالانتهاء من اتفاق الطائف؟

مرّة أخرى، ليس اتفاق الطائف، الذي يكرّس المناصفة بين المسيحيين والمسلمين في لبنان، اتفاقا مقدّسا. يمكن أن تكون هناك حاجة إلى تعديلات للاتفاق ولكن في ظروف طبيعية وليس تحت ضغط سلاح "حزب الله" وإيران. وحدها الأيام ستكشف هل كانت ورقة ترشيح ميشال عون للرئاسة مجرّد ورقة استعملها "حزب الله" من أجل الوصول إلى تغيير النظام.

إلى الآن، أدى ميشال عون قسطه للعلى، أقله بالنسبة إلى "حزب الله" الذي لم يأخذ في الاعتبار أن هناك من سيردّ على مناورته بكلام جدّي عن تبني ترشيح ميشال عون. هذا الكلام الصادر عن سعد الحريري وضع الحزب أمام لحظة الحقيقة. هل يريد رئيسا للجمهورية أم يريد تغيير هذه الجمهورية والانقلاب عليها تحقيقا لحلم قديم لديه؟

يبقى تحفظ واحد: لميشال عون تاريخ طويل في مجال التعاطي مع الأحداث بعقلية الانقلابي. يمكن لـ"حزب الله" استخدامه مجددا لتحقيق هذا الغرض بعد وصوله إلى قصر بعبدا... إلا إذا تبيّن أن الرئيس الماروني الموجود في بعبدا سيعدّ للعشرة قبل الإقدام على أيّ خطوة تؤدي إلى المس بالدستور بشكل جدّي.

الباحثون عن الحياة بموت الموصل

أسعد البصري
كاتب عراقي

هجوم داعش على كركوك ربما هو محاولة لحرق آبار نفط كما فعل صدام حسين بالكويت سنة 1991. قتل 12 موظفا وأربعة فنيين إيرانيين في محطة كهرباء تشيدها شركة إيرانية، وهجومات أخرى على دوائر حكومية في كركوك معناه أن داعش سيقاتل في الموصل. لن تكون هناك صفقة.

لقد سخرنا من إصدار الدواعش "معركة الموصل" ولكن المفاجأة أنهم أصدروا بعدها بيوم واحد، أقوى إصداراتهم على الإطلاق تحت عنوان "الباحثون عن الحياة" وهذا التونسي، فيقفز فرحا كأنه فاز بالبانصيب.

لم أستطع إكمال الإصدار فقد هاجت عليّ معدتي واصبت بدوار لعلمي بخطر هذا على الفتيان الصغار. إنه تشجيع قويّ على الموت وترك الحياة الدنيا وأهلها. ضروري جدا أن تلاحق الدولة العربية هذا الإصدار وتحجب كل روابطه عن الفتيان.

الدواعش جعلونا عاجزين عن مشاهدة أفلام المغامرات الأميركية الهوليودية، دمّروا الخيال. انظر إلى غزوة كركوك مثلا. إن خمسة أصدقاء يصعب عليهم الاجتماع على العشاء في الحياة المعاصرة، فخاليا ما يكون احدهم مريضا أو مشغولا، فكيف اجتمع عشرون شخصا على الانتحار في كركوك؟ هل هذا عرض مسرحي؟ لعب بحياة الناس؟

ما هذه الأشياء التي ليس لها تفسير في عصرنا؟ ثم كيف يجتمع 120 الف مقاتل مع طائرات مقاتلة ودول عظمى لقتال خمسة آلاف داعشي فقط؟ والأمر الأغرب كيف حكم هذا العدد القليل من الدواعش مليونا ونصف المليون من المواطنين في مدينة شاسعة دون مقاومة لعامين؟ مدينة تحرسها أربع قبائل عربية من أشرس وأكبر القبائل في العراق؟

هذا الإصدار "الباحثون عن الحياة" هو نشيد وداع داعش، فقد لبسوا الأكفان وقرروا القتال على وضوء. واضح جدا من الهجوم على كركوك ومن هذا الإصدار. الموصل اليوم كلها في عملية انتحارية داعشية وجماعية. من المهم أن يتصرف رئيس الوزراء حيدر العبادي بحذر شديد مع عملية التحرير.

خبر سار لأهل الموصل توجه الحشد الشعبي إلى الحويجة، ولكنه ليس خبرا سارا لأهالي الحويجة. هل من الواضح أن رئيس الوزراء لا يريد التصعيد مع رجب طيب أردوغان وتركيا. العبادي كقائد عراقي، عليه أن لا يستخدم باردوغان. تركيا دولة مجاورة بإمكانات ضخمة تستطيع استنزاف البلاد. لا نريد دفع أردوغان إلى تشكيل ميليشيات سنية مثل الجيش الحر في سوريا، وتشتعل حرب أهلية.

المعلن أن أردوغان لا يريد تغييرا ديموغرافيا، يقول إن تركيا تعارض جرائم الميليشيات الشيعية، وربما عنده مصالح أخرى تحت الطاولة، كبقاء عائلة النجيفي بعد التحرير تدير المدينة. فتركيا لا تريد المقرّب من المخابرات السورية مشعان الجبوري محافظا على الموصل. العبادي، كقائد للعراق، عليه أن يحاور كلاً من إيران وتركيا ويخرج العراق سالما. أردوغان عنده معسكر مع تركيا، وقريب من سياستها مما سيجعل من الصراع صعبا للغاية. يتساءل الكثيرون اليوم بعد التحرير لا يريد أن يرى ممارسات تهجير ومليشيات إرهابية تدخل المدينة. ما العمل؟ هل هناك إمكانية لارتكاب إعدامات ميدانية ومقابر جماعية، وتهجير الناس بحجة تنشيط المدينة، كما حدث في الفلوجة؟ وهل سيأخذ أردوغان قواته ويعود ذليلا؟ هل هذا ممكن في السياسة؟ قائد دولة إقليمية مهمة محبطة بالعراق يهينه العبادي ويتقبل الأمر؟ الموصل مدينة كبيرة ولها وزن رمزي، ومن الممكن حدوث احتكاك مع القوات التركية، خصوصا وأن العراق ليس دولة قادرة على حماية أمنها وأمن جيرانها!

ثم ما علاقتنا بحسن نصرالله، الذي حذر في خطاب عاشوراء الحشد الشعبي من السماح للدواعش بالانسحاب غربا إلى دير الزور والرقة في سوريا! إذن هناك إمكانية لانسحاب الدواعش إلى سوريا، ونحقن دماء العراقيين! لمَ لا؟ الحشد اليوم يطوق المدينة غربا امتثالا لأوامر حسن نصرالله؟

أثيل النجيفي محافظ الموصل وقائد القوات التي دربتها أنقرة، وجّه خطابا من تركيا قبل شهر، طالب فيه جميع أهل الموصل بعدم مغادرة منازلهم أثناء عمليات التحرير، ومن الواضح أنها أوامر من القيادة التركية. والبارحة العبادي يقول فتحنا طرقا للنازحين.

هذا اختلاف بالرأي ورسائل متضاربة لشعب الموصل. من الممكن جدا تفجر الموقف، واشتعال صراع ضخم حول المدينة التاريخية. الكل يعلم أن البارزاني متحالف

من يصنع الإرهاب ويرعاه ويستثمره

سميرة رجب
كاتبة من البحرين

❏ ضمن مساعي الدبلوماسية الأميركية لترميم صورة الولايات المتحدة التي تهشمت في العالم، بعد فضيحة جرائم التعذيب بسجون أبو غريب الأميركية في بغداد عام 2004، زار البحرين السيناتور الأميركي السابق جيمس زغبي، ليقنع الإعلاميين والمثقفين بأن ما جرى في أبو غريب يعد سلوك أفراد في القوات الأميركية، لا يمثل الشعب الأميركي وأخلاقياته "الرفيعة"، ولا يمثل قواعد السلوك الإنساني التي تلتزم بها قوات بلاده!

حينها سألت السيناتور: كيف تنسبون كل تلك الفظائع والجرائم الأميركية، التي يندى لها جبين التاريخ والإنسانية، إلى سلوك أفراد أميركيين لا يمثلون شعبهم ولا نظام بلادهم، بينما بعد نصف ساعة من أحداث 9 سبتمبر 2001 (أي حتى قبل بدء التحقيقات) نسبتم الإرهاب في العالم إلى كل العرب، وجعلتم الإرهاب عربيا.. هل تتوقعون من العرب أن لا يبادلوكم التعامل بالمثل في الجرائم الأميركية في أبو غريب وغيرها؟.. وكان جوابه هوليوودياً، أتفه من أن يُسرد في هذا المقال.

واليوم، بعد أن وصل المآل العربي إلى ما هو الحال عليه، وما هو متوقع من مستقبل غامض مرسوم للمنطقة، لربما نحن بحاجة للتذكير بأن قرار إعدام العراق والحرب والغزو والاحتلال، وسحق شعبه، بكل تفاصيل الحصار اللاإنساني، والاغتيالات والاعتقالات والاغتصابات والتعذيب والتدمير والإرهاب، كان معدًا له مسبقا، وتم تنفيذه مع سبق الإصرار والتعمد، أي أن كل ذرائع الحرب على العراق واحتلاله كانت واهية وكاذبة لحد الفجور.

وإلغاء العراق كان من أهم متطلبات الإخلال بميزان القوى في المنطقة العربية لصالح قوى إقليمية غير عربية ونشر الإرهاب والفوضى والدخول فيما يدعى بحروب الجيل الرابع (ضد الإرهاب) لرسم خريطة "الشرق الأوسط الجديد".

وبات مؤكدا أنه لولا الإرهاب لما كانت الفوضى "الخلاقة"... ودون هذه الفوضى لن يبزغ نور "الشرق الأوسط الجديد" الذي بشرت به الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ لحظة اجتياح قواتها العراق.. ودون شرق أوسط جديد وضعيف وممزق لن يتمكن أصحاب المصلحة في الغرب من السيطرة على هذه المنطقة الأكثر حيوية في العالم.. وهذا هو التسلسل المنطقي لأسباب صناعة الإرهاب ورعايته والمصالح المتحققة منه.

إذن، هناك من له مصلحة في هذه الحروب التي تمزق أوطاننا، بسلاح الإرهاب والإعلام والفوضى لتبقى حروبا "بالوكالة" لصالح أصحاب المشروع الشرق أوسطي في صراع دولي جديد تضخمت معالمه الصاخبة والدموية، منذ لحظة إسقاط البرجين في نيويورك، والدخول في عصر "الحرب على الإرهاب"، بقواعد ومبادئ "الحرب الباردة".

ومن هذا المنطلق يجب أن نتساءل لمصلحة مَن كانت أحداث 11–9 المشؤومة؟ وبالتالي فإن صاحب المصلحة هو أكثر المهتمين برعاية منفذي تلك الأحداث وضبط إيقاعها واستثمارها. وإن كان هناك شيء من الضبابية أمام عيون العرب في الإجابة على هذا التساؤل قبل عام 2011، فمن المؤكد أن كل الضباب والغبار قد انقشع بعد ذلك التاريخ، وباتت الإجابات المؤكدة واضحة بكل أدلتها المادية.

المهم في هذا السياق هو أن بلداننا العربية، شعوبا وأنظمة، باتت تعيش منذ ذلك اليوم تحت تهديد وابتزاز الإرهاب الدولي. وتعزز هذا التهديد بعد احتلال العراق وتدميره، وإسقاطه من موازين القوى الإقليمية في مسار يعكس حربا واقعية على الدول العربية بثرواتها وجغرافيتها وبحارها وممراتها المائية وتاريخها ومستقبلها، وليس حربا على الإرهاب.

ولنتعرّف على بعض من هذا التهديد والابتزاز الإرهابي ضد دول الخليج سألجأ لشرح المشهد التالي: بعد أشهر قليلة من سقوط بغداد (2003)، عرضت الفضائيات العربية، قبل الأجنبية، تقارير إخبارية مصورة من إعداد إعلام الاحتلال حول المتطوعين العرب الذين كانوا في العراق منذ ما قبل الغزو للقتال مع الشعب العراقي ضد أيّ عدوان خارجي. وأتقن ذلك الإعلام دوره في إظهار أولئك المقاومين العرب ضد الاحتلال على أنهم إرهابيون عرب وأن أغلبهم سعوديون. كان ذلك المشهد كافيا لبث الرعب في إرادة الأنظمة الخليجية لمنع أي إمداد بشري أو مادي للمقاومة العراقية، خوفا من بطش تشريعات "الحرب على الإرهاب" المعدة سلفا لهذه المواجهة. وكان هذا التلويح بتهمة الإرهاب أول ابتزاز ضد دول الخليج بعد أحداث 11–9. ونجح في مخطط فصل العراق عن عمقه العربي، وفي تجفيف منابع المقاومة المشروعة ضد الاحتلال (وليس تجفيف منابع الإرهاب).

والقصة لم تنته هنا.. بل لها شق آخر.. فبعد نجاح إعلام "الحرب على الإرهاب" في إرهاب العرب لمنعهم من التدخل لحماية العراق والعراقيين ضد الاحتلال وسياساته المدمرة. عرضت ذات الفضائيات مشهدا مصوّرا لدخول أكثر من 10 آلاف فرد من ميليشيات بدر الإيرانية (قوات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية)، بكامل عتادها، إلى البصرة، عبر حدود البلدين، مع حماية من القوات الأميركية على الأرض والطائرات البريطانية في السماء.. واللافت أن التقرير الإعلامي (العربي) تعمّد أن يظهر أفواج تلك الميليشيا كأبطال عراقيين عائدين إلى بلادهم من المنفى.

توصوف المشهد بأنه يوم تاريخي يمثل الديمقراطية الجديدة في العراق. وأن ذلك الحدث (العظيم) يمثل نقطة تحوّل في تاريخ إطلاق الحريات في البلاد، بينما واقعيا كان يمثل لحظة إطلاق مارد الإرهاب والحرب الأهلية الطائفية، المستمرة في العراق حتى يومنا هذا.

هذان المشهدان الإعلاميان يمثلان نقطة في بحر الإعلام والإرهاب المكرّس لابتزاز العرب. ومن هناك، بدأ الانسحاب العربي من العراق، وتقديمه إلى إيران على طبق أميركي من ذهب.

وبعد أكثر من 13 عاما من عمر الغزو والاحتلال، ظهر تقرير تشيلكوت البريطاني (8 يوليو 2016) ليؤكد أن القرار الأميركي بإعدام العراق ونشر الإرهاب تمّ بسبق الإصرار والتعمد، بدءا بإدانة رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، طوني بلير، بتهمة المشاركة في تلك الحرب دون أساس قانوني، وبناء على معلومات ملفقة وكاذبة.

وما يهمنا في هذا السياق هو ما أكد عليه التقرير فيما يخص صناعة الإرهاب في العراق بعد الاحتلال، والأخلاقيات المنحطة للقوات الأميركية ضد شعوب العالم.. هذه القوات التي تدرّبت على سحق الإنسان والإنسانية، أمام المصلحة الأميركية لتبقى السلطة العليا في السياسات الدولية.

يؤكد التقرير البريطاني أن الولايات المتحدة استخدمت "فرق موت سرية، مسخّرة لاستهداف أطراف متعددة في العراق بشكل سري، وإلقاء اللوم بذلك على أطراف أخرى، ضمن محاولات تصبّ نحو المصالح الأميركية، وعلى غرار ما استخدم في الحرب الأميركية اللاتينية سابقا..."، وإن المسؤول الأميركي عن قوات مكافحة التمرد، ستانلي مكريستال، هو الذي كان يقود برنامج الاغتيالات السري الذي "تميّز بالعنف المفرط". وأقامت هذه الفرق أنظمة مراقبة لتتبع أفراد معينين كأهداف "موضوعة مسبقا" (المصدر: قناة الحرة/حدث "فرق الموت السرية قامت بتصفية وقتل شخصيات عراقية بأوامر أميركية).

ويذكر التقرير أن الحكومة الأميركية أنشأت "مكتب الخطط الخاصة" بواسطة بول وولفويتز، ودوغلاس فيث ليكون "حكومة ظل قوية" بهدف التسلط على الأوضاع في العراق بالعنف المفرط، و"تدمير المؤسسات الحكومية العراقية بأكملها"، تحت إشراف الحاكم الأميركي بول بريمر، والذي قام بدوره "بتنفيذ أجندة هذا المكتب المشبوه بكل تأثيراته السلبية على الوضع العراقي المستمر إلى الآن". وكان أبرز قرارات هذا المكتب قرار حل الجيش العراقي والمؤسسات الأمنية، وترك العراق "عرضة للصراعات الداخلية والتمرد، ثم الحرب الأهلية".

ويذكر التقرير أيضا أن قرارات وعمليات ذلك المكتب قادت إلى توسعة أطر وحدود عمله، من خلال "عصابات" وفرق "مضادة للعصابات" تم تشكيلها من أفراد من القوات الخاصة الأميركية والبريطانية، تحت قيادة جون نونغيربوت، وبديله في ذلك الوقت روبرت فورد. ومازالت الآثار السلبية لتلك السياسات تعصف بالعراق وسوريا حتى الآن، وعملت على ظهور المنظمات الإرهابية المتطرفة، وشبه العسكرية، التي دفعت بالبلاد إلى حافة الانهيار التام.

أبرياء يدفعون ثمن نيران الإرهاب

ويذكر التقرير تفسيرا للبروفيسور مايكل تشودوفوسكي، حول هذا النمط من التدخل الأميركي في الشؤون الداخلية للدول، سواء كان علنيا أم مبطنا، فيذكر أن "تجنيد فرق الموت الخاصة والعصابات، بغية تنفيذ عمليات اغتيالات منظمة وإثارة التوترات بين أطراف متعددة، كان دائما جزءا من سياسة الاستخبارات العسكرية الأميركية في أيّ منطقة نزاع تتدخل فيها، والتاريخ يثبت تمويل ودعم وتوجيه العديد من الألوية الإرهابية التي يمكن تتبعها إلى حدود حقبة حرب فيتنام"، مضيفا أن هذه السياسات لا تقوم المكاتب الخاصة الأميركية بتطبيقها في الخارج فقط، بل "تستخدمها حتى داخل الأراضي الأميركية ذاتها، وضد مواطنيها، مثل عملية 'غلاديو'، وهجمات 'العلم الموهم' التي يجيز الدستور الأميركي القيام بها، وتتضمن افتعال عمل عدائي ضد أهداف ومواطنين أميركيين من قبل الإدارة إذا كان في ذلك مصلحة عامة عليا للبلاد".

ولتجنب الادعاء بأن هذه الجرائم الإرهابية الأميركية البشعة في العراق كانت عمليات ضد الإرهاب نُذكّر بالتالي:

أولا: لم يكن هناك ما يُدعى بالإرهاب في العراق حتى عام 2006 (أي قبل انتشار الميليشيات المذهبية مع دخول العامل الإيراني في الاحتلال)؛ فكانت القوات الأميركية تسجن وتعذّب وتقتل كل عراقي يعترض على الاحتلال أو يقاومه.

ثانيا: السجون الأميركية البشعة وجرائم التعذيب والاغتيالات الفردية والجماعية، التي صنعت الإرهاب، لازالت مستمرة في العراق حتى ساعة كتابة هذا المقال، بل أضيفت إليها سجون تديرها الميليشيات المذهبية، مع تعتيم إعلامي يشبه الستار الحديدي.

ثالثا: بحسب موقع قناة الجزيرة "قام أربعة مساجين ممن تعرضوا للتعذيب في سجن أبو غريب برفع شكوى في الولايات المتحدة، بمساعدة منظمة حقوق الإنسان (CACI)، التي قامت بتحقيق موسع، ولكن القاضي الأميركي، جيرالد بروس لي، رفض القضية لأنها حدثت خارج الحدود الأميركية".

وفي مجال التأكيد على أن الهدف الأخير من صناعة الإرهاب والفوضى والموت في منطقتنا هو السيطرة على منابع النفط العربي عموما، وليس العراقي فقط، نستذكر تقرير لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب البريطاني (14–9–2016)، الذي أكّد على أن "كاميرون ضخم الأوضاع في ليبيا وانحرف نحو إسقاط القذافي"، وأنه سارع إلى العمل العسكري في ظل وجود "معلومات استخبارية غير دقيقة"، إلى جانب تضخيم القلق حول المدنيين والتصرف بناء على "افتراضات" سمحت لاحقا بتدهور الأوضاع وظهور "تنظيم داعش".

ألا تشكل تلك التقارير، التي جاءت بناء على التحقيق المتواصل، اعترافات مادية، بأنها "شهادة شهود من أهلها".

بعد كل هذا، وبعد مرور خمسة عشر عاما على أحداث سبتمبر 2001، أليس من حق العرب أن يصرخوا متسائلين لماذا أحيطت التحقيقات حول أحداث 11 سبتمبر بالكتمان والسرية؟ ولماذا لم يشارك فيها، أو يطّلع عليها، أيّ طرف غير أميركي؟ بل لماذا بقيت تلك التحقيقات محصورة بيد الاستخبارات المركزية الأميركية وعدد من المحافظين الجدد فقط؟ ولماذا ما نُشر حتى الآن حول تلك الجريمة المرعبة لا يتعدى عددا من التقارير التي يغلب عليها الطابع الإعلامي دون أدلة مادية تحاكي العقل؟ ولماذا كل أفراد داعش ملثمون لا نرى سماتهم الكاشفة لهوياتهم، كما تم كشف وجوه بن لادن ورفاقه؟ ولماذا هذا الداعش يعيش في العالم الافتراضي، ونتابعه فقط في كواليس الإعلام الرقمي وتكنولوجيا التواصل الجديدة، ولا يقترب منه محقق أو إعلامي محايد؟ ولماذا؟ ولماذا؟

واليوم، مع ما تواجهه منطقتنا من تهديد جديد بتهمة الإرهاب، وبعد انكشاف الكثير من الحقائق، ألم يحن الوقت لنفي تهمة الإرهاب عن أنفسنا؟ وليصرخ العرب معلنين أننا لسنا إرهابيين ولسنا نحن أصحاب المصلحة في صناعة ورعاية الإرهاب، وعلى العالم أن يحاسب رعاة الإرهاب وصانعي الموت الحقيقيين. ولا تنقصنا الشواهد والإثباتات المادية التي تدعم حقنا العربي في هذه المواجهة بكل قوة وإصرار. ألم يحن الوقت لنستيقظ ونحن أحياء قبل أن نذبح و"نستيقظ ميتين".

الهيمنة الإيرانية تمر عبر الموصل

سلام السعدي
كاتب فلسطيني سوري

❏ قبل نحو قرن من اليوم، وتحديدا في العام 1918، انتزع المنتصرون في الحرب العالمية الأولى معظم أراضي مدينة الموصل من الدولة العثمانية. وبعد ذلك التاريخ ببضعة أعوام، فقدت تركيا المدينة بصورة نهائية إثر توقيع اتفاق لوزان 1923 ومن ثم اتفاق أنقرة 1926 والذي ثبّت تبعية الموصل للعراق، وضمن في ذات الوقت حق تركيا في التدخل العسكري في المدينة لحماية الأقلية التركمانية.

ذلك "الحق" التاريخي المزدوج، أي التبعية التاريخية للمدينة من جهة وحق التدخل المنصوص عليه بالاتفاق الدولي، هو ما تستند إليه تركيا في تبرير رغبتها المعلنة المشاركة في عملية الموصل، بل ومشاركتها الفعلية عبر المقاتلين العراقيين والأكراد الذين قامت بتدريبهم. وقد ظهر ذلك بوضوح في العديد من خطابات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان منذ تصاعد التوتر بشأن هذه القضية إذ تحدث مراراً عن الماضي العثماني وعن "إخوتنا" في شمال العراق قاصدا التركمان.

على الأرجح، يدرك رجب طيب أردوغان استحالة استعادة ما خسرته الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الثانية. سيكون التفكير بإمكانية حدوث ذلك من قبيل الجنون، سواء بسبب توازن القوى الحالي وموقع تركيا "المتواضع على الساحة الدولية والإقليمية، أو بسبب التغيرات التي طرأت على سكان شمال العراق وعلى الدول المجاورة بصورة عامة.

على صعيد الخطاب، تبدو استعادة التاريخ كجزء من آلية التعبئة الجماهيرية التي يتبعها حزب العدالة والتنمية. كما تبدو الإحالة على التاريخ العثماني أساسية في تكوين خطاب الحزب الذي يمكن تحديده كخطاب إسلامي– قومي.

الخطاب الواقعي، السياسي، لرجب طيب أردوغان ينطلق من حقيقة الفشل الذريع للحكومة العراقية في أن تكون ممثلا سياسيا لجميع العراقيين. بل ينطلق من تحولها، بعد هيمنة إيران وتشكيل قوات الحشد الشعبي، لتشكل التهديد الأول، حتى قبل داعش، لمكوّن عريض من مكونات الشعب العراقي. بكل واقعية، يمكن أن تجادل تركيا بأن الآثار التي تكبدتها بسبب الحرب العراقية والسورية شديدة الخطر والتكلفة إلى درجة لا يمكن أن تحافظ معها على سلبيتها. تعيش تركيا أزمة لاجئين غير مسبوقة في تاريخها باستضافة مليوني لاجئ سوري، وهي مهددة اليوم بسبب هيمنة إيران والحشد الشعبي على الحكومة العراقية بأن تستقبل مليونا ونصف مليون نازح من مدينة الموصل.

رئيس الوزراء العراقي يصر بدوره على أن أيّ مشاركة تركية في العمليات العسكرية سوف تفاقم من سوء المشهد العراقي، ويعتبرها تدخلاً خارجياً سافراً يشكل انتهاكاً للسيادة العراقية. ربما لا يوجد ما يمكن أن يثير السخرية بصورة أكبر من الحديث عن السيادة العراقية، وتفاخر العبادي بأن معركة الموصل جرت وتجري بقيادة عراقية.

منذ الاحتلال الأميركي في العام 2003، فقدت الدولة العراقية سيادتها. لم تبحث الحكومات العراقية المتعاقبة عن السيادة لأنها أدركت مدى هشاشة حكمها المسنود برعاية القوى الدولية والإقليمية. والحال أن تلك الرعاية مستمرة إلى اليوم وإن بأشكال ودرجات مختلفة. إذ بدأ التحضير للحملة العسكرية على مدينة الموصل منذ نحو عام. وقد شمل ذلك تدخلا مستمرا من قبل أميركا تركيا وإيران وكردستان العراق ودول وأطراف عديدة أخرى. ففي المناظرة الثالثة والأخيرة لانتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة، تفاخرت المرشحة هيلاري كلينتون بانطلاق معركة تحرير الموصل وبدور أميركا في تدريب وتسليح الجيش العراقي، فضلا عن إرسال قوات خاصة ومستشارين للمشاركة في العملية وتأمين تغطية جوية من سلاح الطيران الأقوى، من دون منازع، على صعيد العالم. باتت معركة الموصل شأنا داخليا أميركيا يطرح في سياق ما يهم المواطن الأميركي. مع ذلك، رددت كلينتون ما يحب حيدر العبادي والطغمة السياسية التي تحيط به سماعه إذ أن العملية تجري "بقيادة عراقية".

> معركة الموصل باتت شأنا داخليا أميركيا يطرح في سياق ما يهم المواطن الأميركي. مع ذلك، رددت كلينتون ما يحب حيدر العبادي والطغمة السياسية التي تحيط به سماعه إذ أن العملية تجري «بقيادة عراقية»

قد تكون القوات التي يجري زجها في هذا القتال عراقية بالكامل ولكن أمراً واحداً يمكن تأكيده في هذا المجال وهو أن القيادة ليست عراقية. حتى وإن سلمنا بأن القيادة العراقية تحظى بالدور الأكبر بحكم سيطرتها على الجيش وقوات مكافحة الإرهاب والحشد الشعبي، وجميعها تشكل أكبر قوة مقاتلين في العراق، فإن ذلك يتجاهل التغلغل الإيراني في تلك القيادة إلى درجة جعلتها تفقد أيّ معنى لتوصيفها بالعراقية.

تعززت الهيمنة الإيرانية على القيادة العراقية مع الانسحاب الأميركي من العراق، ومن ثم مع الاندفاع الروسي للمنطقة والذي أتاح لإيران حليفا قويا على المسرح الدولي والمحلي. وأخيرا، وفرت موجة الإرهاب الجهادي والتنظيمات السلفية الجهادية التي اجتاحت سوريا والعراق الفرصة التاريخية الأنسب لإيران للقيام بهجوم شامل في العراق وسوريا يهدف إلى إحداث تغيير ديموغرافي عبر عمليات عسكرية شديدة العنف.

وبهذا المعنى، ترى إيران وحلفاؤها الطائفيون أن أيّ مشاركة تركية أو سعودية يمكن أن تساعد في إيجاد ممثل متوازن ومتماسك للمكون السني في العراق. وهنا مكمن الخطر، إذ يعتبر إيجاد بديل عن الجهادية العدمية، التي يراد لها أن تكون الممثل الوحيد للمكون السني في العراق، الخطر الأكبر الذي يهدد الهيمنة الإيرانية الشاملة على العراق.

أبرياء متحضرون يتشبثون بجدران مدينتهم تحت وابل الحمم

أهل الموصل

بين رحى تحريرين 1959 - 2016

إبراهيم الجبين

❑ **برلين** – "نخلةٌ في الزابْ. كان يأتي العمرُ يقضي صبوةً فيها، ويصغي للأقاصيص التي من آخر الدنيا يُفضي بها الأعراب". هي كذلك، كانت تصغي للجميع، بأزقتها الحجرية المتعرجة، وبواباتها العالية. ربما يحتاج حالها اليوم، إلى من يصغي إليها، ويراها من خارج العراق. يصف ما عرفه عنها، وما يشهده من تراجيديا تحيط بها وتهدد وجودها كجوهرة على صدر المشرق، بعد أن كانت أحد أعظم أسباب كون المشرق عربياً. فلولا الموصل لما جاءت طيء وكندة وربيعة وعبد قيس وزبيد في هجراتٍ متواصلة على مجرى الأنهار الحضارية شمالاً وجنوباً.

نينوى المضيئة عبر العصور، عاصمة العالم القديم، والحضارات الأولى، التي روت التوراة أن ملوك الأشوريين كانوا يعنون بإحضار الغنائم والأسلاب معهم إليها، وتركها هناك، لتنمو المدينة وتزداد عظمة وغنى وجمالاً. حتى أنهم اعتبروا العالم القديم كله "عبداً لنينوى يمدّها بما تحتاجه".

فنيت نينوى بعد أن ولدت قبل آلاف السنين، لتنبت محلها على الضفة المقابلة للنهر، مدينة الموصل، واصلة الشام والمشرق كله بالشرق البعيد.

معركة الموصل الدائمة

الآن لم يبق سوى الموصل من حواضر المدن العربية القديمة، الأموية والعباسية، تكاد تكون واقفة على قدميها. وهي التي أعيد بناؤها وتسويرها في عهد عبدالملك بن مروان. حينها تم رصف شوارعها بالحجارة وشق نهرها "الحر"، لتتحول إلى عدوة من عدوات الفتح في جهة الشرق. لكن أهل الموصل لم يكونوا على توافق مع الأمويين، لأمر ما يخص علاقتهم بالمراكز الإدارية. ولعل نفوسهم، كانت ولم تزل، تأبى أن تُحكم من غير الموصل.

كذلك فعلوا مع العباسيين. فكان التوتر والحذر هو الغالب في علاقتهم مع كل سلطة، سواء كانت في دمشق أو بغداد أو سواهما. رغم أن الموصل شهدت في عهد العباسيين ولادة المدارس المرتبطة بالكنائس، وكان هذا تطوراً هائلاً امتازت به عن مدن العالم. حتى جاء اليوم الذي استطاع فيه الخوارج الاستيلاء على الموصل في عهد مساور الذي جعلها جزءا من إمارته، كما ذكر ابن خلدون وابن الأثير، غير أن العباسيين استردوها لاحقا.

لقد كان على كل من أراد حكم المشرق العربي أن يجعل أولى مهامه حيازة الموصل. فبعد كل "معركة للموصل" عادة ما يتغير المشرق.

روح كالموسلين

أهل الموصل من المسيحيين اليوم، يشكون تهجيرهم من "حصنا عبرايا" وهو الاسم السرياني القديم لما يعرف بمحلة القلعة على الساحل الأيمن للموصل على كتف دجلة، بعد أن رفعت عصابات داعش الصوت من المآذن بإمهال المسيحيين في الموصل ثلاثة أيام للخروج. "تركنا كل شيء، بيوتنا ومكتباتنا وطلعنا بحواسنا" هكذا يقولون. خرجوا بثيابهم فقط خشية القتل. هذا التغيير الكبير لم يحصل في يوم ويومين، ولكنّ قروناً ساهمت في مراكمته، بعد أن كان "الناقوس يُقرع في بغداد فيسمع صوته في تكريت"، كما يقال، وكما روى كتاب "الديارات" للشابشتي الذي وثّق كل دير وكنيسة في الموصل والجزيرة.

منذ أن أصبحت مدينة، لم تتوقف الموصل عن تصدير البضائع والمتاجرة بها، شرقاً، حتى وقعت تحت سيطرة العثمانيين، فأصبحت موانئها متجهة ناحية الغرب، على البحر الأبيض المتوسط في بعلبك وبيروت، وأصبحت منتجاتها تتدفق عبر ماردين وحلب ومنها إلى الشمال، ولم تبق امرأة عربية أو كردية لم تضع على رأسها خماراً من "هباري الموصل" الرمادية والحمراء والفضية والسوداء الحريرية. ولعل البعض لا يعلم أن ذهنية أهل الموصل التجارية خلقت ظواهر بقيت علامات فارقة في الأسواق العالمية مثل قماش "الموسلين" الذي حمل اسمه من اسم المدينة التي تصنعه "الموصل" وما زال حتى اليوم يعدّ من أفخر أنواع الأقمشة.

الموصلي موسيقي وحائك وتاجر. في بيئته تنتشر أسماء العوائل التي تعود إلى المهن المدينية، متفوقة على العشائرية والقبلية والروحية. وبمدنيته تلك امتد فضاء الموصل الحيوي إلى ديار بكر وماردين ودير الزور والرقة وحلب وإسطنبول ودمشق والقدس شمالاً وغرباً، وبغداد والبصرة والخليج العربي والهند جنوباً. كانت الثقافات والصناعات المختلفة ملامح تمدّن شكلت كلها أجنحة لذلك الفضاء. عاش فيه أهله الأصلاء من العرب المسلمين السنة والشيعة واليهود والمسيحيين، والأعراق المختلفة كالأكراد والشبك والإيزيديين والسريان والآشوريين.

«هنا الموصل» من حلب

حدثٌ وقع في العام 1959 تسبّب بهجرة أهل الموصل عنها إلى بغداد وعموم العراق. نشأ عنه فراغ سكاني في المدينة. فالموصل العريقة لم تحتمل، حينها، بمجتمعها المتماسك الهندسي، التغيير الذي رافق انهيار الملكية قبل عام من ذلك التاريخ. آنئذٍ قاد العقيد عبدالوهاب الشواف القيسي آمر اللواء الخامس بالموصل، والعميد ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية في كركوك والعقيد رفعت الحاج سري رئيس الاستخبارات العسكرية ومعهم آخرون، تحركاً انقلابياً عسكريا مدنياً عشائرياً سمّي بـ"ثورة الموصل"، رفضاً لـ"قطار السلام" أو "مؤتمر الشبيبة العالمية" الذي استفز منظموه حساسية أهل الموصل المحافظين.

عرفت الموصل كواحدة من كبريات مراكز الوعي القومي العربي في العراق والمشرق. وكانت فوق ذلك، وحسب الباحثين "موطن ما يتراوح بين ربع وثلث مجموع ضباط الجيش" في تلك الفترة. وبينما كان عدد سكانها يقدر بـ180 ألف نسمة، قيل إن 400 موصلي منهم فقط كانوا من الشيوعيين. وهذا لم يكن يرضي عبدالكريم قاسم. لذلك قرر اليساريون إغراق الموصل بالمؤيدين، فتدفق عشرات الآلاف منهم إلى المدينة.

رافق ذلك انتفاضة شعبية هائلة قام بها أهالي الموصل. فأصدر قاسم أوامره بقصف مقرات الشواف في الموصل. وكانت إذاعة "هنا الموصل" تذيع من حلب، بيانات الشواف وتندد بحكم قاسم. جرح الشواف واغتاله ممرض في المشفى. وكان الانتقام من الموصل بوابة للانتقام من طبقة سياسية وعسكرية نخبوية منها من أعدم بمحاكمات المهداوي الشهيرة، ومنها من اعتقل واتهم بالخيانة.

ورغم أن "ثورة الموصل" تلك لم تدم سوى يوم واحد عملياً، إلا أن القرار كان اجتياح الموصل وتحريرها من الانقلابيين. فتدفقت عليها سيول الميليشيات وما سمّيت بالمقاومة الشعبية التي تتبع مباشرة لقاسم والمشكّلة بالحرف من "حشود" من الإيزيديين وأتباع للبارزاني. وبدأت عمليات الانتقام الوحشية من السكان المدنيين والقتل والسلب والنهب لا تتوقف أعماله على مدى أيام.

ذكر المؤرخ الفلسطيني حنا بطاطو أن تلك الأحداث وصلت بالفعل إلى ما يمكن وصفه بـ"الحرب الأهلية"، لأن أهل الموصل لم يقفوا مكتوفي الأيدي. وقال مهدي حميد قائد ما سمّي بالمقاومة الشعبية في الموصل إن عبدالكريم قاسم أصدر يومها أوامره بـ"إبادة كل من أظهر مقاومة أو حمل السلاح ضد الحكومة". ونشرت جريدة "اتحاد الشعب" الصادرة عن الحزب الشيوعي العراقي، في عددها بتاريخ 13 مارس 1959 مقالاً لصلاح الخرسان معلقاً على مجزرة الموصل قال فيه بالحرف "انجلت المعركة. فإذا بالعشرات من المجرمين الشرسين العتاة مدنيين وعسكريين، صرعى في دورهم أو على قارعة الطريق في الموصل وتلعفر".

في السادس عشر من أبريل من العام 1972 منحت الحكومة العراقية حقاً خاصاً تميزت به عن بقية دول المشرق، بإقرارها لقانوني "الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية" و"قانون المجمّع العلمي السرياني". فانتعش مسيحيو الموصل. وبعد الاحتلال الأميركي للعراق وإسقاط نظام الرئيس صدام حسين، بدأ استهداف المسيحيين من جديد. كان عهد سبعينات وثمانينات القرن العشرين عهداً مختلفاً بالنسبة إلى الموصليين، ففيه بنت الدولة العراقية سد الموصل الكبير وأولت اهتماماً خاصاً للتعليم والجامعات والخدمات. فاستقرت المدينة وازدهرت وتجاوزت البصرة لتصبح ثاني مدن العراق.

الموصل بعد الاحتلال الأميركي

احتلت الموصل بعد يومين فقط من الاحتلال الأميركي لبغداد، بقيادة الجنرال بترايوس قائد الفرقة 101 ومعه القوات الكردية، وتم نهب مصارفها وثرواتها. وبقي أهلها منذ العام 2003 رافضين لكل أشكال المشاركة في ما سمّي بالعملية السياسية. فاستغل الكثيرون الفراغ الذي خلفه إصرارهم على المقاطعة السياسية. واندفعت فئات وشرائح لتحل محلهم في تمثيل الموصل في بغداد ومؤسسات الدولة العراقية الجديدة.

وصل لواء "الذئب" إلى الموصل سريعاً. وبدأت المدينة تشهد عمليات وحشية بقيادة قائد اللواء "أبو الوليد" وأخذ أهلها يعانون من المعتقلات والتعذيب، لاسيما موظفو الدولة السابقون، وضباط الجيش العراقي الذي كان قد تم حلّه.

خلف "لواء الذئب" النقيب جبار حسن الكردي الذي نكّل بأهل الموصل باسم الشرطة، ثم جاء الدور على ناصر الغنام آمر الفرقة الثانية، الذي أصدر أمراً بتقسيم الموصل إلى قطاعات لتسهل السيطرة عليها، وسط الحواجز الأمنية والسيطرات التي كانت توقف الأهالي وتهينهم وتذلهم وتكسر شوكتهم. وتم تطبيق الإجراءات الأمنية المشابهة لما تقوم به قوات الاحتلال بحق أهالي الموصل، فكان عليهم أن يستخرجوا الموافقات الأمنية قبل أن يقدموا على فعل أي شيء. وتحولت حياتهم إلى جحيم.

ازدادت الاعتقالات والقتل تحت التعذيب وغاب القانون كلياً عن المدينة الحدباء. وتم استنزاف المدينة الثرية بالتجار والمثقفين والصناعيين، من خلال الفساد الذي كان يضرب كل معاملاتهم الرسمية، وعلى رأسها الاطمئنان على أبنائهم المعتقلين. فلم يكن ذلك يحصل دون دفع الرشاوى للمعنيين. جاء بعد الغنام مهدي الغراوي قائد الفرقة الثالثة، الذي واصل مسيرة الضغط على الموصل وأهلها. وأهان القضاة واعتقل المزيد من المصلاويين، وأغلق الساحات والشوارع وشرعن الإعدام الميداني بلا قضاء ولا محاكمة.

لكن الموصل كان قد قررت أن تثور من جديد. ولم يكن لدى العقول التي لا تريد لها هذا، سوى تسليط أخطر التنظيمات الإرهابية في العصر الحديث عليها.

بين فكي داعش

كان الغراوي أول العسكريين المنسحبين من الموصل أمام بضعة مئات من إرهابيي داعش في يونيو 2014. وحين صدر التقرير الرسمي الذي أعدته لجنة برلمانية عراقية، حمّل رئيس الوزراء السابق نوري المالكي و35 مسؤولاً آخرين مسؤولية سقوط المدينة بيد داعش.

يذكر ذلك التقرير أن المالكي لم يكن يتوقع سقوط الموصل، وأن خط الدفاع الأول، اللواء السادس في الفرقة الثالثة، كان يضم فقط 500 مقاتل معظمهم ينقصهم السلاح والذخيرة. لكن أبرز تعليق على ما جرى حينها، صدر عن أمين عام وزارة البيشمركة في إقليم كردستان العراق الفريق جبار ياور، الذي قال إن عدم وجود "عقيدة قتالية" مشتركة بين عناصر الجيش العراقي الاتحادي كان المسبب الرئيسي لسقوط الموصل وانهيار الجيش وهروبه.

جاءت التعليمات من جهة مجهولة للغراوي وبقية القادة بالانسحاب، وترك الجنود بزّاتهم العسكرية وعتادهم وخوذهم في الشوارع وفرّوا. واستولى داعش على أموال البنوك في الموصل، التي قدر المكشوف عنها منها بنصف مليار دولار، وعلى أكثر من 2300 عربة هامر أميركية من الجيش، وعلى مئات الأطنان من الذخائر التي تركها الجيش خلفه. وقام التنظيم بإعدام ما يقارب 3250 مدنيا من أهل الموصل خلال العام الأول من سيطرته عليها. وأعدم في العام التالي قرابة 880 مدنيا، وتسبّب بنزوح أكثر من نصف مليون إنسان منهم. وبقي ما يقارب المليون ونصف المليون موصلي رهائن لدى داعش في قلب المدينة. وبدأت الإبادة الجماعية بحق أيزيديي سنجار التي تتبع للموصل.

وبدءاً من فبراير العام الماضي 2015 طبق داعش حملة تدمير واسعة لأشهر المعالم الأثرية في الموصل، مستهدفا متحف المدينة. ودمر مدينة نمرود الأثرية الآشورية شرقاً، ومدينة الحضر التاريخية جنوب غرب الموصل، ومدينة خورسباد الأثرية شمال شرق الموصل. إضافة إلى تدمير مكتبة الموصل وقلعة تلعفر ومرقد النبي يونس وقلعة باشطابيا وبوابتي أدد والمشكى.

تحت «التحرير»

بقيت الموصل من صيف العام 2014 وحتى خريف هذا العام 2016 تحت احتلال تنظيم دموي وحشي، دون أن يسعى الجيش العراقي إلى تحريرها إلا بعد تكوين تحالف دولي كبير. وفي تلك الأثناء امتلأت وسائل التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت بالمقالات والخطب ومقاطع الفيديو التي تتهم أهل الموصل بالخيانة لأنهم لم يطردوا داعش، بعد أن تسلّمهم التنظيم الإرهابي منهكين عزلاً من كل سلاح من يد الحكومة العراقية.

واليوم يشنّ التحالف الدولي ومعه الجيش العراقي وقوات البيشمركة وميليشيات الحشد الشعبي الطائفية حرباً عنيفة لما أسموه "تحرير الموصل"، العملية التي كتبت عنها بعض الصحف في دول العالم من أن إيران بقيت قروناً طويلة تتحضر لها. ولم يكن ليسهل عليها هذا لولا احتلالان تمهيديان؛ الأول أميركي في العام 2003، والثاني داعشي في العام 2014.

> الموصل بقيت من صيف العام 2014 وحتى خريف هذا العام 2016 تحت احتلال تنظيم دموي وحشي، دون أن يسعى الجيش العراقي إلى تحريرها إلا بعد تكوين تحالف دولي كبير. وفي تلك الأثناء امتلأت وسائل التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت بالمقالات والخطب ومقاطع الفيديو التي تتهم أهل الموصل بالخيانة لأنهم لم يطردوا داعش

كان من بين أهل الموصل الرَفَّاء الموصلي، والرفاء تعني المطرّز أو الخياط. وكان من مدّاحي آل البيت المحبين البارعين، وهو من أطلق على الموصل اسم "الزهراء"، قبل أن يغادرها منفياً إلى حلب. وهناك قال عنها "سقى رُبى الموصل الزهراء من بلد/ جودٌ من الغيث يحكي جودَ أهليها/ أرضٌ يَحنّ إليها من يفارقها/ ويحمدُ العيش فيها من يُدانيها".

أبحاث أنثروبولوجية وتاريخية كثيرة ستجرى لإدراك ما الذي تعرّض إليه أهل الموصل، الذين احتفظوا رغم كل شيء بلهجتهم الخاصة، وأزيائهم وتراثهم الحاني الرقيق، فقد تكون هذه هي أيامه الأخيرة.

همجية داعش وأشباهه من أصحاب المشاريع الطائفية والعنصرية الغرائزية تردد رغبات آخرين لطالما حلموا بتدمير "مدنية" أهل الموصل. وكان دليلهم في هذا بضع كلمات تبعثرت هنا أو هناك في ذهنيات وكتب قديمة، "فلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة"، كما تقول التوراة. والآن لا أحد يشفق على أمّ الربيعين ولا على أهلها الأنقياء الباقين بين جدرانها الحجرية العتيقة.

● أبحاث أنثروبولوجية وتاريخية كثيرة ستجرى لإدراك ما الذي تعرض إليه أهل الموصل، الذين احتفظوا رغم كل شيء بلهجتهم الخاصة، وأزيائهم وتراثهم الحاني الرقيق، فقد تكون هذه هي أيامه الأخيرة.

إماراتي يبحر بعيدا في فضاء الكتابة

علي أبو الريش

الروائي تحت سحر اللاشعور

خالد عمر بن ققه

❑ **أبوظبي** – "العقل الجبار في خدمة اللاشعور أو الماكر" تلك هي الخلفيّة التي يؤسس عليها الأديب الإماراتي علي أبو الريش، كتاباته، منذ أن بدأ نشر قصصه في العام 1979 وإلى غاية اليوم في رحلة لم تنقطع. وظفت تارة المحلي، القروي، الصحراوي، والبحري- المائي، وتارة أخرى في تقديم صيغ إنسانية، يتفاعل معها القارئ، خاصة إذا تميز بالصبر. ذلك أن أبو الريش يغرقه في تفاصيل الأحداث، ويجعل اللغة مهيمنة عليه، فيستسلم لمفرداتها ومعانيها، وقد يتحول الاستسلام إلى عشق.

> إعادة النظر في قضايا تاريخية تعتبر من البديهيات والثوابت وهي ليست كذلك، يرى أبو الريش أنها عملية ضرورية الآن، إضافة إلى مراجعة الخطاب الديني والمناهج التعليمية، وهنا لا بد أن نكون شركاء في التأثر بالأفكار والنظريات العالمية

تعود علاقتي بعلي أبو الريش إلى نهاية صيف العام 2000، وذلك حين التحقت بجريدة الاتحاد باحثا، وكان وقتها مديرا للتحرير، وظلت تلك العلاقة ممتدة حتى بعد أن تركت الجريدة وانتقلت إلى تلفزيون أبوظبي، وأيضا بعد أن ترك هو منصب مدير التحرير في 2008، وأصبح مديراً لمشروع "قلم" وعضواً في هيئة الثقافة والتراث. ولذلك أعتبر نفسي من بين شهود كثر، مسؤولين عن التحرير وصحافيين، على توظيفه لعنصر الزمن- اقتطاعا وتحكما واستثمارا - في حركة الصحافة اليومية القاتلة، مع أنه كان أول من يدخل الجريدة وآخر من يخرج منها، مما يعني ولادة عدد جديد من الجريدة، وإشراقة يوم جديد.

التضاريس الوجدانية

عمليّا لا يمثل الزمن القضية الأساسية لأبو الريش، ذلك لأنه يراه عنصرا متغيرا، ولهذا أولى اهتماماً خاصاً لما أطلق عليه "التضاريس الوجدانية"، النابعة أساسا من التضاريس الجغرافية. وربما لهذا السبب اعتبر في تصريحه لـ"العرب" أن الساعة التي كان يقتطعها أثناء العمل، وهي للعلم كانت يوميا ما بين الثانية عشرة والواحدة ظهرا، "أهم من ناحية الإبداع من الساعات الطويلة التي يقضيها في تفرغه للكتابة في الوقت الحاضر"، نسأله: أليس ذلك الزمن الماضي قصيراً وخانقاً؟

يجيب أبو الريش قائلا "جريدة الاتحاد كانت هي كل عالمي، أغدو إليها وأروح كل يوم، وأقضي فيها وقتا أضعاف ما أقضيه مع أسرتي، والساعة التي أقتطعها من العمل، تأتي دائما بعد اجتماع مجلس التحرير الصباحي، ومن خلال ذلك الاجتماع، وتفاعلي مع الصحافيين، ومطالعتي للصحف اليومية، تنهمر لديّ أحداث الرواية، ما يعني أنكم كنتم جميعا تخلقون عندي حالة من الاستفزاز، تساعدني على الكتابة، فشخوص الروايات والأحداث التي كتبتها هي نابعة من الاستفزاز اليومي، وهو ما أفتقد اليوم. لقد كانت جريدة الاتحاد بيئة مساعدة للإبداع، ولهذا كلما مررت بجانبها في أيّ وقت تتدفق لديّ مشاعر خاصة".

ما ذهب إليه أبو الريش يبدو متناقضاً مع رواياته، فمعظمها يستدعي حضورا لبيئته المحليّة وخاصة قريته "معيريض"، التي تحدث عنها في عدد من رواياته، منها على سبيل المثال "ثنائية مجبل بن شهوان"، "ثنائية الروح والحجر والتمثال"، "زينة الملكة"، "ك- ص ثلاثية الحب والماء والتراب".

ما يعني أن حالة الاستفزاز لم تجعل من الحاضرين معه في الجريدة أو في مدينة أبوظبي أبطالا أو شخوصا في روايته، لكن أبو الريش يخالفنا الرأي، وعن ذلك يقول لـ"العرب"، "بداية، لو كتبت عن معيريض مئات المؤلفات فلن أفيها حقها، وأودّ الإفصاح هنا على أمر هام، وهو أن فضاء الحركة والحياة وفهم الوجود الإنساني كان ضمن عالمين فقط، هما معيريض وجريدة الاتحاد، وفي هذه الأخيرة كنت أستفز للكتابة - كما ذكرت سابقا - وأوظف تلك الحالة في استدعاء معيريض، هنا تتكسر الحواجز ليطغى الوجدان بتضاريسه المختلفة. وما يتبع ذلك من كشف لستار الكبت بكل أنواعه".

ثقافة عدوانية

الواقع أن أبو الريش لا يكتفي بإظهار المكبوت في نصوصه، انطلاقا من أن اللاشعور عنده هو الأساس فقط، اعتمادا على تخصصه ودراسته. ولكنه وعبر عدد من مؤلفاته الفكرية والفلسفية والنفسية، منها روايته الجديدة "ورطة آدم" التي ستعرض في معرض الشارقة الدولي للكتاب في بداية نوفمبر المقبل، يربط ذلك بالثقافة العربية، التي يراها عدوانية، مطالبا بإعادة صياغتها من جديد، والاعتراف بالمزيف منها، حتى تصبح فاعلة في الحقل العالمي للثقافة، ويتم ذلك عبر إعادة النظر في قضايا تاريخية اعتبرت من البديهيات والثوابت وهي ليست كذلك، وأيضا إعادة النظر في الخطاب الديني، وفي المناهج التعليمية، وهنا لا بد أن نكون شركاء في التأثر بالأفكار والنظريات الفلسفية الكبرى.

في نظر أبو الريش هناك ثلاث نظريات فلسفية كبرى على المستوى العالمي، سبق أن ذكرها في العديد من الندوات والمؤتمرات واللقاءات، وهي فلسفة كوبرنيكوس عندما قال إن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض، واستطاع أن يغيّر وجهة نظر الإنسان عن مركز الكون، وبأنه جزء من مكونات وكائنات أخرى.

ونظرية التطور لتشارلز دارون والتي تتلخص في أن الإنسان ليس كما هو بل هو متغير، وهو ما دفع الإنسان إلى أن يبحث عن ماهيته، وتكوينه حتى وصلنا إلى هذه المرحلة التي يسيطر فيها الإنسان على الطبيعة.

أما الثالثة، فنظرية سيغموند فرويد وهي أن مركز التفكير ليس بالشعور بل باللاشعور، وكل التصرفات ناتجة عن العقل الباطن.

أبو الريش لا يطرح النظريات السابقة من منظور الاستعراض المعرفي أو التنظير أو الترف الفكري، وإنما أسّس عليها جل أعماله، خاصة نظرية فرويد. ولذلك يتوقع النقاد أن تلقى أعماله نجاحا باهرا في حال ترجمتها إلى عدد من اللغات العالمية.

الكتابة الصعبة

أما محليا وعربيا فإن أعمال أبو الريش تحظى باهتمام متزايد حتى أن بيانا صدر مؤخرا عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، بعد حصوله على وسام دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وصف تجربة أبو الريش بأنها "الأبرز في مجال الرواية"، فهو في نظره "مؤسس ورائد"، مضيفا "إن أعماله صاحبة أول اختراق حققته الرواية الإماراتية للحاجز المحلي، لتنطلق بعدها في الفضاء العربي، ويصبح لها حضورها جنباً إلى جنب مع كبريات التجارب العربية".

من ناحية أخرى فإن علي أبو الريش، صاحب الـ22 عملاً، لا يزال يصبو إلى المزيد من العطاء، ويتمنى أن يكون مثل بعض الكتاب العرب المشهورين، وهنا ينظر إلى المبدع الليبي إبراهيم الكوني باعتباره الأهم إبداعيًا على الساحة العربية، خاصة في الرواية المتعلّقة بالصحراء. وبهذا الخصوص يقول أبو الريش "الكوني أهم روائي عربي الآن، لأنه يأخذنا إلى عوالم أخرى، وبالنسبة إليّ يدخلني فضاء أتمنى أن أكون فيه".

على خلاف الكثير من الكتاب، لا يهتم أبو الريش كثيرا بأمرين؛ الانتشار، والجوائز. وعنهما يقول "لا يهمني كثيرا أمر التوزيع أو الانتشار، فتلك من اهتمامات الناشر. وإنما يعنيني بالأساس قراءة كتبي بوعي، فلو تفاعل معها 10 قرّاء، لكان أفضل من أن يقرأها آلاف الأشخاص، كما أني لست مهتما بالجوائز، ولا أترشح لها. صحيح أنا لا أرفضها، ولكنّني أيضا لا أسعى إليها من خلال تقديم أعمالي، وذلك للعديد من الأسباب منها؛ أنها لا تعبر حقيقة عن الإبداع، وأنها تخضع لشللية قاتلة للعملية الإبداعية، ولأنها، أحيانا، تخضع لاعتبارات وحسابات بعيدة عن الأدب والفكر".

نصوص أبو الريش الإبداعية تتميز بلغة عالية. وتبدو عصيّة على القارئ العادي، وأحيانا على أهل الاختصاص. يشوّش فيها طول النفس في سرد الأحداث على القارئ لدرجة يتعذر معها، أحيانا، متابعتها، الأمر الذي يتطلب قراءة النص للعديد من المرات، وهذا يفقده عنصر المتعة.

كما أن الدخول في تفاصيل الأحداث إلى حد يجعلها مملة، ناهيك على أنها تجعل من المؤلف عبدا لها. علاوة على أن القضايا التي يطرحها في أعماله ذات فلسفة عالية، وتستند إلى مدارس علم النفس، ولذلك يتعذر تحويلها إلى أعمال تلفزيونية. ولذلك تسطو لديه الكتابة الأدبية على السياسية في عموده اليومي "مرافئ"، مع أنه يتناول قضايا يومية، خاصة بالشأن العام، ذات طابع سياسي بالأساس.

● اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وعلى إثر حصول أبو الريش على وسام دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، يصف تجربته بأنها "الأبرز في مجال الرواية"، فهو في نظر الاتحاد "مؤسس ورائد"، مضيفا في بيان رسمي "إن أعماله صاحبة أول اختراق حققته الرواية الإماراتية لحاجز المحلية".

مفكر فرنسي يرى الشرق كما يراه العرب

جان بيير فيليو

الغزو الأميركي للعراق أيقظ شياطين الحقد في المنطقة

زويا بوستان

❑ **إسطنبول** – ضمن فعاليات جمعية "مدينا" للتضامن الدولي مع ضحايا النزاعات، هذه الجمعية التي ساهم في تأسيسها منذ خمسة عشر عاماً، استهل جان بيير فيليو حديثه في ذكرى تأسيسها عن حلب المدينة، مشيراً هنا إلى التطابق اللفظي بين اسم الجمعية الذي هو اسم صبيّة بوسنية لها قصة حزينة من أيام الحرب، وكلمة مدينة بالعربية، ليدلل عبر هذا المدخل على الحرب التي يشنها طيران الأسد والطيران الروسي في سوريا على المدن والمدنيين والمدنية بشكل عام في بلد ساهم يوماً ما في خلق مفهوم المدنية والمدينة.

> الباحث الفرنسي الشهير جيل كيبيل يصف فيليو بالمؤرخ الملتزم، ويكتب معه بالإضافة إلى عدد كبير من الباحثين والمختصين في قضايا الشرق الأوسط كتاب «من هو داعش» كرسم لصورة إرهاب الجيل الثالث من تنظيم القاعدة. داعش الذي يقوم ذهنيا على خليط من «المعتقدات القديمة» الممتدة إلى زمن النبي محمد

عاد فيليو بذاكرته إلى ثمانينات القرن العشرين عندما اكتشف حلب وحرب النظام عليها في تلك الفترة، مستذكراً بحكم وجوده صدفة هناك، استخدام النظام لقلعتها الشهيرة كقاعدة لانطلاق مروحياته وقذائفه باتجاه سكانها، وهذا، بحسب قوله، متطابق تماماً مع ما يحدث اليوم في حرب النظام على المتظاهرين والشعب.

فيليو أكاديمي فرنسي ومؤرخ وباحث في الشؤون العربية، ومتخصص في الإسلام المعاصر. درس في معهد العلوم السياسية في باريس، ثم حصل على دبلوم المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية باللغتين العربية والصينية، ما أهّله لأن يصبح ممثل الاتحاد الدولي لحقوق الإنسان في لبنان خلال فترة الحرب الأهلية، وليكتب في العام 1984 أول تقرير عن مأساة المدنيين الذين "اختفوا" في الصراع اللبناني اللبناني، ويدلي بشهادته حول هذا الموضوع أمام لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة.

وفي العام 1986 كان فيليو مسؤولاً عن إنشاء مشروع إنساني في منطقة تسيطر عليها القوات الأفغانية المقاومة للسوفييت في أفغانستان، وتدرّج منذ العام 1988 في عدة مناصب حكومية في فرنسا بالإضافة إلى توليه مناصب دبلوماسية في الأردن وسوريا وتونس. ويقوم فيليو بتدريس العلوم السياسية في باريس في مركز البحوث الدولية.

حدود الجهاد

نشر فيليو العديد من المقالات عن العالم العربي الإسلامي في فرنسا كما ترجمت كتبه وأبحاثه إلى اثنتي عشرة لغة في العديد من الدول حول العالم.

كتابه الصادر عن دار فايار "ميتران وفلسطين"، يتناول فيليو فيه سياسة ميتران في التعاطي مع الدولة العبرية، حين يرصد تحولات العلاقة بين الرئيس الفرنسي الراحل و بين إسرائيل، فبعد أن كان صديقاً لها متودّداً لشعبها، مقراً لتاريخها، ساقته الظروف إلى خوض غمار تجربة العداء مع الحكومة الإسرائيلية من أجل الدفاع عن منظمة التحرير الفلسطينية.

"حدود الجهاد" كتاب صدر لفيليو حاول من خلاله رسم لوحة جدارية، بحسب تعبير الناشر، للجهاد الذي نشأ مناهضاً للاستعمار مع خوض عميق في الجذور التاريخية للإسلام، واصفاً في الوقت ذاته البروز المعاصر للظاهرة على نطاق عالمي، والاستيراد المدمّر لهذه العقيدة في البوسنة والشيشان وكشمير، ومحاولة خلق قواعد له في السعودية والأردن، ثم استقرار تنظيم بن لادن في العراق تحت اسم "قاعدة الجهاد". في هذا الكتاب يكرّس الكاتب محاولة حقيقية لفهم قضايا الجهاد واقعياً، والحدود الناشئة بين حروب الجهاد، وهنا يظهر التوجه الدؤوب لجان بيير فيليو خلال عمله عن تنظيم القاعدة لتأكيد القطيعة بين هذا التطرف القاعدي المعاصر وبين تقاليد الإسلام.

"القيامة في الإسلام" هو العمل الذي يأخذ القارئ إلى محاولة تفسير للعداء الصاعد بين الدول الإسلامية والغرب بين عامي 1979 و2007 حيث يشرح كيف ساهم الغزو الأميركي للعراق بإيقاظ شياطين الحقد عند سكان المنطقة.

واصل فيليو بحثه في تطور التنظيمات الإسلامية المتطرفة، فكان كتابه "الحيوات التسع للقاعدة" الذي نشره عام 2009 ثم أعاد طباعته في الـ2011. ويستند فيه إلى أفضل المصادر والوثائق، ليتيح للجمهور إمكانية الاطلاع على مفاتيح النجاح الدراماتيكي لأنصار بن لادن متبحّراً أيضاً في عوامل واحتمالات فشلهم، ليترك القراء أمام سؤال يراودهم خلال تجوالهم في صفحات الكتاب، سؤال يقول: هل ستكون الحياة التاسعة هي الأخيرة من عمر القاعدة؟

الأمر الذي جعل النقّاد يتفكرون فيه ويفكرون في إمكانية انهيار القاعدة الآن، حيث كان مجيء باراك أوباما إلى الحكم في الولايات المتحدة الأميركية بيد ممدودة للعرب المسلمين ضربة قاصمة لأسامة بن لادن، جعلت الأخير يعوّل للخروج من أزمته على ما يمكن أن ينتجه هجوم غربي، أو إسرائيلي ربما، على المنشآت النووية الإيرانية من كوارث وتداعيات. وإذا كانت القاعدة الآن في موقف لا تحسد عليه منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أميركا، والكلام هنا للوموند الفرنسية في قراءتها لكتاب فيليو، فهذا لا يعود فقط إلى أنّ خصومها وجدوا طريقهم للتعامل معها بعد سنوات من التشتت والتخبط، وإنما بسبب ارتكابها للأخطاء مراراً وتكراراً، ما ولّد تجاذبات داخلية شديدة الضراوة في صفوف المنتسبين إليها.

هذا الاشتغال والبحث الكثيف في عمل الجماعات الجهادية والقاعدة والذي يندرج ضمن عمله كمختص في الشؤون الإسلامية على مدى سنوات، سنراه لاحقاً أو نلمس ظلاله في كتاباته عن ثورات الربيع العربي من تونس إلى سوريا، والتي يرى أنها تشهد تسوية تاريخية بين الإسلام السياسي والتيارات الوطنية والليبرالية والمعاصرة طالما أنها وبحسب وصفه ثورات طويلة الأمد أي ثورات ممتدّة في الزمن.

ربما لا ينطبق هذا الكلام على المراحل الانتقالية التي تلت ثورات بعض البلدان العربية والتي شابها القلق والخوف الذي ينتاب جميع الأطراف؛ إسلاميين وعلمانيين وليبراليين، كلٌ بناءً على أسباب خاصة به تاريخية ومرحلية.

وهنا نلحظ فيليو المنهمك بثورات الربيع العربي لدرجة الدفاع عنها والانحياز إليها، حيث يقول عنه جان دومينيك ميرشيه بأن مواقفه بحسب بعض الخبراء تصنّف على أنها قريبة ومتعاطفة مع المتمرّدين السوريين ولنفس الأسباب يصفه الباحث الفرنسي الشهير جيل كيبيل بالمؤرخ الملتزم الذي سيكتب معه فيما بعد بالإضافة إلى عدد كبير من الباحثين والمختصين في قضايا الشرق الأوسط كتاب "من هو داعش" كرسم لصورة إرهاب الجيل الثالث من تنظيم القاعدة. داعش الذي يقوم ذهنياً على خليط من "المعتقدات القديمة" الممتدة إلى زمن النبي محمد، وتكنولوجيا شبكات التواصل الاجتماعي المعوّل عليها في نشر بروباغاندا التنظيم وعمليات غسيل الأدمغة، ما يجعل التنظيم دولة بلا حدود، ممتداً خارج الجغرافيا، ومن هنا انطلق الباحثون لمعالجة هذه الفكرة عبر تفكيك النصوص، والخرائط، وبنى التكوين الذهني، والتعليمي لأفراد داعش معتمدين على الذكاء الجمعي من أجل محاربة الخوف من المجهول، وخاصة إذا كان هذا المجهول يقرن وجوده بقتل الإنسان، أو نفي وجوده.

فيليو وسلام المقابر

ربّما كان لمكوثه فترة طويلة من الزمن في سوريا منذ ثمانينات القرن العشرين وإتقانه لهجتها تأثير على انخراطه في الهمّ السوري، دور في اهتمامه بما يحدث فيها، لا سيما وأنه كان شاهداً على مذابح ثمانينات القرن الماضي في عهد حافظ الأسد ما وفّر له فرصة قيّمة لمقارنة عنف اليوم بالأمس، بناءً على ملاحظاته التي خزّنها عن حلب، والتي يقول عنها في كتابه "أكتب لكم عن حلب" الصادر في العام 2013 "إنها ليست مختبراً لمرحلة ما بعد بشار الأسد فقط، وإنّما هي المكان الذي يمكّننا من قراءة مآلات الثورة السورية انطلاقاً من أشدّها احتراماً، وانتهاءً بأكثرها طائفية"، ويضيف "حلب هي سوريا اليوم وشرق أوسط الغد".

يقدم فيليو نفسه خلال محاضرة له في مخيم الزعتري عن الشرق الأوسط الجديد على أنه باحث وأكاديمي ودبلوماسي فرنسي، دون أن ينسى الإشارة بحميمية إلى الكوفية التي تطوق رقبته والتي يحتفظ بها كذكرى عزيزة جداً من صديقه الدمشقي. في هذه الزيارة التي حرص أن يقوم بها مع ابنه دييغو الناشط في جمعيات حقوق اللاجئين، يشرح فيليو ملخص كتابه "الشرق الأوسط الجديد، الشعب في زمن الثورة السورية"، وكيف يمكن أن يساهم سقوط الأسد في تغيير منطقة الشرق الأوسط التي يعتبر الشعب السوري عصبها، ومكوناً أساسياً من مكوناتها.

قراءة فيليو وتحليله الدائم لسياقات الثورة السورية، ومخرجاتها، ينبثقان من مدى معرفته بالواقع السوري، وبإيمانه بعزيمة السوريين الذين يمدهم التوحش بالقوة على مجابهته، وهذا ما يؤكده في مقالته "الانتفاضة السورية مكتوب عليها الانتصار" والذي نشر مترجماً في موقع الجمهورية حيث يقول "الانتفاضة الشعبية ليس لديها أيّ خيار سوى إسقاط الدكتاتور وآلة الإرهاب التي لديه. تلك 'الدولة البربرية' في سوريا، حسب تعبير الراحل ميشيل سورا، لا تستطيع في الواقع تقديم أدنى تنازل عن تحكّمها المطلق بالمجتمع. إنها الحرية التي على الشعب السوري أن ينتزعها خطوة خطوة، ولا يمكنه التراجع وهو مهدّد بإبادة مشابهة لتلك التي فرضت على مدينة حماة عام 1982.

انظر إلى صور حمص والقصير التي 'استعادها' النظام السوري. ليس هناك سوى أطلال فارغة من جميع سكّانها، حرفياً سلام مقابر".

إنه الإيمان بالقتال حتى الموت ضد نظام متوحش ما يمدّ تلك الانتفاضة بالطاقة، على الرغم من انقسامها في وجه آلة الحرب عديمة الرحمة التي يملكها الطاغية.

جذور داعش

لا يغيب عن فيليو الذي يتعرض دائماً في لقاءاته للسؤال المحموم نفسه عن الإسلاميين والخوف منهم، أن بشار الأسد كان يباهي مع علي مملوك أحد كبار مسؤوليه الأمنيين أمام القادة الأميركيين بالقدرة على اختراق المجموعات الإرهابية منذ أيام غزو العراق، وبأنه كان ينفي نفياً قاطعاً وجود مظاهرات سلمية في شوارع بلده، إلى أن جاء عفوه الانتقائي عن قيادات من الإسلاميين كانت في السجون "بعضهم كان في العراق وساهم فيما بعد بتأسيس (جبهة النصرة)".

ولربما كانت إحدى وسائله لإنصاف الثورة المتروكة، هي الكتابة الدؤوبة عنها، سواء كان عبر مقالات في الصحف الفرنسية وغيرها أو في المدونة الخاصة به والمليئة بالكتابات عن السوريين وثورتهم، أو من خلال كتبه التي كان آخرها كتاب "سيدة دمشق" وفيه قصة فاطمة وكريم السوريين اللذين تربطهما عاطفة شبه مستحيلة في إحدى ضواحي دمشق التي هزتها الثورة، ضمن استعادة لرواية روميو وجولييت في القرن الحادي والعشرين حيث تتلاقى مصائر شابين يتحملان عذابات وعناء وجودهما في ظل بربرية يومية.

انهمك فيليو بقضايا المنطقة حتى أصدر بالتعاون مع الكاتب ديفيد بي كتاباً يحكي تاريخ العلاقات بين الشرق الأوسط والولايات المتحدة الأميركية بعنوان "أفضل الأعداء" مستخدماً الرسوم التوضيحية من أجل فهم أفضل للتاريخ السياسي المعاصر.

وله كتاب بعنوان "كامارون ثورة الفلامنكو" صادر عام 2010، كما أنه أصدر عام 2011 كتابه "عشرة دروس في النهضة الديمقراطية" ثم أصدر في العام 2015 كتابه "العرب؛ مصيرهم ومصيرنا".

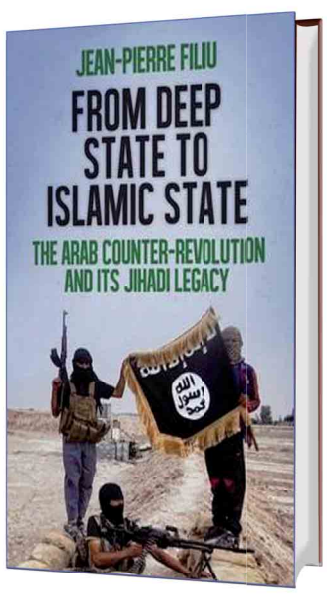

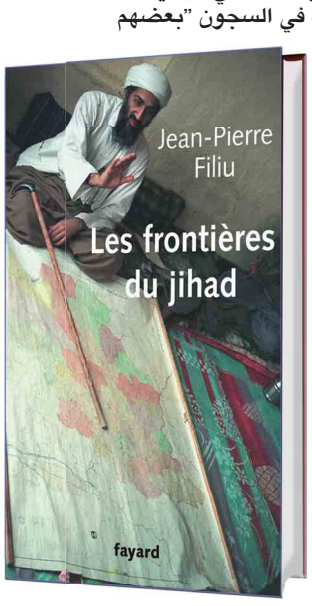

● صفحة من أحد كتب جان بيير فيليو التي يقدم في بعضها الواقع مصوراً حول قضايا هامة وحساسة في العالم.

رسام الجمل الهذيانية

محجوب بن بله
جزائري تمرد على الحروفية ليدحرها بإيقاعاته

فاروق يوسف

لندن – لن يكون نافعا أن يبدأ التعريف به بأنه ابن أخ للرئيس التاريخي للجزائر. لمخوب بن بله الذي عاش طويلا بعيدا عن بلده، لم يكن معنيا بالسياسة في فنه، بل إن شهرته العالمية لم تعطه الفرصة للاهتمام بانتشار فنه محليا وهو الذي عاش زمنا طويلا، ولا يزال، في فرنسا، ولم تعرض رسومه في الجزائر قبل العام 2012.

الموسيقى بهيئة حروفية

أكثر من أربعين سنة من الإقامة في فرنسا منحته أشياء ما كان في إمكان وطنه أن يهبه القليل منها. على الأقل على مستوى السعة في انتشار أعماله شعبيا. ومن أمثلة ذلك عمله "عكس الشمال" الذي غطى الفنان فيه مسافة 12 كيلومترا من طريق باريس ـ روباي عام 1986 أو عمله الذي عرض على مساحة أربعة آلاف متر مربع في ملعب باسيمبو بساوباولو البرازيلية عام 1999 وكذلك ديكور محطة مترو كولبير بمدينة غرونوبل عام 2000.

> التجارب الخطية الأوروبية يكاد ما استفاده منها بن بله يعادل بقوة تأثيره ما استلهمه من جماليات الخط العربي. وهو في ذلك لا يشيد جسرا بين تجربتين جماليتين، بقدر ما ينشئ تجربة جمالية، مادتها الخط، لكن الموسيقى فضاؤها

كل هذه المساحات حرص بن بله على أن يطرز هواءها بإيقاعات الحرف العربي. وهي إيقاعات ابتكرها الفنان بأسلوب يكشف عن حرصه على مقاومة التيارات التي دعت إلى استلهام جماليات الخط العربي. فيمكنه أن يكون حروفيا ويكون في الوقت نفسه غير ذلك.

ما استفاده الرسام الجزائري من التجارب الخطية الأوروبية يكاد يعادل بقوة تأثيره ما استلهمه من جماليات الخط العربي. وهو في ذلك لا يشيد جسرا بين تجربتين جماليتين، بقدر ما ينشئ تجربة جمالية، مادتها الخط، لكن الموسيقى فضاؤها.

الفنان الشهير خارج بلده

كل ما فعله بن بله يمكن أن يدخل في مسعى الرسام إلى أن يؤلف موسيقى بصرية. ذلك المسعى كان يشكل دائما واحدا من أهم أهداف المغامرة التي خاضها الفن الحديث في محاولته التحرر من قيود وشروط المفهوم التقليدي للرسم.

ولد الفنان الجزائري لمخوب بن بله عام 1946 بمدينة مغْنيّة، درس الرسم بمدرسة الفنون الجميلة بوهران حتى 1965، بعدها التحق بمدرسة الفنون الجميلة بتوركوان، شمال فرنسا، وهي المدينة التي لم يغادرها حتى الآن، هناك حيث يعمل ويعيش.

ولأنه رغب في تحسين معرفته الأكاديمية بالفن فإنه واصل دراسته بالمدرسة العليا للفنون الجميلة بباريس.

يكاد بن بله يكون مجهولا في العالم العربي، ولولا العرض الذي قدمه عام 2012 لكان مجهولا في بلده أيضا. وكما يبدو فإن الفنان بسبب إقامته الطويلة في باريس واندماجه بالأوساط الثقافية هناك لم يلتفت إلى مسألة العرض في العالم العربي أو في بلده. إضافة إلى أن شهرته العالمية لم تحظ المؤسسات الفنية العربية على الاهتمام بفنه، وهو أمر يمكن تفهمه إذا ما عرفنا أن تلك المؤسسات لم تظهر كبير اهتمام بكثير من الفنانين الذين يقعون في متناول يدها، فكيف حالها مع فنان، لم يجد أيّ معنى في الاقتراب بفنه منها.

غير أن الاهتمام بفن بن بله وتقديمه عربيا كانا يمكن أن يفيدا الفن العربي أكثر من استفادة الرسام نفسه. ذلك لأن الحلول الجمالية التي توصّل إليها الفنان في مجال استعمال الحرف العربي في اللوحة تشكل مساحة مدهشة مضافة إلى عالم الحروفية الذي ضاق بسبب سوء الفهم الذي تعرض إليه والذي حوّله إلى فن تجاري بسبب غلبة الجانب غير الفني فيه واستجابته للذائقة الجمالية الشعبية.

رسوم بن بله هي في أساسها كتابة هذيانية، لا لأنه ليس في الإمكان قراءتها أو التحقق من معانيها بل لأنها تكاد تكون نوعا من المحاولة لاختراع لغة جديدة، قوامها التفاعل البصري مع انفعال غامض، يكاد الرسام نفسه يجهل دلالاته. وهو ما جعل من تلك الكتابة قريبة من التعاويذ والرّقى ذات الإيحاء الرمزي.

بن بله يتبع يده في حرية استرسالها وهي تكتب من غير أن يكون ما تكتبه إلا في إطار صلحها الداخلي. أي أنها لا تكتب من أجل أن تتصل بمعنى أو تشير إلى دلالة.

كتابة تتشبه بالهذيان

وإذا ما كانت النتائج التشكيلية التي تظهر على سطح لوحته لا تشير بدقة إلى الأصول التي انبثقت منها فإن من المؤكد أن تلك الأصول التي تم التصرف بها بحريّة لا تخرج بعيدا عن محيط الكتابة العربية. وهنا بالضبط نتيقّن من أن بن بله اعتبر الكتابة العربية مادته الخام التي صار يتصرف بسلوكها وهي تبتكر أشكالها بعيدا عن أيّ التزام معرفي سابق. فلا نص مقدس ولا تهويمات شعرية.

وقد لا يكون صحيحا أن يكتفي بذلك الاستنتاج. فالكتابة العربية بكل ما تنطوي عليه من تاريخ جمالي لا يمكن أن تكون مجرد مادة خام خامدة. هناك ما يتفجر من داخلها وهو ما استفاد منه بن بله كثيرا بطريقة ذكية.

هناك هذيان ينبعث من داخل الكتابة هو مصدر المحاولة الجمالية التي تجعل من كلّ كتابة نوعا من العبور إلى ما يلحق بها من انفعال، هو في عمومه تجريدي الطابع والمحتوى.

بالتأكيد استفاد بن بله من تجارب الشاعر والرسام الفرنسي هنري ميشو (1899ـــ 1984) في أسلوبه التبقيعي وفي محاولته الاستفادة من المقطعية الصينية. وهو ما قاده إلى طريقة خاصة في النظر إلى اللغة، باعتبارها كائنا لا يحيا إلا من خلال تفجره من الداخل وتشظيه.

هناك نوع من الانجذاب السحري تقترحه رسوم بن بله ليكون بديلا للفهم. التذوّق البصري لا صلة له بالفهم. قد يعقد البحث عن معنى كل محاولة للإخلاص للصورة، باعتبارها نتيجة جمالية. ما فلت منه بن بله أن يصف علاقته بالحرف. وما من شيء يضمن بقاء تلك العلاقة إلى النهاية.

العكس هو الصحيح، فكل شيء يوحي بأن الرسام طمح دائما إلى التحرّر من عبء الحرف ورسوخ دلالته. حروفية بن بله هي في حقيقة مسعاها تهدف إلى الهروب من القدر التقريري الذي وقعت فيه تجارب الحروفية العربية، بدءا من خمسينات القرن الماضي. هذا رسام لا تعنيه جماليات الحرف العربي في شيء. حساباته تبدأ من لحظة إخفاء ذلك الحرف واللعب بمصيره بخفة. صديق الحرف وعدوّه في الوقت نفسه.

ولأنه ما من شيء مضمون في تلك اللعبة الخطرة فقد لجأ لمخوب بن بله إلى تكوين الجمل الطويلة التي لا تنتهي، والتي تذكّر بحكايات ألف ليلة وليلة. وهي جمل حالمة، تملأ العين بترفها وثرائها وبذخ ما تهبه من نفائس. نادرة تلك الحالات التي تذكّر فيها لوحة من لوحاته بلوحة أخرى. فالانفعال لا يتكرر والهذيان يفعل الشيء نفسه.

هذا رسام يقبل من بلاد بعيدة، حاملا خزائن من الصور التي يستخرجها من لا مكان ليذهب بها إلى لا مكان آخر.

ثرثرة على نهر السين

نهاية الدين أم عودة الديني

أبوبكر العيادي
كاتب من تونس مقيم بباريس

❏ منذ أشهر والجدل قائم في الأوساط الفكرية بفرنسا حول تنامي الراديكالية: هل ما نشهده هو راديكالية الإسلام أم أسلمة الراديكالية؟ هل هو نزوع الإسلام من جهة التنظير والمِراس نحو راديكالية ذات صلة بتاريخه، كما يقول جيل كيبل، أم أن الجهاديين "نيهيليون" انخرطوا في راديكالية سياسية طبعوها تجوّزًا بطابع الإسلام؟ ومع تصاعد النبرة الهووية في خطاب السياسيين للتشديد على الجذور المسيحية لفرنسا، برز جدل آخر حول حضور الدين في بلد علماني فصَل منذ أكثر من قرن بين الدين والدولة: هل يمثل ذلك عودة الديني أم توسلا بالديني لأغراض سياسية؟ فيما يرى آخرون أن الحديث عن عودة الأديان لا يصحّ، لأن الأديان لم تزُل، حتى في البلدان الغربية المتقدمة، فرغم "قتل الرب"، لم يزَل هذا الرّب حاضرا ولو على المستوى الفردي، ولم يفتأ الدين على مرّ الأحقاب يؤدي وظائف اجتماعية تعجز المؤسسات الحديثة عن النهوض بها على الوجه المرضي، بل ثمّة من يعتبر العلمانية ديانة هي أيضا، فيما يذهب غيره إلى القول إنما نشهد اليوم فهقات أخيرة تمهّد للخروج من الدين.

من القائلين بالخروج من الدّيني الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي مارسيل غوشيه، ففي رأيه أن الدين نظّم على مرّ العصور حياة المجتمعات، ثم جاءت الحداثة لتبتكر أنساقا فكرية ومعرفية وتقنية تنوب عنه في تنظيم المجتمع، وتمهّد شيئا فشيئا للخروج من الديني. والخروج من الديني لا يقتصر على المجتمعات الغربية وحدها بل يشمل العالم كله، فهو المقصد النهائي للعولمة، التي تعتبر في نظره تغريبا ثقافيا للعالم تحت ملامح علمية وتقنية واقتصادية، ناتجة بدورها عن خروج الغرب من الدين، ما يجعل انتشارها يفرض على كافة المجتمعات قطيعة مع التنظيم الديني للعالم. ولا نستغرب، يقول غوشيه، أن تعاش الحداثة في بعض الظروف كعدوان ثقافي يثير ردة فعل عنيفة لرصيد ديني بصدد التفتت، ولكنه حاضر بما يكفي لإعادة لملمته وحشده، وخاصة في العالم الإسلامي، حيث توجد ضغينة في الوعي الجمعي تجاه وضعية ملتبسة. فالإسلام بالنسبة إلى معتنقيه هو الأفضل والأسمى ولكنهم خضعوا للغرب عبر الاستعمار، ولا يزالون يخضعون له اقتصاديا. وهذا لا يطابق الوعي الديني الذي يحمله المسلمون عن موقعهم في هذا التاريخ المقدّس، ومن ثَمّ كانت غاية الأصولية الإسلامية العودة إلى الدين بحثا عن أسباب قوة تمكّنهم من الصمود أمام الغرب ولمَ لا قهره. أما المجتمعات الأوروبية فتقع، لأسباب تاريخية، في طليعة الخروج من الدّين، ما يجعلها الأَوْلى بالتألّم من هذا النقص، لا سيما على المستوى الفردي، ولكنّ المساعي الذاتية ذات الطابع الروحي لا تأخذ بتاتًا شكل حركة سياسية. أما الأصولية فهي مشروع سياسي ذو منطلقات ثورية، يهدف إلى إعادة تنصيب الدين في السلطة، وتنظيم حياة الناس، كما هو الشأن في الإسلام، الذي تمثّله رمزيا العودة إلى الشريعة، كقانون يشمل مختلف نواحي الحياة المشتركة. فهو إذن مشروع مجتمعي راديكالي، وإن كان يختلف عن التوتاليتارية كما عرفها القرن العشرون، ولكنه مشروع محكوم عليه بالفشل، لأنه لا يمثل بديلا للحداثة، بل إنه سيدخل فيها رغما عنه ولو على أعقابه.

أما الهندي سنجاي سوبراهمانيام، أستاذ التاريخ الشامل بالكوليج دو فرانس، فله رأي آخر.

أولا، أن مسألة "عودة الديني" التي تثار منذ عشرين سنة يقصد بها الإسلام أساسا، ولا تجادل بمثل هذه الحدة إلا في فرنسا. ففي الولايات المتحدة، لا يكاد يوجد مثل هذا الخوف من ممارسة المسلمين شعائرهم، برغم بعض الأحداث العنيفة، وما يشغل الأميركان بالدرجة الأولى هو عداء الإسلاميين وبعض الدول الإسلامية لبلادهم وتهديدهم لمصالحها، وهذا لا يستلزم منهم غير ردّ سياسي قبل شيء. أمّا في أوروبا فالموقف من الإسلام يختلف من بلد إلى آخر. ففي فرنسا، تعكس ردود الأفعال المعادية للإسلام خوفا من المستعمَرين القدامى، الذين يقال إنهم يهددون القيم الوطنية، ما يعيد إلى الواقع الصراع السابق في بلدان شمال أفريقيا. مثل هذا الشعور موجود أيضا في بريطانيا، ولكن معالجته يسَّرها البعد الجغرافي للمستعمَرات القديمة، إذ يمكن للأجانب أن يجهروا باختلافهم من جهة الثقافة واللباس والتقاليد، والترقّي الاجتماعي لا يأخذ بعين الاعتبار ذلك التميز البادي في العرق والهيئة ما دام الفرد يحترم المؤسسات وطرق اشتغالها. حسبه أن يكون محايدا ثقافيا ودينيا كي يتمتع بالمصعد الاجتماعي. بينما ظلت العلمانية على الطريقة الفرنسية، بجعلها الدين محصورا في المجال الفردي، تعيش على الشك، إذ ترى في الأجنبي حصان طروادة، وفي المهاجرين تهديدا أصوليا ظلاميا.

ثانيا، أن المجتمع الأميركي الذي يدين بما جاء في دستور الآباء المؤسسين من كونه أمّة بروتستانتية، يشهد ظهور ديانات جديدة أهمها الديانة الكاثوليكية للشعوب ذات اللغة الأسبانية، المتحدرين من أميركا الوسطى ومن أميركا الجنوبية، وهي شعوب عميقة الإيمان في عمومها، متمسكة بإقامة شعائرها، ولا تساورها فكره ترك الدين أو الخروج منه.

ثالثا، أن النظر إلى المسألة الدينية من هذه الزاوية يكاد لا ينطبق إلا على أوروبا، فلكي يقع الفصل بين الكنائس والدولة، ينبغي أن تكون ثمة كنيسة وأن تتشكل الدولة على ضوئها، والعكس صحيح. ولكن الهندوسية مثلا ليست لها كنيسة، ما يجعل السلطة في الهند تعيش داخل الدين وخارجه في الوقت نفسه، مع الحرص الدائم على احترام المسافة بينهما. فكيف يمكن في ظل هذا الاختلال، يقول مؤرخ الثقافات الهندي، أن تُدار العلاقات بين الجاليات المختلفة في الهند، ويُحترم الفصل الضروري بين المدني والديني؟ وفي رأيه أن ما يقترحه غوشيه ليس سوى مسلك خاص بالمغامرة الديمقراطية في الغرب.

حتى هذا المسلك يضعه الفيلسوف فنسان دولوكروا، الأستاذ المحاضر بالمعهد التطبيقي للدراسات العليا بباريس والمتخصص في كيركيغارد، موضع مساءلة، فهو يستغرب من الحديث عن "عودة الديني" والحال أن الديمقراطيات المعاصرة لم تستطع التحرر من مفاهيمه. ويستشهد بمقولة نيتشه، مستكشف "الإلحاد غير الأمين" والقائل بموت الرب "ألا يزال يجري دم رجل دين في عروقنا؟"، والسبب في رأيه تصوران مرتبطان ببعضهما بعضا وإن كانا غير متماثلين. باسم الأول ننزعج من انتهاكات الديني للحقل السياسي، والحنين الفقهي السياسي والمطالبة الثيوقراطية العنيفة. ذلك أن استقلالية الوعي، وحرية التفكير، والأنوار، ونهاية الوصاية التيولوجية، واستقلال السياسي، وكل تلك الأشياء المكتسبة بعسر، تجعلنا جافلين نافرين. بالنسبة إلى الفكر الفلسفي، كان يلزم جهد كبير لمرافقة النكوص التاريخي للمؤسسة الدينية وتراجعها الاجتماعي البطيء لبلوغ المعجزة غير المكتملة للمجتمع الحديث. وباسم الثاني، نتساءل عما يتيح هذه العودة المزعومة، إصرار الأشكال الدينية القديمة، أو بروز أشكال غير مسبوقة، بعضها غريب عن تشكل الغرب، ولكن قوّته تسائل المجتمعات الغربية بعمق. وهي ظاهرة تكذّب الأفكار المسبقة التي ترتكز عليها السردية السيرذاتية الكبرى للحداثة. هذه السردية التي وصفها الفيلسوف تشارلز تايلور في "العصر العلماني" بكونها تاريخا بالطرح، أي أن الحداثة تتنامى والدين ينحسر، فإن تبقّى شيء من الدين فمعناه أننا لسنا حداثيين حقّا، أو أننا لا نريد أن نكون فعلا كذلك.

بقيت اللائكية، هذه التي تخاض حولها الآن حروب أيديولوجية حامية الوطيس، فبعد أن وُضعت أساسا لتأمين حرية الضمير، صارت تهدد بأن تنقلب سلاحا لحسم الجدل، وحتى حظره.

لقد ألغى قانون الفصل بين الدين والدولة عند إقراره في 9 ديسمبر 1905 الاتفاقية (كونكوردا) التي ضمنت البعض من الحقوق للكاثوليكيين، ووضعَ حدًا لعداء الدولة للكنيسة، مع التأكيد على "حرية المعتقد" و"حق ممارسة الشعائر" في إطار "نظام عام" ديمقراطي، دون أن يتضمن عبارة "لائكية"، ولكنه اتخذ على مرّ السنين وجهة أخرى، فجرى الحديث عن "الجمهورية اللائكية" وجذورها المسيحية، وكاثوليكية ثقافية منزوعة من بعدها الإيماني كعنصر أساس للهوية الفرنسية. مثلما كانت حركة العمل الفرنسي اليمنية تجعل المسيحية الهووية مرجعيتها وجدارها الرمزي ضد مواطنين أقل فرنسية من سواهم فيما تزعم، أي أولئك الذين أخذ المسلمون اليوم مكانهم. وتعددت تأويلات العلمانية بين خطاب اليسار، وخطاب اليمين "غير المعقد" بعبارة ساركوزي، واليمين المتطرف بقيادة مارين لوبان، حتى باتت في نظر بعضهم تتعارض مع حقوق الإنسان (كما جاء في تقرير لفرنسوا باروان أحد وزراء جاك شيراك بعنوان "من أجل لائكية جديدة" عام 2003) أي أن العلمانية الآن لم تعد ترفع ضد الكاثوليكية بل ضد الإسلام، بمناسبة وبغير مناسبة، حتى ليخال المرء أنها ديانة تخشى المزاحمة.

وصفوة القول أن الدين سواء عاد أو لم يعد، فإن اتخاذه علاجا هو أشدّ من الدّاء، والذين يستعملونه لا يعرفون ما يصنعون. فالدين وإن كان "أفيون الشعوب" كما قال ماركس، يمكن أيضا أن يعبّر "عن احتجاج ضد البؤس الواقعي" حسب عبارة ميشيل فوكو، و"روح عالم بلا قلب"، كما استخلص من الثورة الإيرانية، وكما ينطبق على واقع الجاليات المسلمة في فرنسا، ولكن توسّله بالعنف ينقله إلى مجال السياسة. يقول عالم الأديان الألماني يان أسمان "العنف ينتمي إلى حقل السياسة، لا الدين، والديانة التي تتخذ العنف تبقى جامدة في إطار المجال السياسي، وتخطئ وظيفتها الحق".

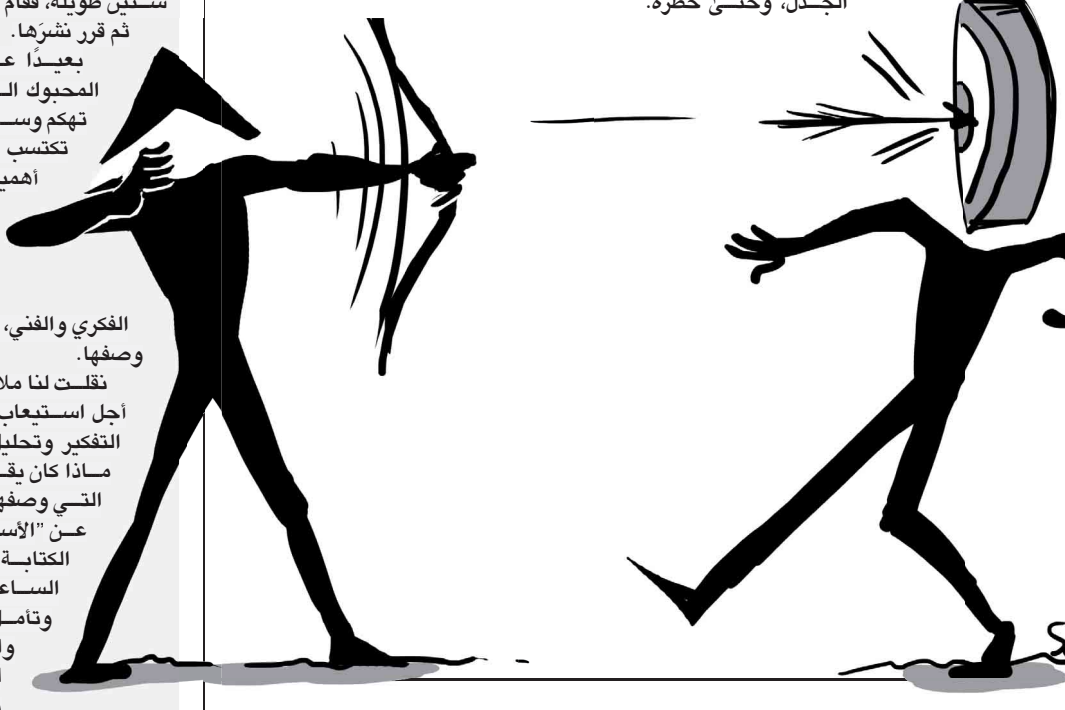

نوبل 2016.. الانحراف يسارا

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ هل يُعَدّ بوب ديلان كاتباً عظيما؟.. وبالتالي هل يستحق جائزة نوبل؟.. يحتدم الخلاف في كل مكان هذه الأيام منذ إعلان لجنة الجائزة العتيدة في 13 أكتوبر الماضي، لكن ماذا عن ديلان نفسه؟.. قبل أيام أعلنت سارة دانيوس مقررة لجنة نوبل بأنّهم لم يتلقوا أي ردّ فعل من ديلان حتى لحظة كتابة هذه المقالة، والاتصال الوحيد كان مع أحد معاونيه الذي رحب بالنبأ ولم يفصح فيما إذا كان ديلان سيقبل الجائزة أو سيحضر حفل التسليم يوم 10 ديسمبر المقبل أم لا، كما انّه لم ينوه بأي شيء أثناء حفله الموسيقي الأخير الذي نظمه بعد الإعلان عن الجائزة.

حسناً.. لقد كان هناك دائماً شكّ فيما يتعلّق بجائزة نوبل للأدب تحديداً، وذلك لأن المعايير فيها نسبية تماماً، شأنها بذلك شأن أية جائزة أدبية أخرى، فأن يحصل أوليفر هارت على جائزة نوبل للاقتصاد، نتيجة لنظرياته الخاصّة بتأصيل قوانين الإفلاس والدساتير السياسية مثلاً، أو ان يحصل الياباني يوشينوري اوسومي على جائزة نوبل للطب نتيجة لأبحاثه عن الالتهام الذاتي التي لعبت دورا حاسما في فهم تجدد الخلايا وردّة فعل الجسم على الجوع والالتهابات، أمر لا يحتمل الجدل وهو محط اجماع علمي في كافّة أنحاء العالم، لكن ان تُمنح الجائزة لمغنٍ ما فتأ يحمل غيتاره ويصدح بقصائد مغناةٍ من تلحينه أمر لن يستسيغه الكثيرون، ولا يمكن تبريره إلّا كمحاولة لإزالة ما علق بالجائزة من أدران سياسية في السنوات الأخيرة.

بوب ديلان، الذي اختار أسمه الفني في سن المراهقة تيمناً بشاعر الرومانسية المظلمة ديلان توماس، لا يختلف أثنان على عبقريته وموهبته الفذّة ودوره في تغيير مفهوم الغناء الوجداني ذي الحس الإنساني، ويكفي تأمل قصيدته المغناة "أطرق على باب الجنّة" لإثبات مدى استثنائية النص لديه وبراعة لحنه الإيقاعي وكم الطاقة البصرية وقوّة السرد. وفي المحصلة تلقى هذا الرجل جائزة نوبل للآداب، فهو يستخدم الموسيقى لتقديم نصوصه كشاعر متجول ويروي على خشبة المسرح قصصاً محزنة تأن تحت وطأة القسوة، لذلك لا يمكن لأحد أن يقول انّه ليس عبقرياً.

ما زالت أصوات الإحتجاجات تتصاعد ولا يبدو انها ستهدأ قريباً، اغلبها أصوات أدبية محافظة بطريقة أو بأخرى، لكن على ما يبدو ان ديلان قادر على التعايش مع هذا الرفض، فهو طالما تعايش من قبل مع معارضيه من محافظي الموسيقى بتهمة كونه شاعراً وليس مغنياً، يا للمفارقة!.. لكن ليس لدى بوب ديلان وقت ليضيعه في نقاش بيزنطي، فهو فنان حقيقي لا يهدأ ولا ينطفئ قلقه اليومي. على الرغم من ان منحه الجائزة أيقظ كورة الزنابير من حوله. ربما لم يكن ديلان بحاجة إلى الجائزة التي لاقى خبرها بالصمت، ربما لسان حاله يقول ما كان ينبغي منحي الجائزة وتكريس التاليه الأدبي، حتى هوميروس لم يستطع مواجهة التحديات وتقديم تفسير ذا قيمة لمنتقديه منذ أكثر من 2500 سنة.

بالتأكيد لا يحتاج هوميروس لجائزة نوبل للاعتراف بعبقريته، وربما ديلان كذلك، فهو طالما أدان العنصرية في أميركا وناضل من أجل الفقراء وبشر بقوّة الموسيقى وضرورتها في الحياة، على الرغم من ان نصوصه ظلت دائماً بحاجة إلى الموسيقى لتكتمل، بينما النص الأدبي الفذ لديه ما يقوله حتّى من دون الموسيقى، في حالة ديلان الأمر مختلف، ربما هذا التمازج قد أدى إلى تجربة مختلفة، فحتّى بالنسبة للأكاديمية السويدية ظل الأمر غامضاً في الحقيقة، هل منح ديلان نوبل لموسيقاه أم لنصوصه؟.. حقّاً انّه لأمر محيّر في النهاية.

هل هناك أيّة دوافع سياسية وراء منح الجائزة لديلان؟.. بالتأكيد.. فالتزامه وميله اليساري يعد صفعة قوية على وجه دونالد ترامب ومؤيديه، وربما دعوة صريحة لهيلاري كلينتون، صديقته، لتنحرف يساراً أيضاً، على الرغم من ان لجنة الجائزة في ستوكهولم لديها دائماً ما يبرر أفعالها الغريبة التي غالباً ما تجد مصداقية من نوع ما، حتّى عندما تمنح الجائزة لصحفية يمينية معروفة بتقاريرها المنحازة وانعدام علاقتها بالأدب مثل البيلاروسية سفيتلانا ألكسيفيتش، ومع ذلك، فإن اختيار ديلان يُعَدّ ردّة فعل داخلية، كي لا تبدو الجائزة تقف وهي تدير ظهرها لما يجري من إثارة في العالم.

توفيق الحكيم وزهرة العمر

وليد علاء الدين
شاعر من مصر مقيم في الإمارات

❏ توفيق الحكيم في غنى عن التعريف، فهو أبو المسرح في مصر والعالم العربي، المتفردُ بتجربته في المسرح الذهني، وهو أحد أبرز مؤسسي فن المسرحية والرواية والقصة في الأدب العربي الحديث.

كل كتاب من كتب الحكيم يستحق وقفةَ تأمل، إلا أن كتابه "زهرة العمر" حكايةٌ أخرى.

يضم الكتاب "رسائل حقيقية" كما وصفها الحكيم، بمعنى أنه لم يكتبها من باب الكتابة الأدبية في فن الرسائل، إلا أنها مكاتباته الحقيقية التي ظل يرسلها إلى صديقه الفرنسي مسيو أندريه ابن الأسرة التي استضافته في بداية إقامته في باريس عندما أصرّ والده أن يحصل على الدكتوراه في الحقوق من هناك.

رسائل الحكيم لصديقه بدأت عندما انتقل الأخيرُ للعمل في مصنع في شمال فرنسا، واستمرت سنينَ طويلةً إلى ما بعد عودة الحكيم إلى مصر سنة 1928 والتحاقه بالسلك القضائي.

تشبه هذه الرسائل "البرنامج" الذي يمكن لكل كاتب راغب في ترك بصمة في عالم الأدب والفكر أن يقتدي به، ليس بالضرورة في العيش في فرنسا، وإنما في منهج التفكير والنظر إلى الأمور، ومحاولة فهم واستيعاب ومراقبة الآخر وتطوير الذات، فهي كما وصفها الحكيم نفسه تكشف جهوده التي بذلها في مطلع شبابه في سبيل "التجرد والتحرر من كل ما يشغله عن الفن".

الرسائل في أصلها مكتوبة بالفرنسية، وربما كانت جزءًا من حرص الحكيم على تعلم وإتقان هذه اللغة التي كان يخطط أن يكتب بها بقية حياته، وفاجأه احتفاظ صديقه بها عندما زاره في باريس بعد سنين طويلة، فقام بترجمتها إلى العربية، ثم قرر نشرَها.

بعيدًا عن اللغة والأسلوب المحبوك الذي لا يخلو من نبرة تهكم وسخرية عُرف بها الحكيم، تكتسب رسائل "زهرة العمر" أهميتها من كونها "كاميرا مراقبة" رصدت لنا بتفصيل شديد الشاب توفيق الحكيم في فترة تكونه الفكري والفني، فترة "زهرة العمر" كما وصفها.

نقلت لنا ملامح جهاده العبقري من أجل استيعاب وفهم وهضم وإعادة التفكير وتحليل الحضارة الأوروبية. ماذا كان يقرأ وكيف؟ محاولاته التي وصفها بالفاشلة في البحث عن "الأسلوب" الخاص به في الكتابة. كيف كان يقضي الساعات الطوال في مراقبة وتأمل معروضات المتاحف، والتفكير في سرّ كل لوحة وتمثال، مبحرًا بعد ذلك في عوالم الفن التشكيلي ومدارسه وخصائصه وتاريخه. كيف تعرّف على الموسيقى والموسيقيين الكبار إلى حد بات معه يعرف سرّ تفرد كل منهم وعبقريته.

يحكي الحكيم لصديقه كيف أنه قرأ أو -كما يقول "التهم"- كل محتويات مكتبة المسرح في باريس، ولأن دخله كان محدودًا فقد كان يُمضي النهار كاملًا في القراءة واقفًا داخل المكتبة، ثم يختار كتابًا رخيص الثمن ليشتريه خجلًا من الخروج بلا كتاب.

ذات يوم افتقد صاحب المكتبة وقوفَ الحكيم إلى جوار الأرفف، فسأل عنه أحد العاملين، قبل أن ينتبه إلى أنه معلق منذ الصباح على سلم المكتبة منشغلًا بقراءة المسرحيات في الأرفف العليا.

في "زهرة العمر" لا نستكشف فقط باريس في بدايات القرن العشرين (فترة الاضطراب الفكري الذي لم يسبق له مثيل) كما يصفها الحكيم، إنما نكتشفها خطوة بخطوة بعيني شاب نجح في أن يستخلص منها ما جعله أحد أبرز رموز الأدب العربي الحديث.

كل جملة في "زهرة العمر" هي بالفعل زهرة ممتعة فنيًا، لها شكلها ورائحتها، إضافة إلى ما تحتويه من قيمة فكرية عظيمة الأهمية. شكرًا لتوفيق الحكيم ولصديقه الفرنسي أندريه.

هل كان لنابليون ابنة مصرية

شربل داغر يغامر روائيا في «ابنة نابليون بونابرت»

هيثم حسين
كاتب من سوريا

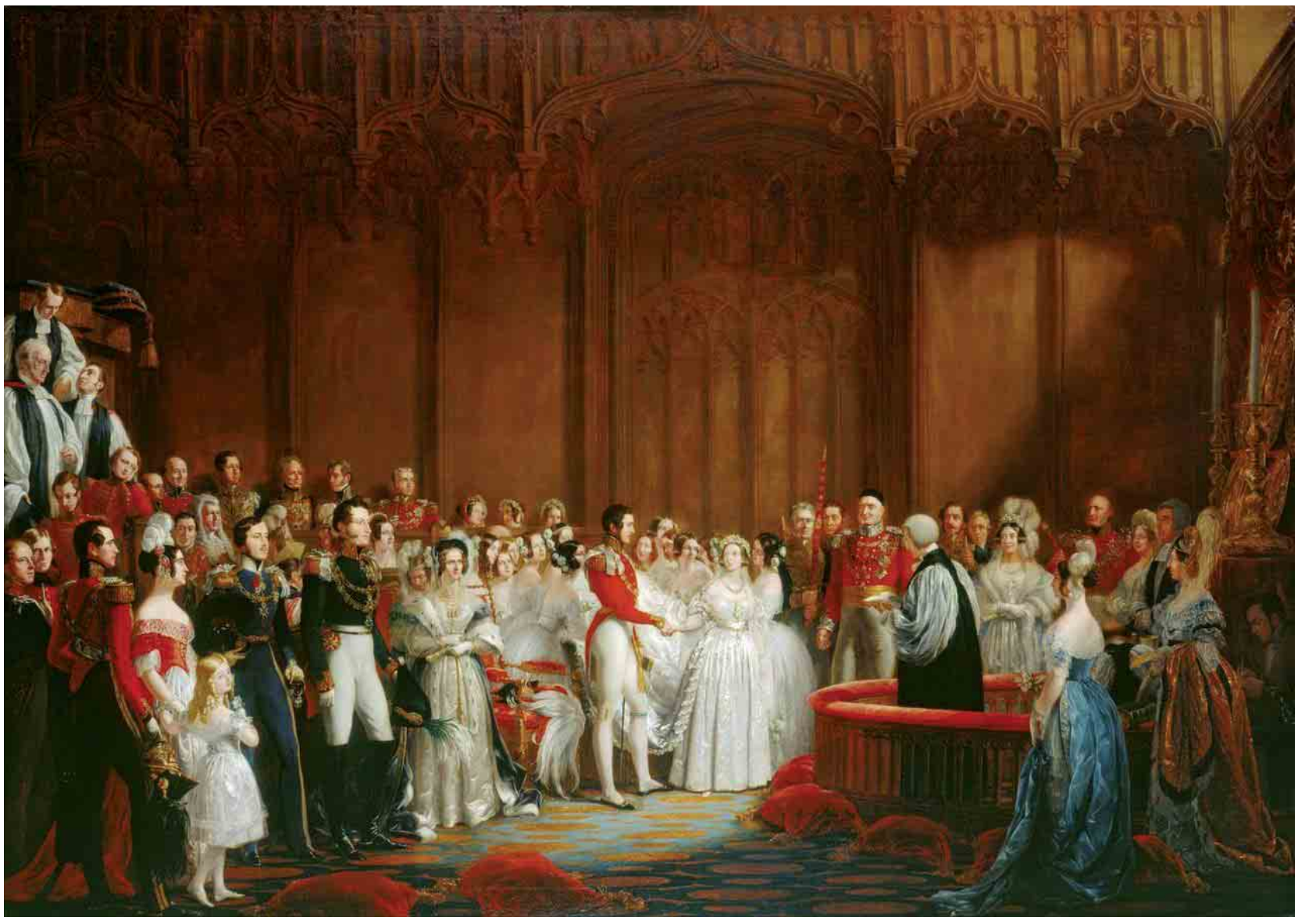

أبهة العصر النابوليوني

❏ يعود اللبناني شربل داغر في روايته الجديدة "ابنة بونابرت المصرية" إلى سنوات 1811–1825 ليؤرّخ لمرحلة هامّة ومفصليّة من تاريخ العالم الحديث، ومن تاريخ المنطقة العربية في ظلّ المتغيّرات التي كانت تتّخذ مسارات مختلفة، متضاربة في بعض الأحيان، وواقع التنقل بين مستعمر وآخر، والرضوخ للسلطة أو الانسياق وراءها ترغيباً أو ترهيباً.

هل كان ذاك عصر أنوار وتنوير أم كان عصر عتمات وتعتيم..؟ هل تكشف الوثائق التاريخية عن الأسرار والألغاز الدفينة أم أنّ المذكّرات واليوميّات المفترضة هي أكثر تعبيراً عن خصوصيّة الحياة وأكثر قدرة على التقاط الدوافع الأساسيّة الكامنة وراء كثير من الممارسات والقرارات والأفعال؟ هل كان لنابليون ابنة مصريّة حقّاً..؟ هل يرمز الروائيّ إلى أيّ بنوّة فكريّة ما؟

ينتقل داغر في روايته (المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء 2016) بين عدد من المدن في الشرق والغرب، من مرسيليا وباريس إلى القاهرة والإسكندرية وعكا، يمضي مع البحّارة والأمراء والجنود والخدم في رحلاتهم إلى عوالمهم الجديدة، وكيف كانت تلك العوالم ترسم بداية مشهد غريب، حيث الثورة التي بشّرت بالحرية تحولت إلى وسيلة لتوطيد أركان إمبراطورية مستبدة مستعمرة، واستدرجت عنفاً لاحقاً ظلّت تداعياته مستطيلة باطّراد على مدار الزمن اللاحق.

يستعين داغر بوثائق تاريخية عن تلك الحقبة كما يستعين ببعض الكتّاب الذين عايشوا تلك الأحداث وكتبوا عنها، مثل: جولي بييزوني في مرسيليا، وعبدالرحمن الجبرتي في القاهرة، والكاتب جوزف ميري بين باريس ومرسيليا، يحاول عبر ذلك بناء عالم روائيّ يتّكئ على أحداث تاريخيّة معيّنة ويوميّات وشهادات بعينها ليمضي في تخيّل ما خفي وكشفه عبر استنطاق الشخصيات وتعبيرها عمّا يعترك في أعماقها.

يقتفي داغر آثار الآلاف من أنصار بونابرت العرب، ممن دعاهم للخروج مع جيشه، "جيش الشرق"، والانتقال معه إلى فرنسا، تحت حماية شعار الثورة الفرنسية: الحرية، والمساواة، والأخوة، يتابعهم في حلّهم وترحالهم، في بدايتهم حياة جديدة وسط عالم فرنسي اعتبرهم غرباء، وما انفك يتعامل معهم على أساس مختلف، أبقاهم بصيغة ما بعيدين عن الاندماج، أو وضع عليهم قيوداً لامرئيّة.

يصل خبر سقوط نابليون بونابرت (1769–1821) النهائيّ عن العرش لتكون هناك انتقامات من مناصريه وأتباعه، على مدى ثلاثة أيام متصلة، لأسباب مختلفة، وعلى طريقة روايات القرن التاسع عشر تقود مصادفة غريبة الراوية سنة 2015 إلى العثور على مخطوط مدفون في فندق بمرسيليا، لتغوص في التاريخ الذي ترصده اليوميات، والشخصيات التي تصوّرها، وإبحارها في قصور الأمراء والسلاطين بالموازاة مع أقبية الخدم والبسطاء.

يوثّق داغر عدداً من الأسماء والتفاصيل واليوميات التي تفيد بالتأريخ لمرسيليا والمستجدّات الطارئة عليها حينها، وكأنّه يقتفي أثر المكان وتأثيره المنعكس على سكّانه وزائريه، وكيف لعب دوراً في بلورة صورتهم عن أنفسهم وعالمهم في تلك الحقبة.

يستهل بفصل من "دفاتر" جولي بييزوني ويحدد سنوات (1811–1815) لتكون مرتكزه الزمنيّ، تكون عتبة الغوص في طيّات الدفاتر والمذكّرات، تكتب الراوية أنها وصلت إلى الدفتر بعد طول ضياع وتردد، وأنها قررت الإخلاص له، وهو الذي لا يخون أبداً.

تقول إنّ دفترها سفينتها، لكنها لا تنتقل إلى ضفاف جديدة، بل إلى ما سبق أن عايشتُه وشهدته بنفسها. تعود لكي تدوّن ما حدث، ما بقي في الذاكرة، ما بات جديراً بالحفظ. تقررت أن يكون دفترها محفظتها الأثيرة. تكتب أن كل شيء بات أمامها مثل ورقة قراءة، أو ورقة كتابة. تقول إنها هكذا هي نوافذها، هكذا هي أوراق دفاترها، هكذا هي صفحات الجرائد.. تكتب عما تلاحظ، عما تعايش، عما تحتفظ به من أخبار. هذا يسلّيها، ويعوض عن صمتها الذي يستبد بها، ولا سيما في الليل. هذا يبقيها حيّة، ذات جدوى.

تتحدّث عن جوزيف وهو روائي وصحافي يحكي لها عن مشاريعه وخططه القادمة لكتابة روايته، تقول إنه يعدو وراء قصة متخيلة، وراء تاريخ مدفون تحت رمال قرون وقرون، فيما لا يتيح إمكان محادثته عن قصتها المأسوية التي تحتاج إلى كتابة ربما أكثر من روايته. وتراه يقترح عليها كتابة عمل بتعاون معها، يقول لها أتعرفين اللعبة الإنكليزية في الفروسية المسماة "steeple–chase"، ويستطرد في شرحه أنه في هذه اللعبة ينط الفارس على جواده فوق حواجز مختلفة، على أن المسافة قصيرة بين حاجز وآخر، ويقول لها إنّ هذا التقليد نقلَه أحدهم في إنكلترا إلى الأدب، فيتعاونُ أكثر من أديب على كتابة عمل روائي واحد، ويصرّح برغبته أنّ هذا ما يحلم به، وما يقترحُه عليها. وتكون هي في تلك الأثناء قد جلبت أوراقها وأوراق جولي وأنطونيو لتسلمها له ويتكفل هو بنسجها وترتيبها.

يختم داغر روايته باستدراك هام، يكشف فيه جزءاً من خيوط اللعبة المحكمة والحبكة المتقنة، وترى راويه يخاطب القارئ بطريقة مباشرة ويعترف له أن ما يقع تحت نظره لم يقترفه هو وأنه إذ يدفعه إلى النشر فلم يكن مقصوده منه التجني على أحد. ففي واقع الأمر، أنه لم يكتب، وإنما ترجم وحسب ما عثر عليه –بالمصادفة– تحت الأرضية الخشبية للغرفة 213 في "فندق القديس بطرس وروما"، في مرسيليا.

كما يخلق نوعاً من التحفيز والتشويق لدى القارئ حين يشير إلى احتمال أن تكون ملكية الدفاتر تعود إلى نور المنصوري، المصرية، التي عاشت في الفندق نفسه، أو أديب فرنسي مغمور هو جوزف ميري. وينوّه في استدراكه إلى أن ملاحظة أيّ تشابه بين الوقائع المدرجة في العمل وبين غيرها مما ورد في كتب معروفة أو منسية، أو بين أسماء أشخاص أو أمكنة أو شوارع مثبتة في الخرائط أو فوق الألسنة، ليس شبهاً، ولم يَرد بمحض المصادفة، عدا أنه قام بنفسه بالتأكد من بعض وقائعها، وربما بصياغتها من جديد.

يجمع داغر في روايته بين شخصيات تاريخية لها أثرها الكبير في التاريخ، ويتخيّل محيطهم الذي يرسمه بطريقة لافتة، يرسم لوحة المرحلة الزمنية بأدق الدقائق، حتّى لكأنّ القارئ يشعر أنّه أمام فيلم وثائقيّ يؤرّخ الأحداث يوماً بيوم، ويصف التناقض الذي يقع فيه البشر بين عالمين حين تتغيّر أحوالهم فجأة، ويجدون أنفسهم في معمعة حدث رهيب يرسم مساراً جديداً لحيواتهم.

ينبش صاحب "وصيّة هابيل" ركام التاريخ متخيّلاً ما يفترض أنّه قد حدث، أو كان مرشّحاً للحدوث، ويرتحل بأبطاله بين التخمين الروائيّ والتخييل التاريخيّ في مسعى لترميم العلاقة بين عالمين يبدوان للوهلة الأولى متنافرين متضادّين، فيبرز التعالقات الكثيرة بينهما والتداخلات المستمرّة منذ قرابة قرنين من الزمن.

> داغر يجمع في روايته بين شخصيات تاريخية لها أثرها الكبير في التاريخ، ويتخيل محيطهم الذي يرسمه بطريقة لافتة، يرسم لوحة المرحلة الزمنية بأدق الدقائق، حتى لكأن القارئ يشعر أنه أمام فيلم وثائقي يؤرخ الأحداث يوما بيوم، ويصف التناقض الذي يقع فيه البشر بين عالمين ويجدون أنفسهم في معمعة حدث رهيب يرسم مسارا جديدا لحيواتهم

رف الكتب

الحنين في بلد غريب

❏ "أحجار في جيبي" للجزائرية كوثر أديمي رواية ثانية بعد "قفا الآخرين" تسرد قصة امرأة في الثلاثين تعيش وتعمل في باريس، وبرغم ما حولها من مغريات كانت غالبا ما تجلس على مقعد جنب امرأة مشرّدة تقبل أحيانا الحديث إليها، عن الحبّ وآلامه، فيما كانت المرأة الشابة تعدّ أحجارا في جيبها، وتتوارد مع العدّ خواطر تدور في ذهنها، والتزامات لا بدّ من أدائها. كتلك التي ترغمها على الجلوس إلى مكتب وهي تتصنّع السعادة في بلد غريب، أو الردّ على مكالمات لا تنتهي من أمها التي تخشى عنوسة ابنتها البعيدة، أو العودة إلى موطنها لحضور زواج أختها مع صورة أولئك الذين يغادرون أوطانهم ولا يعودون. ولكن أعسرها، وأكثرها حضورا في نفسها حدّ الهوس، هو قبول الغياب الفادح لأصدقاء الطفولة، والتمرّد الدائم ضد سلطة جائرة، والحنين الممض إلى مدينتها، الجزائر العاصمة، بألوانها الزاهية وأضوائها التي تعشي الأبصار.

إمكانات التمثيل السياسي

❏ "المرآة والخشبة" كتاب جديد للفيلسوفة الفرنسية ميريام ريفو دالون، تعارض فيه المقاربة التي تقصر مفهوم التمثيل على بعدها التشريعي السياسي، وتعود إلى مصدرين أوّليين: الرسم والمسرح، لتسائل الكيفية التي يشتغل بها بشكل خفي هذان العنصران داخل الجدل القائم حول التمثيل السياسي، في قصوره وعدم تلاؤمه، وتكتشف أن اضطرابات التمثيل السياسي الحديث مرتبطة بطبيعة "كائننا المشترك"، لأن ما يكون متصلا، لا يمكن أن يمنح نفسه بطريقة مفارقة في عدم الالتقاء مع النفس وتجربة الانفصال. ومن ثَمّ فمن الوهم التفكير بأن التمثيل يمكن أن "يصوّر" الواقع بكيفية شفافة ومناسبة. وإن كان ثمة سبل أخرى أمام المواطنين كي يكونوا ممثّلين ويظهروا علانية إمكاناتِ طبيعة الرابط التمثيلي، وهي آفاق جديدة تدرج التمثيلية تحت علامة إعادة التصوير بدل إحالتها على استحالة تصور مشترك لا يني ينفلت.

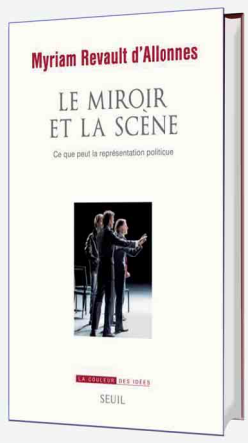

قاموس جديد عن المتوسط

❏ "قاموس البحر الأبيض المتوسط" عمل ضخم صدر عن دار آكت سود تحت إشراف متخصصين هم ديونيجي ألبيرا وماريلين كريفيلو ومحمد الطوزي، وينتظر أن يصدر في طبعته العربية في غضون الشهور القادمة عن مؤسسة الملك عبدالعزيز بالدار البيضاء. وهو خلاصة أشغال حديثة تركزت عل المعارف والمناطق والذاكرة والأعلام والممارسات داخل فضاء بالغ الثراء والتعقيد، وجمعت بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، وحقول النظر العلمي الراهن. الكتاب يطرح موضوعة المتوسط في إطاره الجغرافي والثقافي والتاريخي، ويستكشف مختلف أوجهه، من الخصائص الجامعة إلى عوامل القطيعة المتواترة. هذا القاموس لا يحمل صبغة قاموسية بل غاية واضعيه أن يكون وسيلة عمل ومحملا للتفكر والتأمل، سواء من طرف الطلاب والباحثين، أو من قبل العاملين في الحقول الثقافية والاقتصادية والسياسية، وحتى من طرف القراء الذين يهمهم مستقبل الفضاء المتوسطي.

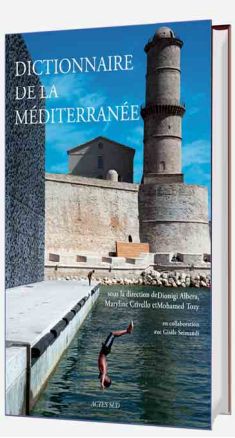

كيف تكون شاعرا وتدير ظهرك لآلام البشر

جلسة مع الشاعر الأميركي مايكل روتنبرغ مؤسس حركة «مئة ألف شاعر من أجل التغيير»

حبيب الواعي
كاتب من المغرب

في الشعر أنا كاتب يوميات

❏ في مقهىً صغير وسط مدينة غيرنيفل بولاية كاليفورنيا التقيت بالشاعر مايكل روتنبرغ في شهر أغسطس 2013، شاعر يحرس معبد الشعر بكثير من الرقة، يطّلع على النسخة الأخيرة التي قام بجمعها لأعمال الشاعر فيليب ويلن؛ أحد مؤسسي حركة جيل الإيقاع، وأحد أنساب الشعراء الحالمين بعالم ينتفي عنه الألم. كان روتنبرغ يرى العالم من زجاج نافذة المقهى، وكان يشيد نقيض الوجود على بياض الورق، وجسده يسرنمه طول المقام أمام ديوان يقارب عدد صفحاته الألف صفحة، قلقا ممّا وقع وممّا يقع.

كان الانخراط في عوالمه والاشتباك مع تفاصيله أمرا مغريا بالنسبة إليّ كشاعر شاب قادم من جغرافية أخرى، بالكاد أتلمس الخطى بحثا عمّن تسكنهم غواية الكتابة، صلتي بشعر روتنبرغ قديمة وقد خبرت نصوصه الشعرية، وترجمت بعضها إلى اللغة العربية، لكن الاقتراب من عوالمه الخاصة كان يبدو لي على الدوام في حاجة إلى مزيد من الجسارة، عوالم فادحة لشاعر لا يستسيغ من يدير ظهر للعالم.

■ الجديد: ولدت في مكان جميل –ميامي بيتش بولاية فلوريدا– حيث يمكنك الاستمتاع بالشاطئ وبعض المناظر الطبيعية الخلابة التي كنت تتوق إليها في منطقة خليج سان فرانسيسكو. هلا تحدثت قليلا عن حياتك هناك؟ كيف أثّر الفضاء على انشغالاتك اللاحقة بالقضايا الثقافية والاجتماعية والبيئية عندما أصبحت يافعا؟

● **مايكل روتنبرغ:** عندما كنت شابا كانت ميامي بيتش بلدة شاطئية صغيرة وكان يسودها نوع من الهدوء في معظم أوقات السنة، وكانت تتوفر على شواطئ جميلة وأشجار نخيل ونسائم استوائية عليلة، كما كانت تتميز بمعمارها الجميل، والكثير من ديكو موتيلات. كانت ميامي بيتش عندها مكانا يسهل العيش فيه، ولكن مع مرور الوقت اكتسبت شعبية متزايدة وصورة سياحية لامعة، وهي كذلك مدينة ذات ميناء ضخم وملاذ للاجئين الكوبيين والهايتيين. و بالتدريج نما جنوب فلوريدا بوحشية بين عشية وضحاها حيث ميّزه إفراط شديد في بناء ناطحات السحاب والوحدات السكنية متعددة الطوابق، مما أدى إلى السيطرة على الشاطئ من قبل الأغنياء. أتيحت لي فرصة الاستمتاع بشاطئ ميامي بيتش قبل أن يتم تلويثه، كما أنني كنت أقضي قدرا كبيرا من الوقت في إيفرغليدز عندما كنت صغيرا. إيفرغليدز هي مستنقعات شاسعة، ومليئة بالثعابين والبعوض، وبساتين الفاكهة وأزهار بروميليا، والتماسيح، وجزر المانغروف المقفرة، والطيور الاستوائية، وطيور أبي ملعقة وردي وأناهينكا.

كان والدي –الذي كان يمتهن المحاماة حينها– متعطشا للصيد وكان يحب أن يأخذ أسرته الصغيرة في نهاية كل أسبوع إلى إيفرغليدز حيث كنا نقضي وقتا ممتعا، وكان يأخذنا في زورقنا لاستكشاف المنطقة وكنا ننام في كوخ يطلّ على نهر بارون البطيء والمالح. خلال الليل كنت أجلس على ضفة النهر وأصطاد الأسماك وحدي، وكنت أسمع أصوات الحيوانات الليلية، وكانت السماء مليئة بالنجوم مما ساعدني على التفكير في خبايا الكون. كان لإيفرغليدز تأثير كبير على تجربتي كشاب، فخلال صباي كنت قادرا على استكشاف البرية، وفي نهاية كل أسبوع كنت أبتعد عن نمط الحياة المصطنعة على شاطئ ميامي. كان الناس في ميامي بيتش حينها يعيشون في الغالب على صيد الأسماك والسياحة، مع مرور السنين عاينت بحزن التغيير الذي أتى على ميامي بيتش وحوّلها من فضاء مريح ومفتوح لمختلف الفئات الاجتماعية إلى منتجع للسياحة المتوحشة. وهكذا أصبحت إيفرغليدز الملاذ الوحيد لي؛ لذلك شعرت بالحاجة لحمايتها، لكنني لم أكن أعرف حينها أيّ شيء عن البيئة أو حركة حماية البيئة التي بدأت تنتشر في الولايات المتحدة الأميركية.

من المهم أن نفهم أن أحداث ستينات القرن العشرين ورياح الثورة الثقافية كانت بطيئة في هبوبها على ولاية فلوريدا وميامي بيتش، ومعظم ما كنا نسمعه عن التغيير كان يصلنا عبر التلفزيون، وبدت نقاشات التغيير غير واقعية إلى حد ما. عبر التلفزيون وصلتنا أخبار حرب فيتنام، وأخبار الروك أند رول، حركة السلام والنضال من أجل المساواة العرقية. كانت ميامي متخلفة جدا وكانت فلوريدا متأخرة عن مستوى تقدم ولاية كاليفورنيا من حيث الثقافة والوعي، لم تكن لدينا فكرة عن واقع حركة الإيكولوجيا، وحركة السلام والحقوق المدنية. لم يكن أحد يتحدث عن الشعر، ولكنّني كنت محظوظا حيث كان لي صديق في المدرسة الثانوية تمتلك أخته تسجيلات لقصيدة "عواء" لآلن غينسبرغ و"كوني آيلاند" لفيرلينغيتي. بعد أن استمعت إلى هذه القصائد استيقظت على هول ما يجري خارج مجتمعي المنعزل، وبعد ذلك كان لبوب ديلان تأثير عميق على اختياراتي الموسيقية. أصبحت أتوق إلى معرفة المزيد عن الثورة الثقافية التي كانت تحدث في بقية بقاع العالم ووجدت "مقالات لحوم العلوم" لمايكل مكلور في محل لبيع الكتب المحلية. أدركت من خلاله مبادئ حركة الإيكولوجيا، وأيقنت أن هناك كنزا ثمينا نحن بحاجة إلى الحفاظ عليه، وهكذا بدأت مهمتي في توعية الناس عن طريقة الممارسة والكتابة بضرورة الحفاظ على منطقة إيفرغليدز وميامي بيتش.

■ الجديد: في لحظة محددة من حياتك قررت أن تنتقل إلى غرب أميركا وبالضبط إلى منطقة خليج سان فرانسيسكو. هل يوحي تغيير الأمكنة هذا بأن الجنوب الشرقي لأميركا يتميز بنوع من الشح الثقافي؟ لماذا انتقلت إلى خليج سان فرانسيسكو؟

● **مايكل روتنبرغ:** بعد تخرجي في كلية الدراسات الإنكليزية بجامعة شابل هيل بولاية كارولينا الشمالية سافرت إلى أوروبا لمدة عام أو اثنين واستقر بي المطاف في لندن، واستمتعت بكل التجارب التي يتوق إليها طلاب الدراسات العليا الذين تحرروا بعد ست عشرة سنة من الدراسة. عندما اكتفيت بما نلته من تجارب السفر رجعت إلى شمال فلوريدا حيث عملت وكتبت وحاولت أن أخطط لمستقبلي. هنا بشمال فلوريدا التقيت بزوجتي السابقة، نانسي ديفيس، وعلمت أنني شغوف بالزهور. معا فكرنا في الانتقال إلى كاليفورنيا لبناء مشروع يقوم على بيع النباتات الاستوائية، وكتابة الشعر وقضاء الكثير من الوقت في مكتبة سيتي لايتس التي كانت منارة لجميع الشعراء في تلك الأيام. يومها كانت فلوريدا قاحلة ثقافيا ويبدو أن بناء حياة مثقف هناك مستحيلة. لم يكن هناك مشهد ثقافي يشجع على ذلك، وتخيلت منابر الشعر تزدهر في سان فرانسيسكو. عندما حللت أنا ونانسي بكاليفورنيا طلبت من أخي أن يساعدنا على فتح مشتل للنباتات الاستوائية وبالخصوص **Bromeliads**. لا أحد منا كانت لديه خبرة في مجال النباتات بالرغم من أن نانسي عملت في مخزن للنباتات لفترة، ولكننا كنا جميعا مدفوعين بالعاطفة. وبعد 30 عاما ما يزال مستنبت النبتات الاستوائية هناك. لم يمض وقت طويل بعد وصولنا إلى ولاية كاليفورنيا حتى التقيت بكبار الشعراء جوان كايغر ومايكل مكلور وفيليب ويلن، والذين أصبحوا أصدقاء أعزاء ومرشدين لي، ومن المثير للاهتمام أنني التقيت بهم من خلال مشتل النبتات الاستوائية وليس من خلال أيّ مشهد أدبي.

■ الجديد: أنت شاعر، رئيس تحرير، وكاتب أغاني. ما هو تصوّرك للشعر؟ وما هي أهمية الشعر في رأيك؟ ولماذا فضلت كتابة الشعر عن الأجناس الأدبية الأخرى؟

● **مايكل روتنبرغ:** هذا سؤال سهل ومعقّد في الآن نفسه. سأقول ببساطة أنا أحبّ الشعر لأنّني أحببت القصص التي كان يحكيها أساتذتي عن الشعراء خلال دراستي الثانوية إذ كانت الأساتذة تدرّسنا نصوص شعراء رومانسيين: كيتس، بليك، شيلي، بايرون، وكان كل ذلك يبدو وكأنه الحياة التي أتوق إليها. وكما أعقبت آنفا، جيل ستينات القرن العشرين أعجبني؛ على وجه الخصوص ما نشر لشعراء من أمثال فيرلينغيتي وغينسبرغ ومكلور الذين كانوا يتحدثون عن قضايا تشغلني، وأفترض أن أقل شيء يمكن أن يصبحه ابن محام في مدينة يعتز أهلها أساسا بالنجاح المالي والمظهري هو أن يصبح شاعرا. كان الشعر بمثابة ثورة لي، طريقي إلى الوعي وبناء ذاتي ورؤيتي الخاصة للعالم؛ وتحققت أنه يمكنني فعلا أن أتعلم كل شيء عن العالم عن طريق الشعر لأن الشعراء يقومون بشرح العالم، ولم أكن مجبرا على أن أصبح أستاذا، وهو ما كان يأمل فيه والدي، لأن الناس يعتقدون أن مهنة التدريس هي ما يفعله كل من يريد التعلم باستمرار. باختصار، لقد منحني الشعر مسارا من خلاله تمكنت من اكتشاف نفسي وكتابة قواعدي الخاصة.

■ الجديد: ما هي مقاربتك الشخصية لكتابة الشعر؟ هل تستحضر تقنيات وقواعد معينة أم أنك لا تلتزم بأي قواعد أثناء كتابتك للشعر؟

● **مايكل روتنبرغ:** مقاربتي لكتابة الشعر تشبه أساسا طريقة كاتب يوميات، وجدتها مريحة ومثمرة ، أشياء كثيرة تحدث كل يوم، كل شهر، كل سنة، إلى حد لا يلزمني الذهاب بعيدا جدا للعثور على الإلهام أو الرؤى أو الأحلام. كل هذه العناصر حاضرة هناك في اللحظة التي أشرع فيها الصفحة وأشرع في كتابة أفكاري. أنا لا ألتزم بالقواعد عموما وأحاول أن أسمح لأفكاري بأن تتدفق بينما أراقب وأسمع العالم من حولي، وبالطبع لقد تأثرت بما قرأته لشعراء وكتاب من حقب مختلفة وقد منحني ذلك خيالا خصبا، ويمكنني أن أقول إنني أكتب بناء على ما أتلقاه من الأصوات التي تتحدث إليّ من القرون الماضية، وكنت أهتم كثيرا بالطريقة التي كتب بها الأدباء المبدعون أعمالهم. تلقيت دروسا على مرّ السنين من أساتذة و مدرسي الكتابة الإبداعية، ولكن في النهاية تأكد لي أنه لا بد من اتخاذ خياراتي الشخصية لأفسح الطريق أمام صوتي الخاص.

■ الجديد: كان لك شرف مقابلة كتاب مرموقين من أمثال جوان كايغر، فيليب ويلن، ديفيد ملتزر ومايكل مكلور، وزرت أماكن عملهم حيث تمكنت من إنشاء صداقات أدبية معهم في ارتباط بحركة جيل الإيقاع. كيف أثرت هذه العلاقات على وعيك الاجتماعي والتزامك السياسي؟ هل تعتقد بأن حساسياتك الجمالية توجهها الأسس النظرية العامة لحركة جيل الإيقاع؟

● **مايكل روتنبرغ:** أعتقد أنني قد أوضحت هذه الفكرة إلى حد ما. في الغالب، ربطت صداقاتي الأدبية من خلال شغفي بالنباتات الاستوائية والتزامي بالدفاع عن قضايا البيئة، وبالطبع كنت متأثرا جدا بأصدقائي. ومن المثير للاهتمام أن كايغر وويلن اللذان كانا أكثر تأثيرا على أسلوبي كان كلاهما يعتمد على اليوميات في كتابتهما للشعر، وعندما التقيت بهما اكتشفت أنني لم أكن الوحيد الذي يستعمل هذه الاستراتيجية ومن خلالهما أتقنتها، وقد علّماني هذه الطريقة وذلك باقتراح قراءات في نصوص شعر اليوميات الياباني، شعر باشو، وكيف اعتنق جاك كيروك هذه الطريقة في كتابته للرواية. يمكن لاستراتيجية كتابة اليوميات أن تأخذ إلى ما تتطلع إليه ككاتب، بقدر ما يخص النوع الأدبي. أنا لا أهتم بالتمييز بين الأنواع الأدبية فالكثير من الأساليب تفضي إلى بعضها البعض، وقد أحببت قصيدة "باترسون" لويليام كارلوس ويليامز لهذا السبب.

أعتقد أن حساسياتي يوجهها إلى حد ما أسلوب ورؤية جيل الإيقاع، ولكنّني أعتقد أن حركة الفن عادة ما تحددها وسائل الإعلام وموثقي تلك الحركة. لم تتخذ حركة جيل الإيقاع شكلا واحدا أو صوتا أو نمطا محددا؛ بالنسبة إليّ، فجمالية حركة جيل الإيقاع تمكن في انفتاحها على أشكال ومواضيع متعددة، وفي الطريقة التي غنّى بها كل شاعر أغنيته بكل أصالة، وهكذا استفدت من هذه الحركة من خلال إيمانها بالانفتاح والتنوع، وبأن الشاعر يمكن وينبغي أن يشارك في بناء العالم؛ وهذا لا يعني أن جميع شعراء جيل الإيقاع كانوا ملتزمين بقضايا، فهم في الغالب شاركوا بقصائدهم في مناسبات تستلزم موقفا سياسيا وعبّروا عن مخاوفهم من خلال عملهم. كان الالتزام السياسي موضوعا تشجّعه حركة جيل الإيقاع بطرق إيجابية في الكثير من أعمال المنتمين إليها، وهو التزام كان له معنى مما دفع بي إلى اعتناق مبادئ الحركة.

■ الجديد: أنت محرر وشاركت في تأسيس مجلة "بيغ بريدج" و"دار نشر بيغ بريدج" التي نشرت أعمال شعراء أميركيين مؤثرين من أمثال جوان كايغر، روبرت كريلي، ألن غينسبرغ وفيليب ويلن. ما ألهم هذا الفكرة وكيف تمكنت من الحفاظ عليها مزدهرة ومجددة أكثر من أيّ وقت مضى؟

● **مايكل روتنبرغ:** "بيغ بريدج" هي بمثابة استجابة ضد التضييق الذي مارسته العديد من المجلات الأدبية المطبوعة حينها، لم أشعر بأن المجلات الأدبية المنشورة آنذاك تمثل مجتمعا واسعا من الأساليب والجماليات ولذلك أردت أن أفتح المجال لتلك الفئة المهمشة. يجب أن نعلم أن "بيغ بريدج" مجلة على الإنترنت وبذلك تكون التقارير أسرع والتغطية أوسع، والتكاليف أقل بكثير من المجلات المطبوعة، لذلك شعرت بأنني يمكن أن أنجز أكثر من المجلات المطبوعة باستخدام العالم الافتراضي. أعتقد أن كل رئيس تحرير مجلة أدبية له دوافعه لنشر مجلة أخرى كردّ فعل على شيء يشعر أنه مفقود في الساحة الأدبية، قد يكون تضييقا في سياسات النشر. شعرت أن الكثير من أصدقائي يستحقون أن تنشر أعمالهم و لكنهم لا يحصلون على ما يستحقونه من اهتمام وكنت أخشى على الكثير من الشعر آنذاك إلى نبضات جديدة توقظه. شعرت حقيقة أننا يمكننا أن ننشر أكبر قدر من الكتابات في "بيغ بريدج" دون أن نقلق بشأن تكلفة الألوان، وهكذا يتوفر العدد القادم من "بيغ بريدج" على أكثر من 1000 صفحة أسهم بها شعراء من الهند والتبت وروسيا والمكسيك والولايات المتحدة الأميركية؛ وهذا شيء نادرا ما تقوم به المجلات المطبوعة بسبب تكاليف الطباعة والتوزيع. ولأننا نعمل على الإنترنت فيمكن للشعراء والكتاب والفنانين من جميع أنحاء العالم أن يتذوّقوا عمق واتساع الشعر والفن مجانا؛ بل تعتبر مجلة العالم الافتراضي وسيلة رائعة لبناء وتوسيع المجتمع، وبالطبع كنت أرغب في رؤية المزيد من الأعمال التجريبية لكلّ أدباء وشعراء جيل الإيقاع والجبل الأسود ومدرسة نيويورك ونهضة سان فرانسيسكو منشورة حتى نتمكن من تقاسمها مع الكتاب الجدد في جميع أنحاء العالم؛ وقد كنت متأثرا في ذلك بما تم نشره عن الشعر الأميركي الجديد كما نشره دونالد ألن في مختارات وكنت أفكر في نفس الأمر.

> مقاربتي لكتابة الشعر تشبه أساسا طريقة كاتب يوميات، وجدتها مريحة ومثمرة ، أشياء كثيرة تحدث كل يوم، كل شهر، كل سنة، إلى حد لا يلزمني الذهاب بعيدا جدا للعثور على الإلهام أو الرؤى أو الأحلام، كل هذه العناصر حاضرة هناك في اللحظة التي أشرع فيها الصفحة وأشرع في كتابة أفكاري

هنا غرست الآلهة البردي والقصب

رحلة مع كريم إبراهيم في جنة الأهوار

عبدالله مكسور
كاتب من سوريا

ملاك من الأهوار

❏ "لا أحد يعرف متى بدأ ظهور البردي والقصب فقد غرستهما الآلهة في هذه الأرض". هذا ما تنبئنا به الصحائف القديمة، التي تخبرنا بأن أتونابشتم الذي يعتبر نوح العراقيين القدامى كلف بصناعة فلك من قبل الآلهة، كي تستمر الحياة بعد أن غزا جنوب العراق طوفان عارم. فهل نعتبر ذلك الحدث البداية الثانية لغرس البردي والقصب؟ وهل إن الحمامة، حسب قصة الطوفان، إنما عادت إلى أتونابشتم ببردية خضراء؟

الصور المنشورة هنا في هذه الصفحات التقطتها عدسة المصور العراقي المقيم في بروكسل كريم إبراهيم برهافة وحساسية وتوق من نوع خاص. يعتقد كريم إبراهيم المصور الفوتوغرافي البلجيكي من أصل عراقي أن الصورة ضرورة حقيقية لإكمال المشهد في هذا العالم، فالحركة في الصورة لا تمتزج بالمكان الذي اجتازته، فالمكان هو الماضي والحركة هي الحاضر، إنها فعل الاجتياز.

المكان عند الفنان قابلٌ للقسمة على الجميع، بينما الحركة متفرّدة لا تقبل القسمة، فهي حالة ذاتية محصورة بصاحبها.

الأمكنة التي يختارها المصوّر ذات طابع متشابه عندما تتعلّق بالبيئة الطبيعية التي يؤثّر فيها الإنسان، بينما الحركات التي يقوم بها الإنسان غير متجانسة أو ثابتة، إنها متحوّلة باتجاه الحدث الذي يفرض نفسه مهما كان ساكناً.

ويعتقد كريم أن الصورة التي يقدّمها تعتمد على طرفين الأول هو اللحظة الساكنة الثابتة للصورة، والثاني هو الزمن المجرّد من أيّ اعتبارات أو ظروف أو واقع، إلا ذلك الذي يحاول أن يفرض نفسه بقوة تدعو إلى الحوار دون الاعتماد على حركة كاذبة أو مصطنعة لا تشبه المشهد الثابت أو اللّحظي في الصورة.

يعتبر كريم إبراهيم الصور التي يلتقطها موضوعات جمالية ووثائقية تقدم معرفة بالمكان والناس والزمن. وهو يلجأ إلى الصورة لتكون جزءا فعّالا بقوة من ثقافته الشخصية وثقافة الحوار في العالم، لكونه يعتبر الصورة أفقا إنسانيا يتفوق على اللغة، ويتحول إلى الطريقة الأمثل لتقديم معرفة تساهم في بناء عالم متصالح بين جميع بشره، مهما كانت التناقضات كبيرة بين البشر، يتكامل هذا عندما تتنوع الصور وأمكنتها، أو عندما تكون معرضا متكاملا حول مكان أو جماعة بشرية محددة، كما هو الحال بالنسبة إلى الصور المنشورة هنا.

يقول الروائي عبدالله مكسور إن اللحظة التي تشدّ كريم أكثر من غيرها خلال مطاردته الصورة هي تلك التي تكون أكثر تلاحماً مع الواقع، مهما كانت اللقطة حالمة أو مؤلمة، فتراه يسعى عبر عدسته لالتقاط كل ما هو مثير وغريب ويشبه الإنسان النقيّ المتصالح مع عالمه.

ويعترف المصور أنه يلتقط من الواقع صورة آنية ثابتة يمكن تعميمها واستمرارها لما تحمله من خصائص تمثل التقاطع الإيجابي بين الإنسان والبيئة، فهي في اجتماعها مثلها مثل سيمفونية تؤسس حركاتها لما يُعرف بالهارموني بين مختلف الأصوات والأطياف.

والصورة، عنده، كما يقول هي إعادة إنتاج وَهْم ثابت وعام ليغدو متغيّراً بحسب المُشاهد الذيّ يراه أو يستقبله، فأهمية دور المتلقي عند كريم تتحدد خلال تلك اللحظات التي تتيح له أن ينفرد بالصورة أو يتّحد معها.

في رحلاته المتعددة إلى المشرق العربي، بين مصر خلال ثورة 25 يناير عام 2011 وبعدها، وإلى العراق حتى ربيع 2016، استطاع كريم إبراهيم إعادة تشكيل المشرق في مخيّلته وهذا ما دعاه إلى تسليط الضوء أكثر على تلك اللحظات الهاربة من الواقع. يقول كريم إن الشرق بكل تعقيداته يمر بظروف استثنائية، ولربّما هو لا يشبه نفسه أبداً. ولذلك يقول كريم ابراهيم "أعمد إلى التقاط الهادئ الغريب في زمن الصخب والموت". يشير الفنان إلى صورة التقطها في أهوار العراق لقاربين من الصيد يحملان صيادين، بعضهم انشغل بالتقاط السمك من المياه وبعضهم يراقب ما يحدث وسط هدوء في السماء والموج، ويتمنى أن يكون هذا التصالح هو العنوان العريض للشرق، التصالح الذي يصنع حوار الكائن مع نفسه وحواره مع عالمه.

ميريام ديفريندت الأستاذة التي تابعت المصور منذ بداية مشواره، تقول إن كريم منذ بداياته وإلى اليوم يتمتع بالهدوء التام. فهو يملك عيناً فاحصة تلتقط كل شيء، وهذا ما يظهر في صوره التي تنتظر من المشاهد أن يسمع صمتها بتركيز عال.

هناك انسجام واضح في ما بين الصور التي يلتقطها، وكأنك تشاهد فرقة موسيقية يقودها مايسترو واحد، هو الأكثر حرصاً على الانسجام بين الجميع. وكريم إبراهيم هو الأكثر حرصاً على بناء واقع أقرب إلى المثالية من خلال صوره المتنوعة التي تعتمد على البيئة الصامتة، المتحركة في العقل الباطن للمتلقي، وهذا ما يمكن أن تلاحظه في شخصيته أيضا.

إن إعادة إنتاج اللحظة، في صورة كما يفعل الفنان هي اتصال الواقعي باللاواقعي لإعادة تأليف الحركة، وهذا يتم من خلال تسليمنا بأن اللحظة الواقعية هي امتداد لما هو غير واقعي. فالحركة في الصورة متصلة بما هو حسّي وعقلي، وصولاً إلى التمازج المطلق، لبناء الصورة الكاملة التي تقوم على مفهوم الحب، بفطرته الأولى، من خلال أفكار أو لحظات هي نفسها ثابتة وآزلية، تغدو آنية ومتحركة في العقل الباطن للمشاهد. فالحركة في الصور المعروضة هي عبارة عن انتقال من لحظة إلى أخرى أكثر كمالاً ونضجاً، وما على المتلقي إلا تخيّل العالم والمضيّ في عمق الصورة نحو تهيؤات خاصة بنا كمشاهدين.

> الأمكنة التي يختارها المصور ذات طابع متشابه عندما تتعلق بالبيئة الطبيعية التي يؤثر فيها الإنسان، بينما الحركات التي يقوم بها الإنسان غير متجانسة أو ثابتة

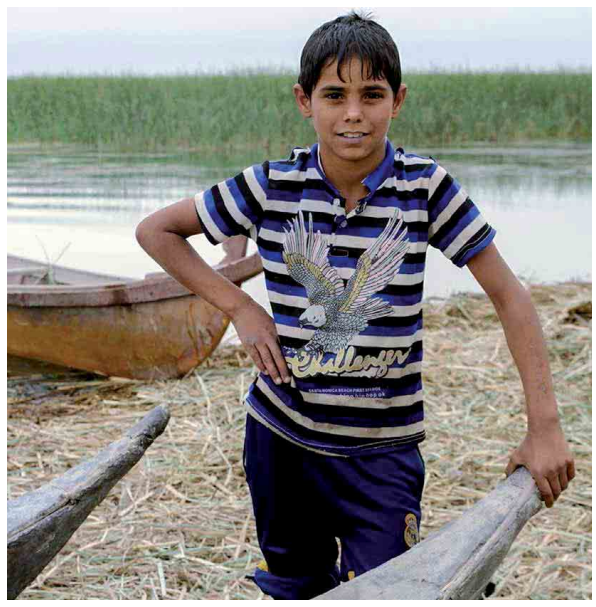

ملامح مختلفة تتقصاها وتسجلها عدسة كريم ابراهيم

أداء سيمفوني وأوركسترا من الممثلين

«برج لوصيف» للمسرح الوطني التونسي

شخصيات مختلفة يجمعها القلق

عواد علي
كاتب من العراق

❏ يقدّم عرض "برج لوصيف"، إنتاج المسرح الوطني التونسي، المشارك في الدورة 23 لمهرجان القاهرة الدولي للمسرح المعاصر والتجريبي، مقاربة درامية لحياة أسرة تونسية ثرية تدخل في دوامة من المشاكل والخلافات، بعد أن يعمد بعض أفرادها إلى إخفاء خبر إصابة الأب "قارون" بمرض مميت، وإيهامه بأن ما يعاني منه مجرد التهاب في القولون ليس أكثر إثر رحلة علاج في ألمانيا، وذلك طمعا في تدهور حالته الصحية والاستيلاء على الثروة التي يمتلكها، والمتمثلة بأرض واسعة من أجود الأراضي في الشمال الغربي من تونس، مساحتها 28 ألف هكتار، وتسمى بـ"برج لوصيف".

ونكتشف قبل نهاية العرض أن هذا الأب لم يكن ثريا في الأصل، بل حفّار آبار، لكن من المؤكد أن الثروة هبطت عليه بوسائل غير نزيهة، من دون أن يشير النص إلى ذلك، وهو يعرف أن أغلب مَن حوله منافق وكذاب.

يحمل العرض، الذي كتب نصه وأخرجه الشاذلي العرفاوي (عن مسرحية "قطة على سطح من صفيح ساخن" للأميركي تنيسي وليامز)، إسقاطات على الواقع السياسي التونسي، وتحديدا على التناحر بين الفرقاء من أجل الاستئثار بالكراسي والصراع حول النفوذ، ذلك أن القط حينما يغيب عن المنزل تلعب الفئران، كما يقول المثل، وهو الأمر الذي يحدث، ولا يزال يحدث، في جميع الدول العربية التي أسقط الشارع أنظمتها خلال ما يسمى بـ"الربيع العربي"، على الرغم من أن الإدانة في النص الأصلي لتنيسي وليامز توجّه إلى القطط، بدلالتها الرمزية، التي تشحذ أنيابها لافتراس كل من يقف في وجه أطماعها الجامحة، في حين أنها تموء في داخلها بأنين خوفا من آلامها الباطنية وقلقا على مصيرها المجهول.

منذ المشهد الأول، الذي يجري فيه الاحتفال بعيد ميلاد الأب قارون، وعبر الإيماءات الجسدية للممثلين، يحيلنا العرض، أو يذكّرنا برائعة شكسبير "الملك لير" في إطارها العام، وليس في التفاصيل، وأعني النوايا المبيّتة المغلّفة بالنفاق والرياء، ومن ثم فإننا كمتلقين ينفتح أفق توقعنا على ما سيحدث لاحقا كتحصيل حاصل لتلك النوايا، التي تمثل أحطّ النوازع في نفوس البشر، النوازع التي تسحق القيم والأخلاق والفضيلة وتطلق العنان لعربدة العقوق والطمع والرذيلة. وهي النوازع ذاتها التي يمارسها العديد من السياسيين في العالم العربي، حيث يحاول كل واحد منهم امتلاك الوطن، ويدّعي وصله بليلى ولليلى مريضة بدائها.

في التفاصيل تتباين شخصيات المسرحية، في أفكارها وهواجسها وتطلعاتها، لكنّ أمرا واحدا يجمعها هو القلق، فالأب الثري (الذي أدى دوره الفنان الكبير صلاح مصدّق) قلق ومفزوع على مصير ثروته الهائلة بعد موته، وقد مضى عمره سريعا دون أن يشعر به، وطردته الحياة وهو لم يشبع منها، وسيرحل عنها وثمة أشياء كثيرة لم يجربها. كل ذلك نفهمه من تساؤلاته الإنكارية التي يطرحها في حسرة شديدة. أما الابنان فلكل منهما مذهب وعقيدة في الحياة، الكبير (الذي أدى دوره عبدالقادر بن سعيد) يتظاهر بتديّنه وورعه، وسجادة الصلاة لديه علامة مفضوحة، قناع نفاق لتحقيق مآربه، ولا يتردد عن كشف نواياه في الحَجْر على أملاك أبيه. بينما الصغير (الذي أدى دوره مهذب الرميلي)، المصاب بكسر في ساقه، نتيجة لسقوطه من فوق حصانه، مدمن على الخمرة كوسيلة لنسيان أحزانه، لكنه الأصدق والأنبل من أخيه، لذلك كان الأقرب إلى أبيه. الأم (التي أدت دورها الفنانة الكبيرة سهام مصدّق) امرأة ساذجة، قلبها أبيض، محدودة الوعي، ضعيفة الإرادة أمام سلطة القدر وتشتت مطامع الأبناء. زوجة الابن الكبير (التي أدتها صالحة النصراوي) أنموذج للمرأة المنقادة إلى زوجها بلا اقتناع، والمنبوذة في العرف الاجتماعي المتخلف لأنها أنجبت خمس بنات ولم تخلد اسم العائلة بإنجاب مولود ذكر، والحرباء في الوقت نفسه، حتى أنها تنزع عنها ثياب التقوى وتتحول إلى راقصة، في أحد المشاهد، كناية لانسلاخها عن برقع التدين الكاذب! وكشفها عن نوازعها الحقيقية. وأخيرا زوجة الابن الصغير (التي أدتها شاكرة الرماح)، فهي امرأة مفجوعة بسبب عدم إنجابها، تعيش مرارة عُقد زوجها وأزماته النفسية، وتعدد خيباته في الفوز بسباق الفروسية ومعاناته بسبب عدم قدرته على زرع جنين في أحشائها وإشباع ظمئها الجسدي والعاطفي.

هذه الشخصيات الخمس، التي تتكون منها الأسرة، تشكّل لوحة فسيفسائية تتجاور على سطحها الأحجار والألوان المتباينة، وتتقاطع وتتنابذ، بل تغدو، حسب المنظور السيميائي، آلة تبث علامات التشتت والتفسخ الاجتماعي والصراع السياسي، وكأنها تختزل المجتمع الكبير الذي أنتجها خلال تحولاته الدراماتيكية التي أفقدته التوازن.

في الإخراج صاغ الشاذلي العرفاوي عرضا متقنا أمينا على التقاليد التي أرساها المسرح التونسي، والمتمثلة بالدقة والتنوع الشديد والانضباط في مقاربة أداء الممثلين لشخصياتهم أداء عميقا ومدروسا، ورسم الحركات والتكوينات على الخشبة (أو الركح كما يسمّونه عندهم)، والحفاظ على وتيرة الإيقاع الصارم الذي لا يشوبه خلل ولا تنتابه لحظات تراخ، لأن الميزان موجود في دواخل المؤدين الواعين الحساسين قبل أن يوجد على الخشبة. ولذلك كان سحر أدائهم كفيلا بإزاحة الحاجة إلى سينوغرافيا ثقيلة أو تفصيلية، فالسرير كان عنصرا ديناميكيا كافيا لاحتضان دلالات العرض حينما يشير إلى مهد الولادة وحدّ الوفاة، ويشكّل محرارا لقياس مدى نجاح العلاقة الزوجية أو فشلها، وما ينتج عن ذلك من تفكك أسري واجتماعي وحتى سياسي. أما الكرسي فقد كان، حسب تعبير الناقدة التونسية ليلى بورقعة، بمثابة أنطولوجيا الإنسان المعاصر، حيث يلتصق به في حميمية شديدة، ولا يتنازل عنه إلا في حالة مواجهة مصيرين مؤلمين: الموت أو المرض.

هاتان العلامتان السينوغرافيتان عززتهما الإضاءة المصممة والمنفذة بدقة، عبر إسقاطاتها العلوية والجانبية، إضافة إلى الثريات المتدلية وتلك التي على السايكوراما في محمولها السيميائي الذي يشير إلى الثراء وفضاء القصر. وكذلك التعتيم المقصود، في قسم من المشاهد، الموحي إلى عتمة دخائل بعض الشخصيات.

ذلك عن العنصر البصري، أما العنصر السمعي فإنه آسر وأخّاذ بأغانيه ومؤثراته الصوتية وموسيقاه التونسية الشعبية أو الريفية المفعمة بالشجن والروح التراجيدية، والمنفذة بوضوح ودقة عاليتين. لقد كان توظيفها في مرحلة تصاعد الأزمة بالعرض ينمّ عن إدراك وحساسية وشاعرية، جماليا ودلاليا، لدى المخرج المبدع الشاذلي العرفاوي، لتعميق العرض في مبناه ومغزاه، أو رسالته التي يمكن تأويلها بأن المال عاجز عن شراء سعادة المخلوق البشري، بل ينسحب كل عزّه وسلطانه ليتركه مجردا في مواجهة قدر الموت. ومن هناء جاءت تسمية مكتنز المال بـ"قارون".

أخيرا، أين تكمن اللذة، بالمعنى الذي أعطاه رولان بارت للنص الإبداعي، في هذا العرض الراقي؟ إنها تكمن، حسب رأيي، في الأداء السيمفوني المتقن الرائع لأوركسترا الممثلين، بقيادة المخرج المايسترو طبعا، بفهمهم واستيعابهم الخلاّق لشخصياتهم، لدواخلها وإيقاعاتها وتحوّلاتها، وقدرتهم على التحكم بخصوصيات كل واحدة منها، والحفاظ على إيقاعها بانضباط شديد، من دون نسيان فترات الصمت المشحونة بالمعنى، التي توزّعت على جسد العرض مثل شذرات ألماس.

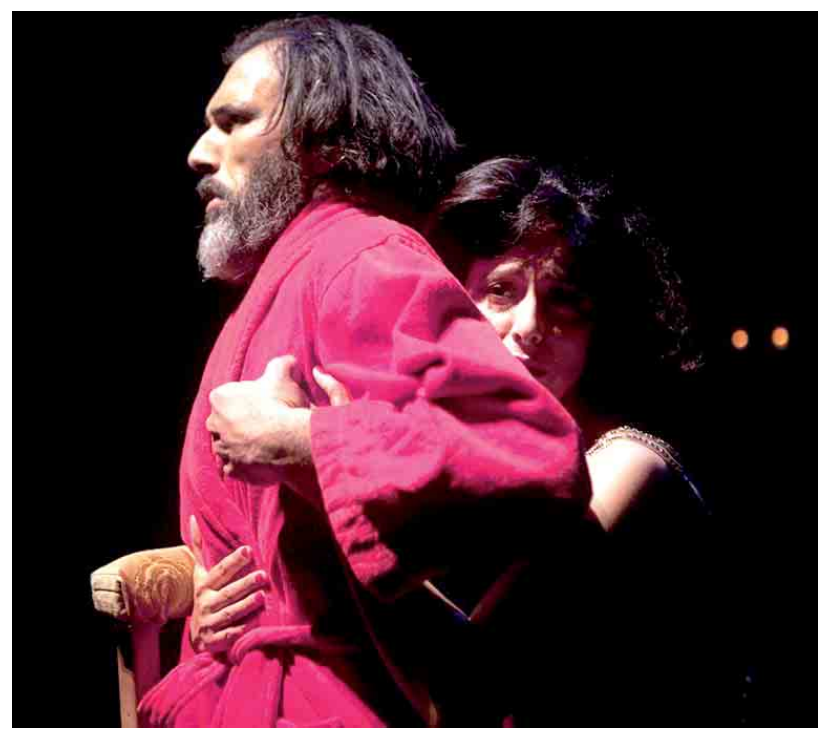

لذة العرض في الأداء السيمفوني

خواريز أميركية

مسرح وثائقي يرصد تحولات المدينة

عمل وثائق أميركي عن تحولات مدينة

ناهد خزام
كاتبة من مصر

❏ استضاف مسرح دار الأوبرا المصرية في القاهرة منذ فترة العرض المسرحي "خواريز.. ميثولوجيا وثائقية"، والذي تقدمه فرقة مسرح ميتو الأميركية ضمن إطار مهرجان المسرح التجريبي المعاصر. يمثل العرض حالة استثنائية بين العروض المشاركة في المهرجان ليس فقط لطبيعته التي تجنح إلى توثيق الحدث عبر شهادات معاصريه، ولكن أيضا لكون فريق العمل المسرحي يمثل جزءا من ذلك الجهد التوثيقي على أرض الواقع، إذ قام الممثلون أنفسهم بجمع هذه الوثائق وتسجيلها وترتيبها زمنيا عبر ثلاث سنوات من البحث والتقصي قاموا خلالها بالاستماع إلى العشرات من الأشخاص والشهود وعايشوا بعض هذه الأحداث والوقائع التي يدور حولها العرض.

تعرض المسرحية جانباً من التحول الذي لحق بإحدى المدن المكسيكية عبر عقود تحوّلت فيها تلك المدينة الحدودية، وهي مدينة "سيوداد خواريز" الواقعة في شمال المكسيك من معقل للجريمة المنظمة والتهريب إلى أحد أكثر المناطق الصناعية نمواً في محيطها. خلال العرض الذي دام ما يقرب من التسعين دقيقة يتم سرد العديد من الشهادات الشخصية المدعومة بالصور الفوتوغرافية والكتابات المنزوعة من الصحف، وكذلك الأخبار الإذاعية واللقطات الخبرية المسجلة، والتي تُعرض في خلفية المسرح عبر وسائط سمعية وبصرية مختلفة.

قاد فريق البحث المخرج الأميركي روبين بوليندو مؤسس فرقة مسرح ميتو، والذي نشأ في مدينة خواريز قبل انتقاله إلى الولايات المتحدة. وبحسب تعريف فريق العمل فإن العرض المسرحي "يرسم خريطة فنية وشعورية لتلك المدينة لنقل صورة مطابقة للأصل لنبض الحياة في هذه المدينة، وتعتمد على الاستثمار العميق في أصالة الأداء التمثيلي" . يضع العرض المسرحي فريق العمل في موقع الشهود على تاريخ مشحون بالأمل والخوف والصراع من أجل البقاء، مستفيداً من الجمع بين البحث الصحفي الاستقصائي والفن القصصي، فخلال سياق المسرحية يتم عرض مقابلات مع سكان المدينة، تشمل هذه المقابلات فئات متنوعة من خلفيات اجتماعية واقتصادية مختلفة، من سياسيين وأصحاب محال وأشخاص عاديين. أجريت هذه المقابلات من قبل ممثلي العمل أنفسهم الذين قاموا بتجسيد الشخصيات، ما مكّن الممثلين من خلال قيامهم بمهمة الباحثين من ملامسة واقع المدينة والاقتراب من سكانها، الأمر الذي أضفى على العرض لمسة تعبيرية حقيقية وصادقة.

يقول مخرج العمل روبين بولندو "إن هذا النهج يدمج بين الأعمال التاريخية والعاطفية من خلال نوع جديد من المشاركة للممثل في العمل، فهو لا يؤدي الأدوار بصدقية الممثل فحسب بل يقوم أيضاً بدور الباحث ليعكس من خلال أدائه في العرض أرشيفاً واقعياً عن هذه المدينة".

ويضيف بولندو "أحسست أنه قد أصبح من الضروري أن أبدأ رحلة بحث وتحرّ للتعمق في هذا الوضع وتقديمه للجمهور، لا كخبر تقليدي بل كقصة كفاح وأمل يعيشها هذا المجتمع، وبدلاً من تقديم هذا العمل كمسرحية أو قصة من عالم الخيال قمنا بتجربة واقع المدينة، وأجرينا مقابلات مع السكان من مختلف الفئات على مدى السنوات الثلاث الماضية".

ينقسم العمل إلى ثلاثة فصول وهي "الذاكرة والعنف والتغيير"، ويعالج الموضوع بطريقة مختلفة عن الطريقة التقليدية المباشرة التي تستخدم عادة في الأعمال الوثائقية المسرحية، فيأخذ الحضور في رحلة فنية فريدة تغمرها المشاعر الإنسانية الصادقة. وبدلاً من اتّباع أسلوب المونولوج يقدّم العرض كعمل تشكيلي فني يجمع بين الرؤية البصرية والسمعية والحكي، ويدمج بين مجموعة من الوسائط الفنية المختلفة، منتقلاً بنا إلى قلب مدينة خواريز لنعايش تفاصيلها ونتفاعل مع سكانها.

> ينقسم العمل إلى ثلاثة فصول وهي «الذاكرة والعنف والتغيير»، ويعالج الموضوع بطريقة مختلفة عن الطريقة التقليدية المباشرة التي تستخدم عادة في الأعمال الوثائقية المسرحية، فيأخذ الحضور في رحلة فنية فريدة تغمرها المشاعر الإنسانية الصادقة

يظهر العمل المرونة التي تتعامل بها المجتمعات مع التغيرات، والتكيف مع ظروف الحرمان والقهر، والقدرة على إيجاد سبل مختلفة للبقاء. فالمدينة الحدودية الواقعة في شمال المكسيك هي نموذج لأيّ مدينة أخرى في العالم تمرّ بمراحل التغير والنضال بصرف النظر عن الحدود الجغرافية والثقافية. ويؤخذ على العرض ذلك الاستخدام المفرط للإضاءة والتوظيف الزائد للشاشات ووسائط العرض البصري، أما التوظيف الصوتي لموسيقى البوب فهو يعد أحد الجوانب الإيجابية في العرض، والذي تمّ تطويعه بحرفية شديدة ساهمت في تجاوب الجمهور وإضفاء نوع من الإبهار المتواصل خلال مدة العرض.

تأسست فرقة مسرح ميتو عام 1997 في نيويورك، ويعني اسمها باللغة الأسبانية "لي ولك"، وتعتمد الفرقة منذ نشأتها على البحث والتجريب في أساليب العرض وفنون الأداء المسرحي الجديدة والمختلفة، وتستثمر في تنمية المواهب الفنية وتطوير القدرات الأدائية والفنية لأعضائها. واكتسبت سمعتها في الولايات المتحدة لكونها واحدة من الفرق المغامرة في التجريب المسرحي.

تضم الفرقة عدداً من الفنانين المميزين وأصحاب الرؤية من جميع أنحاء العالم وقدمت عروضها في العديد من البلدان العربية من بينها اليمن والأردن والسودان والإمارات، كما أقامت الفرقة ورشة لتدريس منهجها في مصر.

ويمثل عرض خواريز أحدث عروض فرقة ميتو وهو من إخراج روبين بوليندو، وشارك فيه بالبحث والتمثيل كل من جوليانا لوجود ودينيس بوتكاس وأيسان سيليك وآدم كوكران ورايان كونارو وناثان إيلام ومايكل ليتيج وجاستين نستور، ووضع موسيقى العرض آدم كوكران.

السينما الصينية تنهض مجددا

بعد صحوة «الجيل الخامس»

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ للعام الثالث على التوالي كانت السينما الصينية هي السينما التي يحتفي بها مهرجان فينيسيا السينمائي في دورته الأخيرة في قسم خاص يحمل عنوان "التواصل مع التنين". وبعد فينيسيا مباشرة حصل الفيلم الصيني الجديد "لست مدام بوفاري" على جائزة الاتحاد الدولي لنقاد السينما في مهرجان تورنتو السينمائي، ثم مضى الفيلم نفسه ليحصل على جائزة أحسن ممثلة لبطلته الممثلة الشهيرة "فان بنغ بنج" التي عرفت خارج الصين بدورها في فيلم "الرجال إكس ، بل ونال أيضا جائزة أحسن فيلم أي الجائزة الذهبية في مهرجان سان سباستيان ما يعتبر مؤشرا على عودة السينما الصينية بقوة إلى الساحة العالمية بعد فترة كمون طويلة.

من جهة أخرى ينتقل الاهتمام بسينما العملاق الأصفر إلى مهرجان القاهرة السينمائي الذي ستقام دورته الثامنة والثلاثون في الفترة من 15 إلى 24 نوفمبر القادم، والذي أعلن بالفعل أن السينما الصينية ستكون هي السينما "ضيف الشرف" التي يحتفي بها في الدورة القادمة في إطار الاحتفال بمرور ستين عاما على بدء العلاقات السياسية بين مصر والصين التي دشنها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر عام 1965.

البدايات الأولى

عرفت السينما في الصين وجودا مبكرا فقد شهدت العروض السينمائية الأولى عام 1896 أي بعد ظهور الاختراع الجديد في باريس على أيدي الأخوين لوميير مباشرة، أما أول فيلم سينمائي فقد أنتج في الصين عام 1905، وكان فيلما تسجيليا. أما أول فيلم روائي درامي صيني فقد ظهر عام 1912.

> بدأت السينما الصينية تشهد عصرها الذهبي في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي مع ظهور حركة السينما الصينية الجديدة على أيدي مخرجي «الجيل الخامس» من خريجي معهد بكين السينمائي عام 1982

وقد مرت السينما في الصين بالكثير من التقلبات والمشاكل التي واكبت التطورات السياسية منذ الغزو الياباني عام 1937 إلى الثورة الثقافية وتقلباتها المعروفة في الستينات والسبعينات من القرن العشرين. واقتضى الأمر وقوع تغيرات عميقة في بنية المجتمع الصيني إلى أن بدأت السينما الصينية تشهد عصرها الذهبي في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي مع ظهور حركة السينما الصينية الجديدة على أيدي مخرجي "الجيل الخامس من خريجي معهد بكين السينمائي عام 1982، وأصبحت تفرض نفسها على كل مهرجانات السينما في العالم منذ ذلك الحين، بعد سنوات طويلة من التجاهل والصمت والانغلاق على الذات، وبعد أن أصبح من المستحيل مهما بلغت قبضة الرقابة، أن يعيش السينمائيون "في الكهف"، وهو التعبير الذي استخدمته الممثلة والنجمة الصينية الجميلة فان بنغ بنغ وهي تتسلم جائزة أحسن ممثلة في سان سباستيان مؤخرا.

كان ظهور السينما الصينية الجديدة أو الموجة النقدية في السينما الصينية التي تميزت بالجرأة السياسية المدهشة وباهتمام مخرجيها الكبير بالعثور على جماليات جديدة في التعبير السينمائي، باستخدام الصور المجازية، والألوان، والتنقيب في التاريخ الصيني والأدب الصيني للعثور على نماذج تصلح للتعبير عن الهوية والثقافة الصينيتين، وفي الوقت نفسه استخدم السينمائيون من هذا الجيل التجارب الشخصية القاسية التي مروا بها في زمن الثورة الثقافية وعبّروا عنها في أفلامهم وصولا إلى أقسى مستويات الهجاء السياسي في فيلم "العيش" لجانغ ييمو (1994).

عودة إلى الماضي

بعد وصول الحزب الشيوعي إلى السلطة عام 1949، بادرت الحكومة إلى تأسيس صناعة سينمائية جديدة. وأعيدت تسمية أستوديو سينمائي كان قد بناه اليابانيون في منشوريا في أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين وأطلق عليه "أستوديو الشمال الشرقي". ونجح هذا الأستوديو عام 1949، في إنتاج ستة أفلام في إطار السياسة الجديدة، رغم النقص الفادح في الفيلم الخام. وتم إنشاء أستوديوهات جديدة في بكين وشنغهاي عام 1950.

كانت الأفلام الصينية التي أنتجت في شنغهاي، تتوجه قبل عام 1949 إلى جمهور المدن المتعلم والواعي نسبيا، بسبب تركز دور السينما التي تعرض هذه الأفلام في المدن. لكن الحزب الشيوعي كان يرغب في إنتاج نوع مختلف من الأفلام من أستوديوهات الدولة من أجل مخاطبة جمهور الفلاحين في الريف والطبقة العاملة في المدينة، وكانت مثل هذه الأفلام تحمل رسالة تعليمية بسيطة، وكانت مصممة من أجل الإطاحة بالمفاهيم الإقطاعية التي ترسّخت لعهود طويلة بغرض تمهيد الطريق أمام برنامج الإصلاحات الكبيرة، من إقرار قوانين جديدة للزواج، إلى الحملة من أجل القضاء على الأمراض. وبالطبع، كان الخط السوفييتي المتمثل في "الواقعية الاشتراكية"، هو النموذج الشائع في السينما الصينية في الخمسينات من القرن الماضي، خاصة وأن معظم السينمائيين الصينيين كانوا قد درسوا في معهد موسكو السينمائي.

كان عدد كبير من السينمائيين المخضرمين في صناعة السينما في شنغهاي قد فرّوا خلال الحرب الأهلية عام 1949 إلى هونج كونج. ولم تكن سلطات بكين تثق في قدرة السينمائيين الذين ظلّوا في البلاد على صنع أفلام تخدم متطلبات العهد الجديد. ولذلك أسست الصين معهدها السينمائي عام 1956 تحت إشراف وزارة الثقافة. ومن البداية رفضت أكاديمية السينما في بكين اعتماد مبدأ قبول طلاب جدد سنويا، وأصرّت على قبول "مجموعات" من الطلاب بين فترة وأخرى. ولم يكن طلاب الجيل الأول والثاني والثالث والرابع، يدرسون فقط صناعة الفيلم ونظرياته وتاريخ السينما، لكنهم كانوا يدرسون أيضا الاقتصاد السياسي والنظرية الماركسية وتاريخ الحزب الشيوعي. لقد كانوا باختصار يتدرّبون على صنع ما تريده الحكومة من أفلام. ولم تسفر هذه السياسة عن أفلام متميزة، فمعظم الأفلام الصينية الجيدة التي أنتجت في الخمسينات والستينات من القرن العشرين كانت من إخراج سينمائيين قدامى، ممن نشطوا في صناعة السينما قبل تأسيس أكاديمية الفنون.

وشأن معظم المؤسسات الصينية، أغلق معهد السينما عام 1966 في خضم الثورة الثقافية، واستأنفت الأستوديوهات الإنتاج على استحياء عام 1970، فأنتجت أفلاما ثورية ذات طابع مسرحي. وتدريجيا تنوعت المواضيع وإن ظل الشكل خاضعا للقواعد الستالينية التي وضعها ماو عام 1942 في كتابه "أحاديث عن الأدب والثقافة". وعادت معدلات الإنتاج إلى أوضاعها الطبيعية عام 1976، عام وفاة ماو تسي تونغ، لكن مرّت سنوات عديدة قبل أن يتخلّص صناع السينما الصينية من العادات الموروثة من سنوات الثورة الثقافية، وأعيد افتتاح معهد السينما عام 1978، وكانت الدفعة التي تخرجت منه عام 1982 وعرفت باسم "الجيل الخامس أول دفعة التحقت بالمعهد بعد الثورة الثقافية.

لقطة من فيلم «لعنة الزهرة الذهبية» لجانغ ييمو

تطورات بارزة

حفلت سنوات دراسة طلاب هذه الدفعة في الأكاديمية بتطورات هامة مثل ظهور "الحركة الديمقراطية" (التي قمعت في 1989) ولكنها تركت تأثيرا راسخا على الشعر والأدب الذي أنتجه الجيل الشاب، وكذلك انفتاح الصين على السياحة، وبدء برنامج تنغ هتسياو بنغ للإصلاح الاقتصادي الذي أدى إلى الازدهار الكبير في بعض المناطق الريفية ثم توسّع فيما بعد فجعل الصين القوة الاقتصادية الأكبر في العالم.

وفي المعهد، أمكن للطلاب الاطلاع على أفلام السينما العالمية بقدر يتجاوز كثيرا ما كان متاحا أمام طلاب الدفعات السابقة، بسبب إعادة افتتاح الأرشيف السينمائي.

كان هؤلاء الطلاب يختلفون عن سابقيهم من نواح عديدة هامة، فقد ولدوا جميعا بعد عام 1949، وهو ما يعني أنهم لم يعيشوا تجربة "المجتمع القديم"، وكانوا بالتالي محصّنين ضد الخطاب الدعائي الذي كان يكرس فكرة أن كل شيء في الحاضر أفضل مما كان في الماضي. وكانوا مثل غيرهم من الشباب المتعلم من نفس أعمارهم، قد أرسلوا إلى الريف في أواخر الستينات من القرن العشرين، لكي "يتعلموا من الشعب"، وعملوا في المزارع والمحاجر سنوات طويلة جنبا إلى جنب مع الفلاحين. وبالنسبة إلى معظمهم، كان امتحان الدخول إلى معهد السينما يعني عودتهم بصفة نهائية إلى الحياة المدنية.

وقد تحقق الإنجاز الأول لأبناء الجيل الخامس في أستوديو مقاطعة جوانكسي في العام 1984. وقد شكل ثلاثة من خريجي الجيل الخامس هم المخرج جانج جونزهاو، والمصور السينمائي جانغ ييمو، ومصمم الديكور هي كن، مجموعة للسينما الشابة داخل الأستوديو بتشجيع من مديره، وصنعوا معا فيلم "الواحد والثمانية".

ضد التيار

يروي فيلم "الواحد والثمانية" فصلا من فصول الحرب الصينية اليابانية، فهناك مجموعة من المجرمين المسجونين دسّ بينهم ضابط في الجيش الأحمر، للتجسس عليهم، يطالبون السلطات بإطلاق سراحهم من أجل الدفاع عن أنفسهم ضد الغزاة، وبالفعل يتحقق مطلبهم، ويكتشفون خلال نمو الوعي لديهم أن في داخلهم شعورا هائلا بالوطنية.

كان هذا الفيلم يختلف تماما عن كل ما سبقه من أفلام صينية. وكانت لغته القاسية وسلوك أبطاله الوحشي يتناسبان تماما مع لقطات جانج ييمو المروّعة، وكان يوجه نقدا لم يسبق له مثيل لدور الجيش الشيوعي (الجيش الأحمر). وجانغ ييمو كان هو مصور الفيلم فقد كان اهتمامه الأصلي بل ودراسته هي التصوير السينمائي، قبل أن يصبح بالطبع أهمّ مخرجي الصين في تاريخها كله.

وسرعان ما أعقبت فيلم "واحد وثمانية" أفلام أخرى، ففي أستوديو "تسياو تسيانغ" في مقاطعة هونان، أخرج وي جينيو فيلم "القرار السري" الذي جمع بين الابتكارات البصرية والشكلية والجرأة في طرح موضوعه. ويدور الفيلم أيضا أثناء فترة المقاومة الصينية ضد الغزو الياباني، ويصور ضابطا في جيش "الكومنتانج" (جيش القوميين) يرفض التستّر على وثيقة مشبوهة وقعها شيانغ كاي شيك. وكان الفيلم يصوّر للمرة الأولى في السينما الصينية، ضابط الكومنتانغ في صورة إيجابية. وفي الوقت نفسه، حث جانغ ييمو صديقه تشن كايغي على التقدم بطلب للنقل إلى أستوديو جوانكسي، ووافقت السلطات على طلبه، فقد كان الأستوديو في حاجة إلى مخرجين، في حين كان يتوفر في أستوديو بكين الكثير منهم. وبذلك أتيحت الفرصة لتشين كايغي للعمل مع زميلي دراسته جانغ ييمو وهي كن في فيلم "الأرض الصفراء" الذي يعتبر المانيفستو السينمائي الأول الحقيقي للسينما الصينية الجديدة.

ورغم كل ما أثارته من جدل وصل إلى الهجوم الحاد، استمرت "الموجة الجديدة" في اكتساب أرضية لها في عامي 1985 و1986. ومع عام 1988 كان هؤلاء المخرجون وغيرهم قد أنجزوا أفلاما عديدة ساهمت في تجديد دماء السينما الصينية العجوز رغم قلة عددها قياسا إلى النتاج الكلي للصناعة السينمائية في الصين.

لم تتبن أفلام "الموجة الجديدة" في السينما الصينية الأنماط الغربية ولم تدر ظهرها للقضايا الصينية، بل على العكس، فإذا كان هناك شيء يربط بين مخرجين مثل تشين كايغي وهوانغ تسياصن وجانغ زيمنغ، فهو تحديدا إخلاصهم الشديد للجماليات الخالصة للسينما الصينية وتصميمهم على تناول المشاكل الحقيقية في المجتمع الصيني التي يعرفونها عن ظهر قلب.

إن فيلم "الأرض الصفراء" يعيد مناقشة إحدى الأساطير الراسخة في تاريخ الحزب الشيوعي الصيني (العلاقة بين الجيش الشيوعي ومجتمع قرية متخلفة في الثلاثينات من القرن الماضي) ويتوصل إلى أن الأيديولوجيا الشيوعية لم تنجح في استئصال التقاليد الإقطاعية تماما كما تصر الميثولوجيا. ويصور فيلم "أغنية سوان" لجانغ جيمنغ، ما تغير وما لم يتغير في ظل الحكم الشيوعي، من خلال تعقب الإحباطات والخيانات في حياة موسيقار مسنّ من مدينة كانتون. وكان فيلم "آخر أيام الشتاء" إخراج وي تسينيو، أول فيلم صيني عن "الكولاج" الصيني، أو المعسكر الشاسع للأشغال الشاقة في صحراء الشمال الغربي. ويصور فيلما "في أرض الصيد" و"سارق الحصان" لتيان جوانغ جوانغ، الواقع الحياتي والروحاني للأقليات العرقية في منغوليا الوسطى والتبت.

سمات خاصة

هذه الأفلام على تنوّعها وتفرّدها كانت تشترك معا في سمات خاصة، فقد ابتعدت عن الطابع المسرحي الذي لعب دورا كبيرا في ترسيخ تقاليد "الواقعية الاشتراكية"، وتقلص فيها الاعتماد على الحوار، في حين برز دور الصورة في التعبير عن المضمون، وسعت إلى العثور على موضوعات جديدة وزوايا جديدة لتناولها، كانت السينما الصينية قد أقلعت عنها طويلا.

كانت هذه الأفلام تسعى إلى تأسيس سينما صينية متميزة، تتحرر تماما من كل من تأثيرات هوليوود و"موسفيلم" معا. وفضلا عن هذا كله، رفضت هذه الأفلام كلها الأسلوب التعليمي، مفضلة التعامل مع ما تطرحه من موضوعات من شتّى الزوايا، متيحة للمشاهدين فضاء كافيا للوصول إلى قناعاتهم الشخصية. وبعد ثلاثة عقود من الهيمنة العقائدية على السينما الصينية، استعادت الأفلام الجديدة طابع الغموض السحري، وصبغت الصورة الصينية بذلك الطابع الخاص والحسّ المرهف تجاه العالم. لم تقطع أفلام الموجة الجديدة صلتها بماضي السينما الصينية، بل من الصحيح القول إنها أعادت النظر في تقاليد السينما الصينية من منظور حديث.

الممثلة الصينية فان بنغ بنغ في مهرجان سان سباستيان

مدينة دبي الطبية تستقطب السياح المحليين والأجانب

الوجهات السياحية العلاجية العربية تصعّد التنافس مع دول الغرب

الطبيعة العربية علاج تجتذب السائح

تعتبر إمارة دبي من أبرز الوجهات السياحية ومن أكثرها جذبا للسياح من مختلف أنحاء العالم، إلا أنها أظهرت خلال مؤتمر السياحة العلاجية الذي انتظم بمركز دبي العالمي للمؤتمرات والمعارض، مؤخرا، أنها أيضا وجهة للسياحة العلاجية تعمل على احتلال المراكز الأولى على مستوى عربي وعالمي. وبرزت خلال المؤتمر بعض الوجهات العربية الأخرى كالإمارات ومصر، مما دفع ببعض الدول الآسيوية المعروفة بأنها من أهم نقاط الجذب للسياح في العالم، لمحاولة استقطاب الخليجيين لسياحة العلاجية.

❑ **دبي** – شهدت السياحة العلاجية في السنوات الأخيرة زيادة الطلب عليها، حيث سجلت العديد من الدول إقبالا سياحيا كبيرا بفضلها.

وغالبا ما يتجه السائح إلى الدول الأوروبية والآسيوية بحثا عن أفضل الخدمات المتعلقة بالسياحة العلاجية، إلا أن الدول العربية أثبتت أنها منافس لا يستهان به خطف إليه الأنظار، بالإضافة إلى أنه يعمل على أن يكون من أبرز الوجهات السياحية العلاجية في العالم.

وأظهرت الإمارات على هامش مؤتمر السياحة العلاجية الذي انطلقت فعاليته في مركز دبي الدولي للمؤتمرات والمعارض في الـ9 من أكتوبر الحالي، أنها تسعى إلى أن تصبح مركزا للسياحة العلاجية العالمية والوجهة المفضلة للمرضى المحليين والأجانب.

> 500 ألف سائح علاجي يسعى مشروع دبي وجهة عالمية للسياحة العلاجية إلى استقطابهم بحلول عام 2020 لتكون دبي الوجهة المثالية للمرضى من مختلف دول العالم

وكشفت إمارة دبي خلال المؤتمر أنها وجهة آمنة ومتكاملة للسياحة العلاجية، إلى جانب أنها تمتلك أفضل المقومات لتحتل موقعا متميزا على خارطة السياحة العلاجية.

وأكدت ليلى المرزوقي مديرة إدارة التنظيم الصحي ومديرة مشروع السياحة العلاجية في هيئة الصحة بدبي، أن الهيئة تسعى من خلال مشروع دبي وجهة عالمية للسياحة العلاجية إلى استقطاب 500 ألف سائح علاجي من خارج الدولة بحلول عام 2020 لتكون دبي بمقومات سياحتها العلاجية ومنظومتها الصحية المتطورة الوجهة المثالية للمرضى من مختلف دول العالم.

وكان الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي قد أطلق مشروع دبي وجهة عالمية للسياحة العلاجية في إطار تطوير قطاع السياحة وتنميته لتصبح مدينة دبي بسياحتها العلاجية والعائلية والتسويقية، الوجهة المثالية القادرة على استقطاب نحو نصف مليون سائح، مع حلول موعد إكسبو 2020.

وقالت المرزوقي إن عدد القادمين من الخارج للعلاج في المدينة يقدر بـ300 ألف سائح سنويا، إلى جانب 360 ألف شخص من الداخل فضلوا استكمال علاجهم في الإمارة بدلا من الخارج، ما يسمى بالسياحة العلاجية المعاكسة، مع توقعات بزيادة في عددهم خلال العام الجاري.

وأشارت المرزوقي إلى أن دبي تحتل المركز الـ17 كوجهة عالمية للسياحة العلاجية، مضيفة أن من أهم ملامح هذا النوع من السياحة هو البحث عن التجربة والاستعداد لها واستمراريتها، فخطوات دبي للمنافسة في قطاع السياحة العلاجية ملموسة، إذ لديها البنى التحتية، وعناصر الجذب متوافرة، إضافة إلى التقدم الطبي والمراكز والمستشفيات المعتمدة والمراكز التخصصية، وسهولة الحصول على الإجراءات والمعلومات من حيث آلية التراخيص.

وأوضحت المرزوقي أن السياح الذين يأتون للعلاج سيجدون كل شيء متوفرا وفي المتناول، مضيفة أن دبي تركز على الجودة وليس على الأسعار.

وتابعت هناك مستشفيات في دبي تتناسب مع كل الفئات، فتوجد مستشفيات تناسب الجميع من حيث الأسعار وجودة الخدمات، فضلا عن تطوير دبي لمنظومتها الصحية عبر استقطاب أكثر الأنماط العلاجية كفاءة في العالم.

وقالت ريم عثمان المدير التنفيذي للمستشفى السعودي الألماني إن تقديم خدمات صحية متميزة بات جاذبا كبيرا لمرضى من دول أوروبية وآسيوية وأفريقية، كما أسهم في خفض نسب سفر أبناء الخليج للعلاج في أوروبا وآسيا.

وتابعت عثمان "سمعة السياحة العلاجية في دبي، كان لها أثر بالغ في جذب مجموعات سياحية كبيرة من آسيا لتلقّي الخدمات الطبية".

وأشارت عثمان إلى حدوث نمو كبير في السياحة العلاجية المعاكسة "حيث استقبل المستشفى السعودي الألماني، بدبي، عددا كبيرا من المرضى الإماراتيين كانوا يعالجون في الخارج، ولكنهم اختاروا استكمال العلاج في المستشفى بدبي".

وقال محمود الشغري مدير التسويق في مستشفى سليمان الحبيب بدبي، إن مفهوم السياحة العلاجية المعاكسة يشهد توسعا كبيرا، بعد أن فضّل عدد كبير من أبناء الإمارات ودول الخليج استكمال علاجهم ببلادهم، بدلا من السفر إلى الخارج.

وأضاف الشغري "تميز مستوى الخدمة الطبية في تخصصات طبية هامة، مع استقطاب كفاءات وخبرات طبية كبيرة، عزز الثقة في القطاع الصحي الخليجي، وأسهم بشكل كبير في رواج السياحة العلاجية في دبي".

وأثبتت دبي أنها من أبرز الوجهات السياحية العلاجية العربية، حيث حصلت على جائزة المدينة المفضلة للسياحة العلاجية لعام 2016، على هامش المؤتمر العالمي للسياحة العلاجية الذي استضافته مدينة مدريد الأسبانية خلال الفترة من 24 إلى 26 مايو الماضي بمشاركة نخبة من المختصين والمهتمين في مجال السياحة العلاجية من 42 دولة على مستوى العالم.

وساهم ذلك في جعل دبي وجهة مفضلة لطالبي العلاج والاستشفاء من مختلف دول العالم، لا سيما وأنها تميزت باهتمامها الكبير بخدمات الرعاية الصحية، ولتوفير الخدمات للمواطنين والمقيمين والسياح كافة بجودة عالية، لتحقق المعادلة الصعبة في جعلها وجهة عالمية للسياحة العلاجية.

وتعتبر دبي جاذبة للأطباء، إذ تمتلك مهنيين صحيين من 110 جنسية مختلفة يتكلمون لغة المريض، وهناك مؤسسات صحية تقدم مترجمين بلغات بعض الجنسيات ولديهم قائمة بالأطعمة المحلية للمرضى من بعض الدول، معتمدة على عدد المرضى لكل منشأة.

وتمتاز مدينة دبي الطبية بموقعها الاستراتيجي في قلب الإمارة، الأمر الذي يعطيها ميزة إضافية، حيث تبعد المدينة 10 دقائق عن مطار دبي الدولي، و30 دقيقة عن مطار آل مكتوم الدولي – دبي وورلد سنترال، مما يجعلها الوجهة العالمية المتكاملة للرعاية والرفاهية الصحية.

كما أن مدينة دبي الطبية تطلّ على قناة دبي المائية التي تعد من أهم مشاريع دبي السياحية في الوقت الحاضر، بالإضافة إلى أن مدينة دبي الطبية تعد أكبر منطقة حرة للرعاية والرفاهية الصحية في العالم.

وتعتمد هذه المدينة الطبية على أدوات تقييم علمية مثل الاستبيانات لقياس درجة رضا المرضى عن الخدمات الطبية المقدمة في المنطقة الحرة، مما يمكّن من المساهمة في جذب المزيد من السياح، لا سيما وأن مدينة دبي الطبية توفر أكثر من 152 اختصاصا طبيا تغطي مختلف المجالات الطبية الموجودة، وتتميز بتوفير خدمات علاجية متكاملة.

ولتكون دبي وجهة مثالية للعلاج والاستشفاء قامت هيئة الصحة بإطلاق نادي السياحة العلاجية من أجل أن يكون منبرا خاصا بالمنشآت الصحية، لبحث مستجدات وآلية تنفيذ وتطوير استراتيجية السياحة العلاجية.

كما أن الإمارات أصبحت تعد أيضا من أكثر الوجهات السياحية جاذبا للسياحة العلاجية مؤخرا، وتشكل الوجهة المثالية للراغبين في الجمع بين السياحة العلاجية والتسوق، بحيث يستطيعون تلقي العلاج والرعاية الصحية التي يحتاجون إليها في منشآت طبية عالمية المستوى بتكاليف معقولة، بينما يستمتعون بمباهج التسوق في

> مدينة دبي الطبية تمتاز بموقعها الاستراتيجي، حيث تبعد 10 دقائق عن مطار دبي الدولي، مما يجعلها الوجهة العالمية المتكاملة للرعاية الصحية

أسواق تجارية حرة وشديدة التنافسية على مستوى العالم.

والموقع الجغرافي المتميز للإمارات يخلق لها البيئة المناسبة لنجاح المشروع الضخم، فهناك البنية التحتية الداعمة للسياحة العلاجية، من فنادق فخمة ومراكز تجارية فريدة من نوعها وفعاليات وأنشطة ترفيهية وثقافية وتراثية كبيرة على مدار العام.

كما أن إمارة دبي خاصة، والإمارات عامة، تمتلك العدد الأكبر من المنشآت الصحية الحاصلة على الاعتماد الدولي عالميا.

وأظهرت دول عربية أخرى كفاءتها كوجهة متميزة للسياحة العلاجية، حيث فازت شركة مصر للطيران للخدمات الطبية للمرة الثانية بجائزة أفضل مستشفى لعام 2016 يقوم بالتسويق لبرامج السياحة العلاجية، وذلك في مؤتمر السياحة الطبية العالمي "دبليو إتش يو سي" بمدينة دبي.

ويأتي فوز مستشفى مصر للطيران ليساهم في جذب السياح العرب والأجانب إلى الوجهات السياحية العربية أكثر فأكثر، لا سيما وأن هذا الفوز جاء بالتزامن مع المؤتمر العالمي للسياحة العلاجية الثاني عشر، الذي شارك فيه أكثر من 400 عالم وخبير وطبيب في المجال الصحي والسياحة العلاجية، يمثلون 29 دولة، و100 وكيل ومنسق من مختلف الجهات والهيئات ذات العلاقة بالسياحة العلاجية محليا وعربيا وعالميا. وهو ما يدعم مصر لتكون مقصدا ووجهة موثوقا بها في مجال السياحة الطبية العلاجية.

وحاولت بعض الدول الآسيوية خلال المؤتمر استقطاب المزيد من السياح الخليجيين، حيث عرضت هيئة تايلاند للسياحة من خلال جناحها بالمؤتمر مرافق علاجية وسياحية عالية الجودة ومختلفة التخصصات.

وأوضحت الهيئة أنه في وسع السياح القادمين من دول الخليج الانضمام إلى كافة العلاجات الطبية في تايلاند ولمدة 90 يوما وبدون تأشيرة مسبقة. وأضافت الهيئة أنه يحق للمريض الذي يودّ العلاج في تايلاند أن يصطحب معه 3 من أفراد عائلته، ويستطيع أن يمكث نفس المدة المحددة للضيوف الخليجيين وكذلك من غير تأشيرة.

وأطلقت الهند خلال معرض السياحة العلاجية بدبي، مبادرة "الهند تطبّب" بهدف الترويج للهند كمركز رائد للرعاية الصحية على الخارطة العالمية.

وطرحت وزارة التجارة والصناعة في الهند ومجلس ترويج صادرات الخدمات الهندية مؤخرا بوابة للرعاية الصحية لتكون مرجعية شاملة وموحدة لأحدث المعلومات ذات الصلة بالمستشفيات الهندية وسوق السفر والسياحة العلاجية المحلية.

استفسارات سياحية

◄ خطوات تحمي المرأة أثناء سفرها

❑ موقع أدفينتشورس كيت يقدم العديد من النصائح للمرأة التي تضطر لسفر بمفردها سواء بهدف العمل أو السياحة،ومن بين هذه النصائح: أن تحرص على الحصول على معلومات كافية عن وجهة السفر، بالإضافة إلى وسائل المواصلات الآمنة التي يمكنها استخدامها، والمراكز الطبية التي يمكن أن تقصدها في حال تعرضها لمشاكل صحية.

ويوصي الموقع المرأة أن لا تترك مقتنياتها الثمينة في غرفة الفندق أو مكان إقامتها خشية تعرضها للسرقة. وعلى المرأة أن تكون حريصة أثناء تعاملها مع أي شخص وأن تتوخى الحذر في علاقتها الجديدة.

وكإجراء وقائي على المرأة أن تحتفظ بنسخ مصورة عن وثائقها وبطاقات ائتمانها لاستخدامها في حال فقدان النسخ الأصلية.

وتصل الطائرة إلى الوجهة المحددة في وقت متأخر من الليل، لذا على المرأة تجنب الصعود في أيّ سيارة أجرة. ومن المفيد أن تتعامل المرأة مع شركة معروفة لإيصالها إلى الفندق لضمان عدم تعرضها لأيّ تحرش أو مضايقة من السائق.

◄ مقاعد الطائرة الأمامية توفر الهدوء

❑ الطيار الأميركي كريستيان يوضح أن أفضل مقاعد الطائرة هدوءا وراحة المقاعد الأمامية لجناحي الطائرة أي المقابلة لمقصورة القبطان.

وفسر كريستيان ذلك بأن المقاعد الأمامية تبتعد عن أجنحة الطائرة التي تتمركز أسفلها محركات الطائرة، وبالتالي فإن الجلوس في المقاعد الخلفية القريبة من أجنحة ومحركات الطائرة يزيد التوتر والدوار، بفعل الضجيج الصادر منها، وبالتالي فإن أسوأ المقاعد الموجودة في نهاية الطائرة. وأشار إلى أن الجلوس في المقاعد الخلفية توازي الجلوس بالقرب من مكبرات الصوت، أما المقاعد بجوار النوافذ، تعتبر الأكثر ضجيجا من غيرها.

وبحسب موقع ميرور البريطاني، فإنه على الرغم من المقاعد الأمامية لمقصورة الطائرة هي الأكثر هدوءا، إلا أنها ليست دائما أمانا بالنسبة إلى الرضع، لكن في الوقت ذاته هي الأفضل، حيث تقدم لها الوجبات في الأول.

بعض شركات الطيران على دراية بهذه المعلومات، لذلك يضيفون على سعر المقاعد المميزة قيمة إضافية للحجز المسبق لهذه المقاعد.

◄ حمل وجبات خفيفة أثناء السفر صحي

❑ رحلات السفر تسبب تغيرا كبيرا في نمط الحياة اليومي للمسافرين. وتنصح أخصائية التغذية سيان بورتر، من جمعية التغذية البريطانية، المسافرين بتجهيز وإعداد وجباتهم الخفيفة مسبقا، لتجنب الخيارات المغرية وغير الصحية خلال رحلات السفر، سواء في البر أو في الجو.

وأوضحت بورتر "في حقيبة سفركم أو في سياراتكم، احرصوا على التزود بقطعة فاكهة، ومن الأفضل أن تكون فاكهة حمضية، إذ أن هذا النوع يعتبر مناسبا أكثر أثناء رحلات السفر." كما تنبه بورتر من الإفراط في تناول الطعام، إذ أن توفر الوجبات المجانية على متن الطائرات، يجعلنا أكثر عرضة لتناولها، دون التفكير فيما إذا كنا بحاجة لها أم لا. ولذا، تنصح بورتر بتناول الكثير من الماء، لتجنب إنذار الجوع الخاطئ، فضلا عن أن الماء يساعد على ترطيب الجسم أثناء السفر.

إعداد الجيل القادم لمواجهة عمالقة التكنولوجيا يبدأ من المدارس

التغلب على الذكاء الاصطناعي رهين التعليم التقليدي أم الإلكتروني

الذكاء الاصطناعي يبسط سيطرته

انتشار الروبوتات وسيطرتها على الكثير من الوظائف يدق ناقوس الخطر من سيطرتها على البشر في المستقبل القريب، لذلك تسعى بعض الدول إلى إيجاد حلول تحول دون حصول ذلك. وترى العديد من الدراسات والمحللين أن الحل يكمن في إعداد الطلبة إعدادا يتصدى للذكاء الاصطناعي ويتفوّق عليه، وتسعى أحدث الدراسات لإيجاد معادلة بين التعليم التقليدي والإلكتروني.

❏ **لندن** – يرى البعض من السياسيين والمحللين أن انتشار الذكاء الاصطناعي يستوجب إعداد الجيل القادم بحيث يكون قادرا على مواجهة عمالقة التكنولوجيا والتصدي لمحاولاتهم في السيطرة على العالم من حولهم.

وأمام اختراع المزيد من الروبوتات الصالحة لمختلف الوظائف، توصلت أبحاث حديثة إلى إمكانية سيطرة الذكاء الاصطناعي على البشر، لا سيما وأن عمالقة التكنولوجيا يتنافسون على استحداث ابتكاراتهم، فعلى سبيل المثال طرحت منذ فترة شركة تويوتا لصناعة السيارات روبوتا يوفر للنساء العاجزات عن الإنجاب الشعور بالأمومة وهناك أيضا بوادر لظهور روبوت بيد بشرية.

ويبدو أن الحل يكمن في إعداد الناشئة لتكون قادرة على التغلب على الذكاء الاصطناعي، من خلال تجديد البرامج البيداغوجية، لكنّ هذا التحول في البرامج هل سيعتمد على التعليم الإلكتروني أم التقليدي؟

وأفاد تقرير صادر عن لجنة العلوم والتكنولوجيا في البرلمان البريطاني، أن الروبوتات كما جرى تصويرها وتخيلها في أفلام مثل حرب النجوم، ما تزال بعيدة عن التحول إلى حقيقة، لذلك على الحكومات الشروع في التحضير لتغيير كبير في المستقبل القريب.

وقالت تانيا ماتياس، القائمة بأعمال رئيسة اللجنة والنائب المحافظ عن منطقة تويكنهام، إن «الخيال العلمي يتحول ببطء إلى حقيقة من خلال العلم، ويبدو بوضوح أن الروبوتات والذكاء الاصطناعي يتّجهان للعب دور متزايد في حياتنا خلال العقود المقبلة».

وتابعت ماتياس أن المناهج الدراسية، وبخاصة في المدارس الثانوية، لا تزال بعيدة عن مجال الروبوتات والذكاء الاصطناعي.

وشدد التقرير على أن التقدم السريع في مجال الذكاء الاصطناعي سيتسبب في تعميق ظاهرة البطالة في العالم، موضحا أن الحل يكمن في أن تحاول الحكومة إكساب الجيل القادم المهارات المناسبة للاستفادة من سوق العمل المتغيرة.

30
بالمئة تقريبا من الوظائف التي يقوم بها البشر، سيسيطر عليها الإنسان الآلي في 2025

وأكدت ماتياس «يجب أن نعلّم الناس كيف يفكرون أبعد مما تقوم به أجهزة الكمبيوتر، وإلا كنا نحن البشر زائدين عن الحاجة، والمنهج الدراسي لا يتحرك بالسرعة الكافية لتعليمنا هذا».

وقالت البروفيسورة روز لوكين، وهي خبير في الذكاء الاصطناعي والتعليم في جامعة لندن، والتي أعطت أدلة إلى اللجنة، إن «المناهج الدراسية لا بد من تحديثها لتعكس كوننا نعيش الآن في عالم، حيث حل المشكلات والإبداع أصبحت أصولا أساسية أكثر أهمية. فملء رأس الطلاب بالمعرفة ومساعدتهم على إفرازها واستدعائها بشكل دائم شيء يمكنك إتمامه بسهولة، لكن هذا الشحن المعرفي لا يجهّز الأطفال لسوق القوى العاملة الحديثة».

وتابعت لوكين أنه من الضروري أن يدرس الطلبة المزيد عن أساسيات عمل الذكاء الاصطناعي، مضيفة «لديّ شعور فظيع أن كل الأمور ستحدث لنا فجأة، لنكتشف أنه كان ينبغي لنا أن نفعل الأشياء بشكل مختلف»، في إشارة للتعليم والمناهج الدراسية.

وترى ماتياس أنه على الآباء أيضا النظر في الكيفية التي سيتغير بها نظام العمل، والوظائف في المستقبل، موضحة «أعتقد أن الآباء، في الجزء الخلفي من عقولهم، يجب أن يفكروا كالتالي: أنا أعرف أن وظيفة المحاسبة أو الجراحة التي أقوم بها اليوم، سوف يختفي جزء كبير منها في المستقبل».

وحذرت اللجنة من أن المشاكل الاجتماعية والأخلاقية التي سيتسبب فيها انتشار الذكاء الاصطناعي في حياتنا، يجب أن يتم التخطيط لها منذ الآن، والاستعداد للتعامل معها.

وأشارت اللجنة في تقريرها إلى أن بعض التطبيقات الموجودة الآن يمكن أن تعلّم الناشئة العنصرية وتعمقها بداخلهم. وقد ضربت مثلا من خلال تطبيق غوغل الخاص بالصور، الذي يقوم بتعليم الصور تلقائيا، وكشفت تقارير أنه يقوم بتصنيف صور الأشخاص ذوي البشرة السمراء بأنهم مثل الغوريلا. ودعت اللجنة إلى اتخاذ الإجراءات الواجب اتخاذها لوقف التمييز، الذي يمكن أن يظهر عبر تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي دون قصد.

كما حثت اللجنة الحكومة على تشكيل لجنة للذكاء الاصطناعي للنظر في المشاكل المحتملة التي يمكن أن يخلقها العلم.

وأشار يوفال نوح هراري، وهو محاضر في الجامعة العبرية في القدس، إلى أن «معظم ما يتعلمه الناس في المدرسة أو في الجامعة ربما يكون غير ذي صلة، عندما يصل هؤلاء إلى سن الأربعين والخمسين».

وأضاف هراري «إذا كان هؤلاء يريدون الاستمرار في الحصول على وظيفة، وفهم العالم، فيجب على الناس إعادة استثمار أنفسهم في مجالات أخرى بشكل أسرع وأكثر مرونة».

ويتوقع المحللون أن 30 بالمئة تقريبا من الوظائف التي يقوم بها البشر، سوف يسيطر عليها الإنسان الآلي بحلول عام 2025، حيث بدأ الإنسان الآلي في القيام بدور السائق بشكل جزئي.

ويرجّح أن يشهد قطاع السيارات تحولا في المستقبل القريب يعتمد على القيادة الذاتية، مما يمكن أن يضر بمهنة سائقي الأجرة على سبيل المثال، وقد انطلقت بعض سيارات الأجرة في تطبيق ذلك منذ فترة.

وبالحديث عن الأرقام والحسابات والتعامل معها، فلن نجد أفضل من العقل الإلكتروني، ليقوم بكل ما نحتاج إليه من تحليلات وعمليات حسابية معقدة، إلى جانب قدرة الإنسان الآلي على تخزين كميات غير محدودة من البيانات.

وهناك مخاوف من أن تحل الروبوتات محل الصحافي في كتابة وتنسيق التقارير. كما أن هناك شركة متخصصة في إنتاج القصص من خلال الإنسان الآلي.

وتحاول العديد من الدراسات والأبحاث التوصل إلى نتائج حول أيهما أنجع للناشئة التعليم التقليدي أم الإلكتروني للسيطرة على الذكاء الاصطناعي في المستقبل القريب بدل سيطرتها هي على البشر؟

يبدو أن الذكاء الاصطناعي قد اجتاح المدارس، وهناك توقعات بأن يرتفع حجم سوق التعليم الإلكتروني عالميا خلال السنوات القادمة إلى ما يزيد عن 240 مليون دولار، وأن يبلغ حجم السوق للفصول الذكية وحدها إلى حوالي 94 مليار دولار بحلول عام 2020.

ويرجع ذلك إلى أن التعليم الإلكتروني صار جاذبا لكل أصحاب الأفكار والتكنولوجيات الجديدة، وصارت الحكومات والمؤسسات التعليمية شديدة التنافس على

> التقدم السريع في مجال الذكاء الاصطناعي سيتسبب في تعميق ظاهرة البطالة في العالم، والحل في إكساب الجيل القادم المهارات المناسبة للاستفادة من سوق العمل المتغيرة

تبني التقنيات الجديدة والتفاخر بإدماجها في فصولها ونظمها.

وفي المقابل، أظهرت بعض الدراسات العلمية أن تحويل الدراسة إلى نشاط إلكتروني بحت، والإسراف في استخدام الأجهزة الإلكترونية أثناء التعليم، يحدث أضرارا بالمستخدمين وخاصة للمراهقين والأطفال. ولهذا صار لزاما أن نعرف ما هو الحد الفاصل بين حسن استخدام التكنولوجيا في التعليم وبين إفساد التعليم بدعوى التطور التقني.

وقد خلق التعليم الإلكتروني ميزة التعلم، بحيث يكون الشرح للمادة في البيت من خلال مشاهدة الطلبة لفيديوهات ومواد تعليمية، ثم يأتون إلى الفصل للمناقشة وتبادل الآراء والأسئلة بحضور وإدارة مدرس المادة. وهذا ما يساهم أكثر في سيطرة الذكاء الاصطناعي على الناشئة، لا سيما وأن التطور التقني الكبير لشبكة الإنترنت صاحبه ظهور مفهوم جديد في التعليم وهو الكورسات التعليمية الموجهة ذاتيا.

وأثبتت الكثير من الأبحاث أن الشاشات تؤثر على التركيز والانتباه والمزاج العام، بالإضافة إلى أن هناك علاقة بين انتشار الأجهزة الإلكترونية وبين أمراض فرط الحركة وتشتت الانتباه لدى الأطفال.

وبيّنت أبحاث من جامعة درهام البريطانية أن هناك مبالغة كبيرة في القيمة المفترضة لتحسن عملية التعلم حين يتم تطبيق التعليم الإلكتروني، فقد قام البحث بتحليل موسّع لتطبيق التعليم الإلكتروني واستخدام التكنولوجيا في تطوير التعليم، وقارن نتائج تلك التطبيقات بالمحاولات الأخرى في تحسين العملية التعليمية. وخلص البحث إلى أن هناك بالفعل أدلة على تحسن التعليم حين يتم إدماج التكنولوجيا في المنظومة التعليمية، إلا أن هذا التحسّن يبقى في المتوسط أقلّ من التحسينات التي يتم تحقيقها عند تطبيق تعديلات أخرى أكثر اجتماعية في المدارس.

ولفتت هذه الأبحاث إلى أن الإفراط في التعلم من خلال الوسائط الإلكترونية قد يؤدي إلى تحلّي الطالب بشعور كاذب بالتفوق وتحصيل المعلومة نظرا لسهولة الرجوع إليها، مما يجعله يشعر بأنه أكثر ذكاء مما هو عليه في الحقيقة، وهذا من الثغرات التي يمكن أن يسيطر من خلالها الذكاء الاصطناعي على الجيل القادم.

وفي دراسة أجريت على طلبة، تمت مقارنة العديد من الطرق في أخذ الملاحظات أثناء المحاضرات: الكتابة المفصلة باليد، والكتابة المختصرة، والكتابة الإلكترونية. وقد تبيّن أن الكتابة المفضّلة هي أفضل الطرق في حفظ المعلومات وتركيزها في الذهن، وخاصة عند الاختبار.

جديد التكنولوجيا

❏ علماء من جامعة سمارا الروسية يعملون على تطوير روبوتات فضائية بذراع خاصة سوف تشبه يد الإنسان. ويتم العمل حاليا في الجامعة الوطنية للبحوث في سمارا على نظام روبوت معقد وعلى جهاز للتحكم به، طوره العلماء ليعمل على أساس أجهزة استشعار الألياف الضوئية. ويقوم المهندسون الروس بصنع جلد اصطناعي مزود بأجهزة استشعار مدمجة، مما سيعطي الأيدي الاصطناعية القدرة على تلقّي معلومات إضافية عن طريق اللمس والشعور.

وستساعد هذه الروبوتات بشكل كبير على الحد من المخاطر على حياة رواد الفضاء خارج كوكب الأرض، فهي قادرة على أداء المهام بدلا منهم.

❏ شركة إنستغرام تعلن أن تطبيقها أصبح أخيرا متاحا على أجهزة الكمبيوتر والكمبيوترات اللوحية التي تعمل بنظام التشغيل ويندوز 10.

ويمكن للمستخدمين الآن تحميل التطبيق على أجهزة الكمبيوتر والكمبيوترات التي تعمل بنظام التشغيل ويندوز 10 بعد أن كان التطبيق حكرا على الأجهزة المحمولة، وذلك عبر متجر تطبيقات ويندوز.

ويحتوي التطبيق على أغلب المميزات الموجودة في النسخة الرسمية لإنستغرام، حيث يتيح للمستخدمين التقاط الصور والفيديوهات وإضافة البعض من التعديلات عليها وأيضا إمكانية تشاركها مباشرة من الجهاز، وغيرها من الميزات.

❏ شركة إبسون اليابانية تطرح أحدث أجهزة السينما المنزلية "إي- إتش-تي دبليو 6700"، التي تضفي العديد من الميزات الراقية على غرفة المعيشة.

وأوضحت الشركة أن الجهاز الجديد يمتاز بانخفاض التكلفة ودقة الوضوح العالي الكامل وجاهزيّته للعمل بتقنية ثلاثية الأبعاد.

وبفضل توفر إمكانية التركيب الذكي دون أسلاك، يتمتع الجهاز بميزة الإرسال عبر تقنية "وايرلس إتش دي" والوصول إلى تطبيق إبسون بروجكشن، ما يسمح للمستخدم بالتحكم في جهاز العرض الخاص به من أيّ جهاز ذكي. ويعتمد جهاز إبسون الجديد على تقنية عرض ألوان مشرقة.

❏ تطبيق فيسبوك يتيح لأصحاب أجهزة أبل الجوالة المزودة بنظام "آي أو إس" إمكانية بث بيانات الفيديو من شبكة التواصل الاجتماعي الشهيرة إلى أجهزة التلفاز، وذلك بعد أن قام المطورون بدمج واجهة "أبل آير بلاي" و"غوغل كاست" في التطبيق.

ولكي يتمكن المستخدم من الاتصال بأجهزة التلفاز المتصلة، مثل تلفاز أبل أو جهاز غوغل كروم كاست، والتي تدعم هذه الواجهات، فإنه يتعين على المستخدم النقر على أيقونة التلفاز في الركن العلوي جهة اليمين. ومن المقرر أن تطلق شبكة فيسبوك إمكانية بث بيانات الفيديو في التطبيق المخصص للهواتف الذكية والكمبيوترات اللوحية المزودة بنظام غوغل أندرويد.

❏ فريق من الباحثين بجامعة شالمرز للتكنولوجيا في السويد توصل إلى ابتكار شاشات إلكترونية رفيعة للغاية يمكن أن تكون الأساس لصناعة أوراق إلكترونية.

وتتميز الخامة الجديدة بأن سمكها لا يزيد عن ميكرومتر واحد وكذلك بميزة المرونة. ويوضح الباحث أندرياس دالين أن "الأوراق الإلكترونية تستهلك عشر كمية الطاقة التي تحتاجها كمبيوترات كيندل التي تستهلك بدورها كمية أقل بكثير مقارنة بالكمبيوترات اللوحية المزودة بشاشات ليد".

الكيك بوكسينغ المائي يضاعف قوة اليدين والرجلين

مواجهة الضغط المائي تزيد من قدرة التحمل

رياضة الكيك بوكسينغ تدرب عضلات الذراعين والرجلين وتزيد من مرونتها وقوتها، لكن هذه القوة تتضاعف وتتطور عند ممارسة التمارين نفسها في المسبح أو البحر، ذلك أن المقاومة التي يفرضها الماء على الجسم تستفز العضلات لبذل جهد أكبر لتنفيذ الحركة.

معدل عملية التمثيل الغذائي يرتفع أثناء ممارسة الرياضة في الماء

❑ **هامبورغ (ألمانيا) – يرتكز الكيك بوكسينغ المائي على تسديد اللكمات والركلات بكل جهد تحت الماء وهو ما يجعل الضربات أكثر قوة وصلابة من تنفيذها على اليابسة. ويعني مصطلح الكيك بوكسينغ الركل والملاكمة وهي رياضة تندرج ضمن الرياضات القتالية.**

أخذت هذه الرياضة صيتا كبيرا في كل أنحاء العالم ولم يقتصر تعليمها على من يشاركون في المنافسات أو من يواجهون خصوما خلال التمارين، إذ صار بإمكان الجميع التدرب عليها دون الحاجة إلى شريك، وبالإمكان ممارستها داخل المنزل أو في قاعات الرياضة، بشكل منفرد. ولتطوير الرياضة، عمل مدربو اللياقة على إلحاق الكيك بوكسينغ ببقية الرياضات المائية لتحقيق المزيد من الفوائد التي يضمنها التدرب في الماء، حيث تتمتع هذه التمارين بالعديد من الفوائد الصحية بالنسبة إلى العضلات والقلب والمفاصل وغيرها من أعضاء الجسم، شريطة تأديتها على نحو سليم، كما أنها مناسبة للجميع شباباً وكباراً، فضلاً عن كونها متعة حقيقية تدخل البهجة والسرور إلى نفس ممارسيها.

وأوضحت خبيرة الأنشطة الحركية الألمانية جانيت هونه أنه في السابق كانت تُسمى هذه التمارين "التمارين المائية" فحسب، أما الآن فتتشعب منها العديد من المسميات مثل تمارين التقوية المائية وتمارين الترفيه المائية وتمارين اللياقة المائية والركض المائي والملاكمة المائية والكيغ بوكسينغ المائية والزومبا المائية؛ فدائماً يكتشف المدربون إمكانيات جديدة لممارسة الرياضة في الماء.

وأردفت هونه، الأستاذة بجامعة بوتسدام ورئيسة الرابطة الألمانية للتمارين المائية، "يوجد تنوّع كبير في المصطلحات الحديثة المستخدمة في هذا المجال؛ حيث تمّ نقل الكثير من التمارين الرياضية التي تتم ممارستها على اليابسة إلى الماء، وبالطبع لا يُمكن نقل كل أنواع التمارين إلى الماء بسهولة".

ويقول عضو الاتحاد الألماني للسباحة، فولفغانغ ليمان "قد يستلزم الأمر تعديل طريقة ممارسة بعض التمارين، كي يكون من الممكن ممارستها في الماء؛ فلا يُمكن مثلاً ممارسة أحد التمارين المائية أثناء حمل أثقال الدمبل، في الوقت نفسه الذي يكون فيه الماء مغطياً لمنطقة الصدر لدى الرياضي". وأضاف ليمان "بشكل أساسي يُعدّ الماء الموجود حول جسم الرياضي جهاز اللياقة البدنية الوحيد الموجود بصحبته".

وأكدت رئيسة الرابطة الألمانية لاختصاصيي العلاج الطبيعي المستقلين، أوته ريبشليغر، أن التمارين المائية تسهم في الوقاية من الأمراض، وتعمل على إعادة التأهيل وزيادة اللياقة البدنية، شرط تأديتها بشكل سليم. وأوضحت "تعمل هذه التمارين على دعم الجهاز القلبي الوعائي وتنشط عملية التمثيل الغذائي بالجسم".

وأضافت المعالجة الألمانية أن ممارسة الرياضة في الماء تعمل على التخفيف عن المفاصل؛ لأنه عندما يتحرك الإنسان داخل الماء لا يحمل سوى 10 بالمئة فقط من وزنه. وفي الوقت نفسه تتمّ تقوية عضلات الجسم وزيادة قدرته على التحمّل عند ممارسة هذه التمارين؛ لأنّ مقاومة الماء تتطلب من الرياضي زيادة القوة المبذولة –تبعاً لسرعة التمارين– بمعدل يراوح بين أربع و12 مرة مقارنة باليابسة. وبشكل عام أكدت ريبشليغر أن التمارين المائية تُمثل وسيلة جيدة للبدء في ممارسة الأنشطة البدنية، لا سيما بالنسبة إلى مَن يعانون من زيادة الوزن؛ حيث تمكنهم ممارسة الأنشطة البدنية التي عادةً ما تتسبب في إجهادهم إذا مارسوها على اليابسة، بمنتهى السهولة عند ممارستها في الماء؛ لأن الماء يحمل أوزانهم.

وأضافت اختصاصية العلاج الطبيعي الألمانية أن ممارسة الرياضة بشكل عام في الماء تتمتع بفاعلية أكبر ممّا يحدث عند ممارسة إحدى رياضات قوة التحمل مثلاً على اليابسة؛ حيث تعمل قدرة الماء على توصيل الحرارة في زيادة معدل حرق السعرات الحرارية بالجسم. وتضرب ريبشليغر مثالاً على ذلك بأن جسم الإنسان يحرق مثلاً نحو 400 سعرة حرارية في كل نصف ساعة من ممارسة أي نشاط رياضي في الماء، في حين أنه لا يحرق سوى 300 سعرة حرارية فقط عند ممارسة رياضة الجري مثلاً على اليابسة في المدة الزمنية نفسها. وأرجعت المعالجة الألمانية ذلك إلى أن الجسم يزيد من معدل عملية التمثيل الغذائي أثناء ممارسة الرياضة في الماء، كي يتسنّى له حماية نفسه من البرد الناتج عن انخفاض درجة حرارة الماء المتراوحة بين 28 و31 درجة مئوية.

وأردفت ريبشليغر "تعمل ممارسة التمارين المائية على تحفيز عملية سريان الدم داخل العضلات أيضاً". ولفتت إلى أن بإمكانها أيضاً التخفيف عن عضلات الصدر المشدودة وتقويتها، من خلال تحريك الأذرع في اتجاه معاكس لمقاومة الماء في حركات متأرجحة إلى الأمام والخلف تحت الماء.

ويعدّ نقل الكيغ بوكسيغ إلى الماء أحدث تطوير يقام على هذه الرياضية، منذ تأسيسها في بداية سبعينات القرن العشرين في أميركا. وجدير بالذكر أن لعبة الكيك بوكسينغ قد تأسست، آنذاك، بعد الحاجة للعبة أكثر تطورا من الفنون القتالية الموجودة مثل الكراتية والكونغ فو والتايكواندو التي أصبحت حكرا على دول شرق آسيا. وتأسس في ذلك الوقت، اتحاد التوب الكراتية ولكن اعتراضات الاتحاد العالمي للعبة الكراتية دفعت إلى تغيير اسم الرياضة إلى الكيك بوكسينغ. وبدأت تنتشر بسرعة كبيرة في العالم. ويمارس اللعبة كلا الجنسين من مختلف الأعمار، كما تم اعتماد تدريباتها في تدريب جيوش الدول المتقدمة وتدريبات الدفاع عن النفس في المعاهد الرياضية والأندية. وتقام سنويا أكثر من خمسين بطولة دولية للرجال والنساء في مختلف أنحاء العالم. وبدأ اتحاد اللعبة بتوسيع القاعدة من خلال جمع الألعاب القتالية الأخرى وجعلها ضمن ألعاب الكيك بوكسينغ وبأسلوب حديث ومتقدم مواكب لتطورات العصر.

> ممارسة التمارين المائية تعمل على تحفيز عملية سريان الدم داخل العضلات والتخفيف عن عضلات الصدر المشدودة

> بشكل أساسي يعد الماء الموجود حول جسم الرياضي جهاز اللياقة البدنية الوحيد الموجود بصحبته

ويمكن استخدام الكيك بوكسينغ باعتباره تقنية لتخفيف التوتر والإجهاد. فهو يخفّف الألم ويساعد على تقليل الاكتئاب. وتساعد حركاته في ضخّ الدم إلى القلب بسرعة كبرى، وهذا بدوره يقوّي القلب تدريجيًا. فالكيك بوكسينغ له تأثير إيجابي على القلب والأوعية الدموية، وكذلك على الجهاز التنفسي.

يشار إلى أن هذا الفن القتالي يمكن أن يحسّن الاستقرار والتوازن الحاصلين نتيجة التقلّبات الربيعية. كما أنّ التقدّم في العمر يؤدّي إلى تراجع في الثبات ما ينتج عنه حوادث السقوط وهو ما تقي منه حركات الكيك بوكسينغ.

الماء يسرّع من فقدان البدينات المصابات بالسكري لأوزانهن

❑ **لندن** – كشفت دراسة بريطانية حديثة أن استبدال المشروبات منخفضة السعرات الحرارية بالماء يمكن أن يساعد النساء المصابات بالسكري من النوع الثاني على فقدان أوزانهن بشكل أسرع، كما يحسن حياة مرضى السكري عامة.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة نوتنغهام البريطانية بالتعاون مع باحثين من جامعة طهران للعلوم الطبية، ونشروا نتائج دراستهم في دورية مرض السكري والسمنة والتمثيل الغذائي.

وأجرى فريق البحث دراسته على 81 من السيدات البدينات المصابات بمرض السكري من النوع الثاني وكانت السيدات يخضعن لحمية خاصة، بالإضافة إلى تناول أدوية للسيطرة على السمنة.

واختبر الباحثون فاعلية المياه، في عملية إنقاص الوزن، بالمقارنة مع المشروبات الأخرى منخفضة السعرات الحرارية، مثل الشاي الأخضر.

وخلال برنامج غذائي استمر 24 أسبوعًا، تناولت مجموعة من السيدات المشروبات منخفضة السعرات الحرارية في نظامهن الغذائي، فيما استبدلت المجموعة الأخرى تلك المشروبات منخفضة السعرات الحرارية بالماء.

ووجد فريق البحث، أن الماء ساعد السيدات البدينات على فقدان أوزانهن بشكل أكبر بالمقارنة بالمشروبات منخفضة السعرات الحرارية، كما وجدوا أن الماء ساعد الجسم على زيادة الحساسية تجاه الأنسولين، ما أدّى لتحسين وضع المصابات بهذا الداء.

وكانت دراسة أميركية كشفت أن شرب المزيد من المياه يوميًا يجعل الأشخاص يسيطرون على أوزانهم، ويحدّ من امتصاص الجسم لجرعات زائدة من السكريات والصوديوم والدهون المشبعة، التي تجلب الإصابة بأمراض القلب، كم أن الماء يقلل أيضًا نسب السكر والكولسترول في الدم.

وأثبتت دراسة طبية أخرى أن المشي 10 دقائق بعد كل وجبة من الممكن أيضا أن يساعد مرضى السكري من النوع الثاني في تحسين مستويات السكّر في الدم.

وذكرت التقارير أن مستوى السكّر في الدم لدى المرضى الذين مارسوا الرياضة ثلاث مرات منفصلة في اليوم بعد وجبات الطعام كان أقل ممن مارسوا الرياضة لمدة 30 دقيقة متواصلة مرة واحدة في اليوم.

والدراسة التي نشرتها مجلة "دايبيتولوجيا" العلمية كشفت أن معدل سكّر الدم انخفض بنسبة 22 بالمئة لدى المرضى الذين يمارسون المشي بعد الوجبات، بينما انخفض بنسبة أقل لدى من مارسوا المشي لمدة 30 دقيقة في اليوم.

يذكر أن التحسن الذي طرأ على مستوى السكّر في الدم لوحظ بشكل خاص بعد تناول الوجبات المسائية.

وتشير الدراسات إلى أن تقلصات العضلات بعد فترة قصيرة من تناول الطعام تساعد على نقل الغلوكوز المهضوم إلى خلايا العضلات من دون الحاجة إلى إفراز الأنسولين.

وأوضح المختصون أن ممارسة الرياضة على نحو دوري من قبل الأشخاص الأصحاء تساعد في خفض فرص إصابتهم بمرض السكري. كما أن الأشخاص الذين يمشون 30 دقيقة في اليوم وخمس مرات في الأسبوع تنخفض لديهم نسبة الإصابة بداء السكري من النوع الثاني بنسبة 26 بالمئة.

والسمنة هي عامل خطر رئيسي للإصابة بمرض السكري من النوع الثاني، لأن أكثر من 80 بالمئة من البالغين الذين يعانون من السكري مصابون بالسمنة المفرطة. ووفقا لمنظمة الصحة العالمية، فإن حوالي 90 بالمئة من الحالات المسجّلة في شتى أرجاء العالم لمرض السكري، هي حالات من النوع الثاني، الذي يظهر أساسا جرّاء فرط الوزن وقلّة النشاط البدني.

> شرب المزيد من المياه يحد من امتصاص الجسم لجرعات زائدة من السكريات والصوديوم والدهون المشبعة

ومع مرور الوقت، يمكن للمستويات المرتفعة من السكر في الدم، أن تزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب والعمى والأعصاب والفشل الكلوي.

في المقابل، تحدث الإصابة بالنوع الأول من السكري عند قيام النظام المناعي في الجسم بتدمير الخلايا التي تتحكم في مستويات السكّر في الدم وتكون معظمها بين الأطفال.

وأشارت المنظمة إلى أن 422 مليون شخص حول العالم مصابون بمرض السكري. ويبلغ نصيب إقليم شرق المتوسط منهم 43 مليون شخص.

المسابقات النسائية احتفاء بالجمال أم «تسليع» للجسد

عدم اقتصار المسابقات على الجسد يدفع الفتيات لمقاومة الرفض المجتمعي

انتشار مسابقات ذات طابع غربي بالدول العربية أثار العديد من التساؤلات عمّا إذا كانت تلك المسابقات، تُمثل فرصة للاحتفاء بالجمال، أم أنها مدخل لاختزال كيان المرأة في مجرد جسدها، بعد إخضاعه لقانون العرض والطلب في تحديد مقاييس الجمال وعولمة مواصفات موحدة لأجساد النساء.وتتأرجح هذه المسابقات في الدول العربية بين معارضين يرونها إهانة تضع المرأة على شفا سوق للرقيق، وبين مؤيدين يتمثلون فيها مزيدا للوعي وفرصة تجعل المرأة أكثر إلماما بثقافة العصر بعيدا عن السيطرة الذكورية.

شيرين الديدامونى
كاتبة من مصر

❑ في تراث المجتمعات العربية، تربّع جمال المرأة على عرش القصائد والغزليات، وألهم كُتّاب القصة والرواية، كما اكتظت به الأمثال الشعبية، وأيضا أشهر اللوحات الفنية.

ثم وفدت إلينا ثقافة غربية، أعطت الجمال مساحة واسعة من الزخم، تحت مسمى مسابقات الجمال، تشهدها سنويا، أشهر العواصم العالمية مثل نيويورك ولندن وباريس وبرلين.

وتوسعت نسبة المشاركات في تلك المسابقات، فلم تعد تقتصر على المجتمعات الغربية، بل امتدت لتشمل المرأة في غالبية دول العالم، ورأينا أن منصب ملكة جمال الكون باتت تشغله فتيات من بعض الدول النامية.

وما كان الأمر ليفوت العرب، وتم تعريب تلك المسابقات، فلم تعد قاصرة على الغرب بل أضحت جزءا مهما من الثقافة الشرقية، وجرى إجراء بعض المسابقات وفقا لمقاييس تلك الدول، وأصبحنا نسمع عن تنظيم مسابقة لملكات جمال المحجبات (وفقا للزيّ الإسلامي)، وملكة جمال البدينات، ثم فوجئنا مؤخرا، في مصر، بدخول "الصعايدة" على الخط، وتم الإعداد لمسابقة جمال فتيات الصعيد.

المسابقات توسعت، لتشمل أدق التفاصيل الجسدية للمرأة، كمسابقات لأجمل "مؤخرة"، كما حدث في البرازيل، ومسابقة لأجمل "صدر" نسائي، ومؤخرا جرى الإعلان عن مسابقة نسائية سنوية لأكبر "أرداف"، إلا أن حكومة بوركينا فاسو منعتها كونها ذات طابع جنسي.

هذا التوسع أثار العديد من التساؤلات، عمّا إذا كانت تلك المسابقات، تُمثل فرصة للاحتفاء بالجمال، أم أنها مدخل لاختزال كيان المرأة في مجرد جسدها، ومن ثم امتهانه، وإدخاله سوقا كسوق الرقيق، بعد إخضاعه لقانون العرض والطلب، في تحديد مقاييس الجمال وعولمة مواصفات موحدة لأجساد النساء.

واعتبرت نيفين الشبراوي، خبيرة المرأة والموضة في مصر، مسابقات الجمال العالمية عنصر جذب للمرأة العربية، ونجحت الكثيرات منهن في تبوّؤ مكانة كبيرة واحتلال مراكز متقدمة فيها.

الأمر إذن جاء انعكاسا للانفتاح الكبير الذي شهدته الثقافة العربية والشرقية في العقود الأخيرة، بفضل العولمة، وثورة الاتصالات، وانتشار وسائل الإعلام والقنوات الفضائية، التي تقدم برامج عديدة لاكتشاف المواهب وملكات للجمال.

وأضافت الشبراوي لـ"العرب"، أن المجتمعات العربية تغلب عليها الثقافة البدوية والدينية المحافظة، ومع مشاركة الفتيات العربيات في مسابقات الجمال الغربية حدث نوع من الرفض، خاصة من جانب التيارات الدينية التي اعتبرتها مخالفة للدين، لأنها تعرّي الجسد.

غير أن انتشار التعليم والثقافة والوعي لدى الفتيات وقناعتهن بأن هذه المسابقات ليست فقط مناسبة لعرض الجسد، وإنما تعتمد على معايير الثقافة واللباقة واللغات والمهارات المختلفة، جعلهن يقاومن الرفض المجتمعي ويقبلن على تلك المسابقات.

وترى سلوى عثمان، خبيرة الجمال والموضة في القاهرة، أن تحفظ البعض على مشاركة المرأة العربية والانفتاح العصري على تلك المسابقات ينبع من كونها ذات طابع غربي، قد لا يتواءم مع الثقافة العربية، وأن الغرب يحاول فرض ثقافته ونمط حياته على بقية الشعوب، لتضييع الهويّة والثقافة العربية والشرقية في إطار عملية تغريب للثقافة العربية، كما هو الحال في المجالات الثقافية الأخرى.

وقالت عثمان لـ"العرب"، إنه إذا كانت هذه المسابقات تناسب الثقافة الغربية، فإنها لا تناسب البيئة العربية المحافظة، ومن الأجدى بالمرأة العربية أن تناضل من أجل حقوقها السياسية والاقتصادية أولا، ثم تفكر بعد ذلك في مثل هذه الأمور التي وصفتها بالثانوية.

وخالفت وفاء إبراهيم، أستاذة علم الجمال بجامعة عين شمس في القاهرة، هذا الرأي، واعتبرت أن مسابقات الجمال الغربية لا تختزل المرأة في الجمال الجسدي فقط، كما يشاع، بل تقوم على العشرات من المعايير، وآخر ما يتم النظر إليه خلال المسابقة المعايير الشكلية، مثل الرشاقة والعينين والقوام.

الجمال يلغي الجسد

وأشارت إبراهيم لـ"العرب"، إلى أن المسابقات تعتمد بالأساس على معايير الروح والثقافة والذكاء والإسهام الإنساني في العمل الخيري والمعارف العامة وكيفية التعامل مع المشكلات والأزمات، لذلك نجد أن كثيرا من ملكات الجمال العالميات يفزن بالمركز الأولى، ليس بناء على لون بشرتهن والذي قد يميل إلى السواد، بل لقدراتهن الذهنية ومعارفهن ومهاراتهن المختلفة.

وقالت أستاذ علم الجمال، أن النظرة الضيقة لتلك المسابقات الغربية، واعتبارها مخالفة للتقاليد المجتمعية والدينية، قد تغيّرت بشكل كبير، وهو ما انعكس في المشاركة العربية الواسعة فيها.

لكن مع ذلك اعترفت الدكتورة وفاء، بأن الثقافة العربية الشرقية، مازالت تمثل تحديا كبيرا، أمام مشاركة المرأة العربية في المسابقات الغربية، نتيجة لنفوذ وسطوة التيارات الإسلامية في بعض البلدان العربية والتي تعتبر المرأة "عَوْرة"، ولا يجوز أن تنكشف على الآخرين.

والواقع أن البعض يعيد هذا الرفض إلى ما يسمونه بـ"الثقافة الذكورية"، التي تسيطر على المجتمعات العربية، إضافة إلى التقاليد المجتمعية التي ينظر بعضها إلى مشاركة المرأة في تلك المسابقات على أنه انحراف وانحلال وتقليد أعمى لنساء الغرب.

ولعل ذلك ما يفسر أن الفتيات المشاركات في تلك المسابقات، غالبا ما تأتين من بلدان أكثر انفتاحا، مثل لبنان ومصر والأردن والمغرب، بينما يندر أن تأتي من بلدان محافظة، مثل البلدان الخليجية، أو من ليبيا أو السودان.

وأكدت سامية الساعاتي، أستاذة علم الاجتماع بالقاهرة، أن تلك المسابقات ومشاركة المرأة العربية فيها يعكس التطور الكبير الذي حدث في مسيرتها وتحررها من القيود المجتمعية والدينية المحافظة.

وشددت الساعاتي في تصريحات لـ"العرب" على أن المرأة، ليست فقط وعاء للإنجاب أو لخدمة "سي السيد"، بل هي تمتلك الحق والقدرة على التعبير عن نفسها ومهاراتها، من خلال تلك المسابقات، فهي ليست مسابقات للتعري، كما يزعم البعض، وإنما مسابقات لاستعراض القدرات الثقافية واللغوية والمهارية والشكلية أيضا.

وقال الكثير من الذين يسمّون أنفسهم أنصار المرأة، إن مشاركة المرأة العربية في مسابقات ملكات الجمال الغربية، ساهم بشكل كبير في تبديد الصورة الذهنية الغربية السلبية عن المرأة العربية، والتي تقوم على اختزال المرأة في كونها منغلقة، وحبيسة المنزل، وليست لديها أيّ قدرات ثقافية أو مساهمات مجتمعية.

تلك الصورة رسّختها في الأذهان الأفلام السينمائية، حيث لا تظهر المرأة العربية إلا وهي وراء حجاب، أو من وراء "مشربية" (شرفة مغطاة) منزلها، كما أنه يتم تقديمها وليس لديها أيّ وعي بقضايا مجتمعها، وغائبة تماما عن العمل العام، وهي صورة غير حقيقية، حيث تبوأت المرأة العربية مكانة لائقة في الكثير من المجالات، الإعلامية والتعليمية والقضائية والوزارية والبرلمانية.

في تلك المسابقات يظهر جسر للتواصل والتفاعل بين الثقافات المختلفة في العالم، حيث تشارك في المسابقة فتيات من خلفيات دينية ومجتمعية وثقافية متنوعة، وهو ما يعطي الفرصة للتفاعل فيما بينهن وتبادل الخبرات والثقافات، ما يساعد على التعايش الثقافي والحضاري بين أبناء المجتمعات المختلفة، ويعد وسيلة ناجعة لمحاربة التعصب والتطرف ونفي الآخر.

ونجد أن الفائزة يتم اختيارها وفقا لمعايير موضوعية تعتمد على المهارات المختلفة، وليس لاعتبارات دينية أو عرقية أو ثقافية، لذلك نجد بعض الفتيات من دول نامية، مثل كولومبيا، يفزن على فتيات من دول متقدمة، مثل الولايات المتحدة وروسيا واليابان.

على كل حال، مهما كانت آراء المؤيدين أو الرافضين، فإن مسابقات الجمال ذات الطابع الغربي، بغض النظر عن الجدل حول جدوى وأهمية المشاركة فيها، أضحت جزءا من الواقع العربي، ومنتشرة بين أوساط الطبقة العليا والعلمانية، كجزء من صراع الحداثة والأصالة العربية، ولم تعد ملكية فكرية غربية، بل أصبحت ملكية عالمية تنظمها المجتمعات والشعوب وفقا لثقافاتها كما هو حادث في العالم العربي.

> أصبحنا نسمع عن تنظيم مسابقة لملكات جمال المحجبات وفقا للزي الإسلامي، وملكة جمال البدينات، كما دخل «الصعايدة» على الخط، وتم الإعداد لمسابقة جمال فتيات الصعيد

رشيقات كن أم بدينات.. جميلات تونس لم يسلمن من التحرش

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

❑ تعتبر تونس من الدول العربية التي تنظم دورات لاختيار ملكة جمال، إلا أن انفتاح المجتمع التونسي على مثل هذه المسابقات ما يزال محتشما.

وعلى الرغم من أن تونس تعيش منذ 17 سبتمبر الماضي على وقع فعاليات الدورة الخامسة عشرة من مسابقة ملكة جمال تونس، والتي تنظمها جمعية تاج، وسيتم الإعلان عن نتائجها يوم 3 ديسمبر القادم، فإنها لا تحظى بالاهتمام الإعلامي اللازم.

وبالإضافة إلى ذلك فإن أغلبية المجتمع التونسي لم تسمع عن انطلاق هذه المسابقة، لو لم يتم نشر أخبار عنها على فيسبوك وأخبرت عن ذلك أيضا بعض الإذاعات المحلية مثل موزاييك وجوهرة أف أم.

ولم تشهد هذه الدورة سوى مشاركة 16 فتاة تونسية من أصل 24 محافظة، ولم يتّضح بعد إن كان ذلك عائدا إلى بنود الجمعية المنظمة للمسابقة أم إلى قلة الفتيات المتقدمات للمشاركة؟ وقد يعود نقص المشاركة إلى غياب الومضات الإشهارية التي تسبق عادة الكاستينغ، فعلى الرغم من بلوغ المسابقة دورتها الخامسة عشرة إلا أن القنوات التونسية لم تمرر يوما على امتداد 15 سنة ومضة إشهارية واحدة تشير إلى هذه المسابقة وطرق المشاركة فيها.

هذا التغييب يطرح العديد من التساؤلات حول مدى قابلية المجتمع التونسي لمثل هذه المسابقات ذات الطابع الغربي. فالدائرة تضيق على هذه المسابقة التي تنحصر من حيث الاهتمام والتنظيم في جمعية توفر فيلاّ للمرشحات بعيدا عن أنظار الكاميرات والناس، ولو قورنت بمسابقة ستار أكاديمي اللبنانية التي تحظى بمتابعة يومية وعلى امتداد فترة المسابقة من قبل كاميرات تفتح أمام المشاهد فرص متابعة المرشحين عن كثب ليتمكن من تحديد مرشحه المفضل، يصبح عزل المرشحات داخل فيلاّ دليلا ضمنيا على خلاف مع يحصل في مسابقة الجمال بتونس.

ووفقا لما صرحت به إحدى المرشحات، والتي أعلنت انسحابها، أنه على الفائزة باللقب التكفّل بكل المصاريف للقيام بمشروعها دون أن تحظى بأيّ دعم مالي من الجمعية.

وهذا ما يذكرنا بتخلّي ملكة جمال العام الماضي عن اللقب بعد فترة من فوزها بدعوى أنها لم تلق أيّ دعم مادي، إلى جانب اضطرارها للتنقل في وسائل النقل العمومي لبعد مسافة محافظتها عن العاصمة ممّا عرضها حسب ما راج من أخبار للتحرش، لا سيما وأنها تتأخر ليلا في العودة إلى منزلها. كما تعرّضت للعديد من الانتقادات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، جعلتها محلّ سخرية واستهجان.

ولمّحت المرشّحة المنسحبة إلى وجود ما اعتبرته ممارسات لا تتوافق مع مبادئها خلال هذه المسابقة ممّا دفعها إلى الانسحاب، كما أشارت أمّ إحدى المشاركات عندما مرّرها التلفزيون التونسي في تغطية إعلامية زهيدة حيث عبّرت عن ندمها عن ترك ابنتها تشارك في المسابقة.

هذا التصريح ترك في الأذهان أسئلة عالقة من قبيل لماذا لم يحاول التلفزيون التونسي حذف هذا التصريح؟ ولماذا كرر تمريره؟ والأهم ما هي الرسالة التي حاولت الأم إيصالها؟

وكانت جمعية الإحاطة بالنساء البدينات نجحت في تنظيم أول مسابقة للبدينات بتونس في شهر أبريل الماضي، وهي مبادرة عملت على كسر الصورة النمطية للجسد وللمعايير الجمالية المعتادة بتونس وخارجها.

إلا أن رئيسة الجمعية لبنى بن إسماعيل، وهي ملكة جمال البدينات العرب لسنة 2015، صرحت في حوار تلفزي مؤخرا أنها تلقت العديد من الاتصالات من بعض اللاتي شاركن في المسابقة، مفادها تعرّضهن للتحرش أثناء تلبيتهن دعوة بعض الأشخاص لإجراء كاستينغ بهدف اختيارهن كموديل.

التركيز على الجوانب الجسدية لدى المرأة التونسية تخطى مسائل التحرش إلى تقديم مسابقة تحت شعار "أجمل صدر في تونس"، تزامنت مع موعد انطلاق فعاليات مسابقة ملكة الجمال.

وقد أثار انتشار المسابقة جدلا واسعا بين نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي، حيث اعتبرها البعض دعارة إلكترونية والبعض الآخر يرى فيها تشويها لصورة المرأة التونسية.

وطلب النشطاء بضرورة تتبّع من يقف وراء هذه المسابقة، قضائيا، لأن ما قام به فيه إفساد للمجتمع وتعدّ على الأخلاق وإضرار بصورة المرأة التونسية. واستنكر الكثير من النشطاء أيضا إقدام عدد من التونسيات على المشاركة في المسابقة ونشر صور صدورهن، وإن لم يكن العدد كبيرا، إذ لم يتعد الخمسين فتاة، معتبرين أن المبلغ الذي دفع ببعضهن للمشاركة زهيد فهو لا يتجاوز 500 دينار تونسي (250 دولارا).

الطريف في الأمر أن مسابقة الصدر لاقت رواجا بين نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي وتناقلتها بعض المصادر الإعلامية في حين همّشت مسابقة ملكة الجمال، والمثير أيضا هو تفاعل البعض مع شروط المسابقة، إذ تمكنت من جمع أربعين مشاركة نشرت صور صدروهن على إنستغرام، للتنافس على جائزة صغيرة.

ويرى العديد من النشطاء أن كلتا المسابقتين تسويق رخيص لجسد المرأة واستغلال لصورة المرأة التونسية.

وإن كانت مقوّمات اختيار ملكة الجمال تتخطى الجانب الجسدي بحسب ما صرحت به رئيسة جمعية تاج عائدة عنتر، التي أوضحت أن مقومات اختيار الملكة تتمثل في تقديم كل مرشحة مشروعا تطوعيا تكون عملت عليه طوال العام.

وتابعت عنتر معلقة أنه إضافة إلى الشروط الأخرى لا بد من توفر شرط اهتمام المرشحة بمساعدة سكان منطقتها على كل المستويات لأن ذلك يضاعف من حظوظها في الفوز باللقب، زيادة على الجمال والمستوى الثقافي.

مدمنو التدخين يحظون بفرصة أقل للحصول على وظيفة

المدخنون أكثر احتمالا لأن يكونوا غير مستقرين في حياتهم الأسرية

إلى جانب الأضرار الكبيرة التي يسببها التدخين على صحة الإنسان ومضاعفاته على الحالة النفسية والاضطراب السلوكي، فإنه أيضا له تأثير سلبي على مستقبل الإنسان وفرص حصوله على وظيفة مناسبة.

محمد رجب

التدخين مضر بالصحة وبالمستقبل

❏ كشف علماء بجامعة كاليفورنيا، في دراسة حديثة أن المدخنين الذين يفقدون وظائفهم يستهلكون وقتا أطول من نظرائهم غير المدخنين حتى يتمكنوا من الحصول على وظيفة جديدة، ما يعكس أن التدخين في ذاته يؤثر مباشرة في إمكانية الحصول على وظيفة.

ووجدت الدراسة الأميركية أن غير المدخنين العاطلين يملكون فرصة في الحصول على وظيفة بنسبة 30 بالمئة أكثر من العاطلين المدخنين، خلال أقل من عام واحد، وليس هذا فحسب، بل كشف الباحثون أيضا أن غير المدخنين يربحون أموالا أكثر من نظرائهم المدخنين بما يوازي خمس دولارات في الساعة الواحدة من العمل.

وشملت الدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة 131 مدخنا عاطلا عن العمل، في مقابل 120 من غير المدخنين العاطلين عن العمل، وكان أكثر من نصف المشاركين عاطلين عن العمل لأكثر من ستة أشهر.

وتتبع الباحثون 108 من المشاركين غير المدخنين، و109 من المدخنين بعد مرور عام من تركهم العمل، ليجدوا أن الفرق واضح بين المجموعتين، مع الأخذ في الاعتبار عددا من العوامل المؤثرة مثل: مدة البقاء بدون عمل، والعمر، والتعليم، والمؤهلات، والحالة الصحية، حيث تم إبعاد الحالات التي كانت فيها مبالغة في أحد هذه العوامل، وذلك حتى تكون الدراسة دقيقة قدر الإمكان.

ومن بين ما توصل إليه الباحثون، أن المدخنين كانوا أقل سنا وأقل تعليما، وأكثر احتمالا لأن يكونوا غير مستقرين في السكن والحياة، إضافة إلى أنهم يكونون أقل صحة، ومن الممكن أن تكون لهم سجلات جنائية أكثر من غير المدخنين، كما أن 60 بالمئة من المدخنين قد غادروا أعمالهم الماضية بسبب انتهاء العقد المبرم مع الشركة، أو المؤسسة، أو نتيجة الإقالة.

وذكرت البروفيسور جوديث بروشاسكا، الأستاذ بجامعة ستانفورد الأميركية، وأحد المشاركين في هذه الدراسة، أن الإنسان عرف الآثار الصحية للتدخين منذ نحو 50 عاما، لكن الجديد الآن هو التوصل إلى الآثار الحياتية والمادية للتدخين، وليس المقصود الأموال المنفقة، وإنما فيما يتعلق بالعمل والنجاح والمستقبل، حيث توصلت الدراسة إلى أن غير المدخنين يحظون بفرصة أكبر بمقدار 30 بالمئة من المدخنين في الحصول على وظيفة خلال 12 شهرا، هذا بالإضافة إلى الفرق في الأجور والمستوى الوظيفي، ما يؤكد أن التدخين يقلل من فرص الحصول على وظيفة سريعا.

ولم يتوصل العلماء إلى الأسباب الممكنة وراء هذا التفاوت في النتائج بين المدخنين وغير المدخنين، حيث أن الدراسة قامت بتسليط الضوء على عامل واحد قد يكون سببا محتملا لهذه الفروق، وذلك بسؤال المدخنين حول أولويات إنفاقهم، ووضعت إجابتهم التبغ على رأس قائمة مصاريفهم التي تضم المواصلات، وأجهزة الهاتف المحمول، والرعاية الشخصية من احتياجات جسدية وغيرها، إلا أنه في الحقيقة، هناك العديد من العوامل التي يجب تفصيلها حتى يتم التوصل إلى جميع الأسباب الحقيقية، والتي قد تكون زيادة عدد أيام المرض، وغيرها من عيوب التدخين، وتأثيرها في الصحة، والحالة النفسية، ما قد يؤثر سلبا في إنتاجية الفرد، وهو ما يترك تاريخا مهنيا غير جيد للشخص عند محاولة التقدم لوظيفة جديدة، ما يعيقه عن الحصول عليها سريعا ويحتاج لوقت أطول يظل خلاله عاطلا.

ويفسر سعد عبدالرحمن، أستاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة عين شمس في مصر، نتائج تلك الدراسة، بأن التدخين يزيد من الضغوط النفسية على الشخص، ومن ثم زيادة الضغوطات في الحياة، ما يؤدي إلى الاضطراب النفسي لدى الشخص، مما يجعله غير مؤهل للوظيفة التي تروق له، وهو ما يدعم فرضية الدراسة بأن التدخين بجانب الأضرار الصحية الكثيرة التي يسببها للقلب والصدر، فهو أيضا يؤثر سلبا على مستقبل الإنسان وإمكانية حصوله على وظيفة مناسبة سريعا، وربما أيضا إصابته بالأمراض النفسية والاضطرابات العقلية، بحسب ما ذكرت دراسات وأبحاث أخرى.

كما لفت عبدالرحمن إلى أن هذه الدراسة لم تتطرق إلى الأسباب الرئيسية وراء انخفاض نسبة حصول المدخنين على وظيفة مقارنة بغير المدخنين، وتفضيل نسبة من أصحاب العمل عدم توظيف المدخنين، ومن ثم فهناك حاجة إلى دراسات وأبحاث تتعمق بشكل أوسع في كل عامل من هذه العوامل المحتملة، كونها ستساعد على فهم تلك النتائج.

وفي سياق آخر أكدت دراسة أن البالغين المدخنين أكثر عرضة للطلاق بحوالي 53 بالمئة مقارنة بغير المدخنين. وقال أخصائي طب الأسرة في جامعة مينيسوتا الأميركية ويليام دوهيرتي إن المدخنين يملكون صفات مزاجية حادة ويمرّون بتجارب حياتية مختلفة تجعلهم أكثر عرضة للطلاق من غير المدخنين، لذلك "فإنك إذا كنتَ تنوي الزواج من شخص مدخّن فعليك أن تفكر مرتين قبل أن ترتبط به أو بها". وأفاد فريق البحث الذي شمل 3123 بالغا سنهم تتراوح من 18 سنة فما فوق أن حوالي 50 بالمئة من الأشخاص المدخنين، بصرف النظر عن الجنس أو العمر أو العرق أو التعليم أو الدخل المادي، تعرضوا للطلاق مقارنة مع 32 بالمئة من غير المدخنين.

وبين دوهيرتي أن معظم المدخنين البالغين اليوم بدأوا التدخين في مراحل المراهقة، ويعانون من مشكلات عائلية ونفسية كالاكتئاب والقلق عند دخولهم مراحل البلوغ والشباب أكثر من غير المدخنين.

ونبه إلى أن معظم البحوث ركّزت على المخاطر الصحية المصاحبة للتدخين ولم تهتم بالآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على هذه العادة السيئة.

هذا وكشفت دراسة أميركية سابقة أن التدخين يؤثّر سلبا على معدّل الذكاء ويزيد من نسبة الغباء لدى الشباب. وبيّنت أنه "بعد التجارب على مجموعة ممن دخّنوا التبغ، تغيّر معدّل ذكائهم بشكل كبير ولوحظ انخفاض في المستوى الدراسيّ". من جانبها بينت دراسة بريطانية أن الطبقة الخارجية في دماغ الإنسان التي يحتاجها للتفكير تكون أكثر رقّة عند المدخنين مقارنة مع غير المدخنين، معتبرين أن هذه الطبقة قد تسترجع سماكتها حين يتوقف الشخص عن التدخين. وكشفت نتائج فحوص الرنين المغناطيسي التي أجريت على أشخاص مدخنين يبلغ معدل أعمارهم 54 عاما أن الذين أقلعوا عن التدخين أصبحت الطبقة في دماغهم أكثر سماكة، مقارنة مع المدخنين، مع ترجيح أن تستعيد الطبقة عافيتها مع مرور الوقت.

> المدخنون يملكون صفات مزاجية حادة ويمرون بتجارب حياتية مختلفة ومتقلبة تجعلهم أكثر عرضة للطلاق من غير المدخنين

الاستحمام كل يوم يضر بالبشرة

❏ برلين – يعد الاستحمام بالماء والصابون أو سائل الاستحمام من الطقوس اليومية لدى الكثيرين من أجل الحفاظ على نظافة الجسم من ناحية، والشعور بالانتعاش والحيوية من ناحية أخرى. غير أن خبراء الصحة والتجميل يحذّرون من أن الاستحمام المفرط قد يؤدي إلى نتائج عكسية؛ حيث أنه قد يضر البشرة، ويتسبب مثلا في الإصابة بالإكزيما.

وقال اختصاصي الأمراض الجلدية الألماني كورد زوندركوتر إنه يكفي الاستحمام بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعيا، موضحا أنه في كل مرة استحمام يتم القضاء على بكتيريا مفيدة لصحة البشرة.

من جانبه، أوضح اختصاصي الأمراض الجلدية الألماني كريستوف ليبيش أنه يعيش على البشرة أكثر من 10 آلاف نوع من البكتيريا، التي تنتمي إلى "فلورا" الجلد. وتتمتع هذه البكتيريا بأهمية بالغة؛ حيث أنها تشكل حائط صد أمام مسببات الأمراض.

لذا فإن استعمال مستحضرات التنظيف على الجسم بشكل مفرط يمكن أن يتسبب في أن تصير الطبقة الحمضية متعادلة للغاية، مما قد يترتب عنه حدوث خلل بتوازن بكتيريا الجلد. ويمكن للجلد، الذي يتمتع بالصحة، تعويض ذلك بسهولة. أما إذا كان الجلد جافا، فإن الاستحمام المفرط يرفع خطر الإصابة بالإكزيما.

وأشار زوندركوتر إلى أن اليدين تمثلان استثناءً؛ حيث ينبغي غسلهما بشكل متكرر قدر الإمكان، ولا سيما قبل تناول الطعام وبعد الذهاب إلى المرحاض؛ نظرا لأن الكثير من مسببات الأمراض تنفذ إلى الجسم عبر اليدين.

وأكد زوندركوتر أنه يكفي تماما لنظافة الجسم والتمتع ببشرة ناعمة وملساء تنظيف أكثر المناطق كثافة من حيث غدد التعرق والبكتيريا يوميا بواسطة ماء دافئ، وتتمثل هذه المناطق في اليدين والقدمين والإبطين. وليس من الضروري استعمال الصابون في كل مرة.

ومَن يمارس الرياضة أو يعمل عملا بدنيا شاقا، ينبغي أن يستحم بعد الانتهاء من الرياضة أو العمل الاستحمام، وليس من الضروري استعمال الصابون في كل مرة. وأوضح ليبيش أنه من الناحية الصحية يكفي تماما تنظيف المناطق المتعرقة فقط بالماء. ومَن يعاني من جفاف البشرة ومع ذلك لا يرغب في التخلي عن الحمام الصباحي، ينبغي عليه الاستغناء عن الصابون أو سائل الاستحمام، كي لا يحدث خلل بتوازن المحتوى الدهني للجلد. ولتجنب خطر الإصابة بالحساسية، ينصح ليبيش باستعمال زيت استحمام لطيف وخال من المواد العطرية. ومن جهته، يحذر زوندركوتر من استعمال الصابون المطهر. وأكدت اختصاصية التجميل الألمانية مونيكا فردياناند على أهمية العناية بالبشرة بواسطة الكريمات بعد الاستحمام، ولا سيما بالنسبة إلى البشرة الجافة؛ نظرا لأن البشرة تفقد الرطوبة بفعل الاستحمام والتجفيف بالمنشفة. ويمكن تعويض ذلك باستعمال لوشن الجسم.

ومن ناحية أخرى، شدد ليبيش على ضرورة عدم المبالغة في استعمال مستحضرات التقشير، مؤكدا أنه يكفي تماما استعمال مستحضر تقشير مرة أسبوعيا، ولا سيما بالنسبة إلى البشرة المتقشرة؛ وذلك للتخلص من القشور الزائدة على نحو لطيف. كما أن التقشير يعمل على تحفيز سريان الدم، مما يمنح البشرة مظهرا مفعما بالصحة والحيوية.

وبالنسبة إلى الشَعر، أكدت فردياناند أنه يكفي تماما غسله كل ثلاثة أيام، بشرط ألا يكون دهنيا للغاية، مع مراعاة استعمال شامبو لطيف في حال الغسل اليومي، وإلا فقد تتعرض فروة الرأس لجفاف شديد، فضلا عن تزايد فرص تكوّن القشرة.

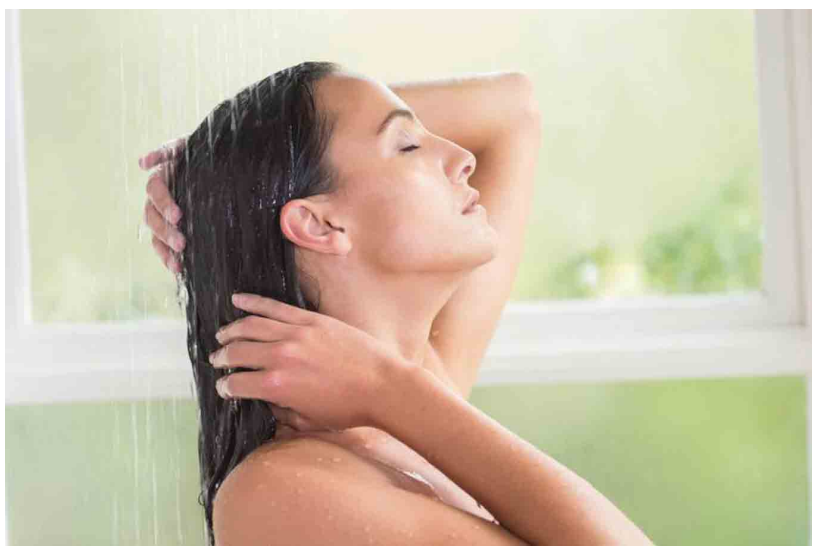

الاستحمام المفرط يؤدي إلى نتائج عكسية

طبق اليوم

أفخاذ الدجاج محشوة بالزيتون وجبن الموزاريلا

* المقادير:

- 4 أفخاذ دجاج منزوعة العظام.
- 80 غراما من الزيتون الأسود منزوع النوى.
- فص ثوم صغير
- 80 غراما من جبن الموزاريلا المبشور.
- 4 حبات من الطماطم.
- 2 حبات من البصل.
- 4 أوراق زعتر.
- ملح وفلفل أسود.
- 3 ملاعق كبيرة من زيت الزيتون.

* طريقة الإعداد:

- يفرم الزيتون الأسود مع فص الثوم والقليل من الفلفل الأسود ثم يخلط مع الجبن المبشور. ثم يتم حشو أفخاذ الدجاج بخليط الجبن والزيتون الأسود. وتقفل أفخاذ الدجاج بواسطة أعواد المطبخ لمنع الحشوة من التسرب أثناء الطهي.
- توضع حبات الطماطم وحبات البصل المقطعة على أربع وأفخاذ الدجاج في طبق الفرن. ويضاف الزعتر، الملح ويسقى الكل بزيت الزيتون.
- تطهى أفخاذ الدجاج في الفرن المسخن على درجة الحرارة 170 لمدة 35 إلى 40 دقيقة. ثم يخرج الطبق من الفرن ويقدم ساخنا.

موضة

أزياء منال عجاج بلون الحضارات

❏ قدمت مصممة الأزياء السورية منال عجاج أكثر من 30 تصميما من توقيعها في عرض للأزياء ضمن أسبوع الموضة في بيروت.

جاء العرض بعنوان "أبجدية الياسمين-2" وهو الاسم المشتق من ديوان شعر للشاعر السوري الراحل نزار قباني. وجاء العرض امتدادا للعرض الأول الذي أقامته عجاج بنفس الاسم في العاصمة برلين عام 2014.

وقدمت عجاج مجموعة فساتين مستوحاة من 13 حضارة منها الفينيقية والآشورية والفارسية والإغريقية والرومانية والبيزنطية والأموية والعباسية والفاطمية والمملوكية والعثمانية وصولا إلى الحداثة.

كما شمل العرض فساتين أعراس حملت اسم "أعراس الياسمين" وتميزت التصاميم بالزخرفة والتطريز والألوان الهادئة الترابية في مجملها.

افتتحت العرض الممثلة السورية جيني إسبر مرتدية الفستان المستوحى من حضارة أوغاريت تلك المملكة القديمة التي قامت في غرب سوريا. وقام الممثل والمخرج المسرحي السوري عبدالمنعم عمايري بإخراج عرض درامي راقص في منتصف الحدث حمل عنوان "معاناة الياسمين" يصف حربا تعيشها سوريا منذ سنوات. وأرادت من خلال هذا الحدث الفني المتكامل في رؤيته أن تترجم الأحداث التي تمر بها سوريا لتشمل الماضي والحاضر دون أن تغض الطرف عن مستقبل أفضل.

محاربو الصحراء: منتخب كروي مكلف بأكثر من مهمة

النرجسية والمصالح تشعلان فتيل أزمة حادة في صراع الأجيال

وجد رئيس الاتحاد الجزائري لكرة القدم محمد روراوة نفسه تحت ضغط شديد بعد التعثر أمام المنتخب الكاميروني، ورحيل المدرب الصربي ميلوفان رابيفاتش، وانفجار جدل كبير في الشارع الجزائري حول الوضع الانضباطي داخل صفوف الخضر، فهو من جهة مطالب بتدارك الأمر وتلافي السيناريوهات السيئة، ومن جهة أخرى مطالب بتقديم خدمة لسلطة تريد لهذا المنتخب أن يساهم في استقرار الجبهة الاجتماعية وإلهاء الشارع عن استحقاقات خطيرة تريد تمريرها قريبا.

صابر بليدي
كاتب من الجزائر

منتخب الخضر قادم على تحديات صعبة لكن ليست مستحيلة

الجزائر – تحول الوضع داخل المنتخب الجزائري لكرة القدم، إلى قضية رأي عام تجاوزت كل الاهتمامات وغطت على الانشغالات الحقيقية للمجتمع، فبعد تسارع الأحداث منذ مباراة الخضر ضد الكاميرون في الجولة الأولى من تصفيات كأس العالم 2018، فتح نقاش واسع على كل المستويات، أعطى الانطباع بأن المنتخب، وهو أكثر من كرة قدم، ويتحمل أكثر ممّا يحتمل، ويراد له أداء مهام وأدوار ليست من صلاحياته ولا من صلاحيات كرة القدم، فهو مطالب بتحقيق النجاح للتغطية على إخفاقات الآخرين في القطاعات الأخرى، وبالإقناع نتيجة وأداء لضمان استقرار هش في الشارع، في ظل الاحتقان الذي يخيم على الجبهة الاجتماعية.

وطرح الجدل المحتدم حول منتخب المحاربين، العديد من الاستفهامات حول مهام وصلاحيات الخضر خارج كرة القدم، خاصة مع تدخل حكومي غير معلن لدى الاتحاد لضرورة التحرك السريع والناجع لتلافي أيّ إخفاق في المرور إلى نهائيات كأس العالم أو عدم الوصول إلى مراتب متقدمة في كأس أمم أفريقيا بالغابون في 2017، وهو ما دفع الاتحاد إلى فتح شبكة اتصالاته ومعارفه في باريس منذ أكثر من أسبوع، للعثور على مدرب جديد يشرف على حظوظ رفاق رياض محرز قبل مواجهة نيجيريا في 12 نوفمبر المقبل.

وبالموازاة مع موجة الانتقادات الحادة التي وجهها العديد من الأطراف من إعلاميين ولاعبين سابقين وفنيين، لطريقة تسيير شؤون كرة القدم في الجزائر، وتحميل مسؤولية الإخفاق إلى رئيس الاتحاد، والتركيبة البشرية للمنتخب الجزائري المكونة كلية من شبان تكونوا في المدارس الكروية الفرنسية، فتح محمد روراوة النار في كل الاتجاهات، ودعا الجميع إلى التزام حدوده، بدل التهجم أو التحامل على الطاقم المسيّر أو اللاعبين، ونفى أن يكون بعض لاعبيه هم سبب رحيل المدرب الصربي.

وقال حول ذلك "التعادل ليس نهاية العالم، فحظوظنا مازالت قائمة بوجود 15 نقطة في المزاد، الآن نحن بدأنا التحضير لمباراة نيجيريا الشهر المقبل، ولقد أرسلنا وفدا لتحضير إقامتنا في مدينة أويو، وكل هذا للعمل على العودة بنتيجة إيجابية من هنالك، وأنه سيتم الكشف عن هوية المدرب القادم قريبا، فقد تم وضع لجنة مختصة للنظر في العروض المتوفرة، ووضعت شروط ومواصفات معينة للكادر الذي يشرف على رفاق رياض محرز".

ونفى المتحدث حدوث مناوشات وخلافات بين اللاعبين والمدرب ميلوفان رابيفاتش، وهوّن من حادثة تمرد اللاعبين سفيان فيغولي وياسين إبراهيمي، على مدرّبهم السابق بسبب عدم إشراكهما في مواجهة الكاميرون. وحمّل روراوة البعض من وسائل الإعلام المحلية مسؤولية تهويل القضية والمبالغة في تقديم التفاصيل، وقال "هناك مبالغة من بعض وسائل الإعلام حول تمرد اللاعبين وتسببهم في رحيل المدرب، أنا أؤكد الآن أنه لم يكن لديهم أيّ دخل في هذه القضية، ما جرى أمور عادية رأيناها في كبرى الفرق والمنتخبات ولا تستحق كل هذا التهويل، فمثلا رأينا في السابق مناوشات بين سوداني وبراهيمي خلال لقاء السنغال الودي، أو ما جرى خلال لقاء لوزوتو بين سليماني وبودبوز، لكنها كانت أمورا عادية جدا والآن جميع اللاعبين يشكلون عائلة واحدة في المنتخب ولا وجود للتكتلات التي يتحدثون عنها في الإعلام".

وأضاف "رفض إبراهيمي وفيغولي لكرسي الاحتياط غير صحيح ومجرد كلام فقط، فلقد رأينا كيف كانا يساندان بقية الاعبين من دكة البدلاء، وحتى الكلام الذي قيل أيضا عن تقديم المدرب السابق شكوى للاتحاد ضد المناجير يزيد منصوري وثلاثة لاعبين غير صحيح أيضا، هذا ما يمكن أن نقوله في هذه القضية، ونحن أردنا أن يكون هناك استقرار في الطاقم الفني لأن هذا أساس النجاح، لكن المدرب رأى صعوبة في التواصل مع المجموعة فاتخذ قرار الرحيل، وهذا يبقى قراره هو في الأخير".

أصابع الاتهام

وجّه روراوة أصابع الاتهام إلى البعض من قدماء اللاعبين في منتخب ثمانينات القرن العشرين، واتهمهم بزرع البلبلة والفتنة في صفوف المنتخب والإدلاء بتصريحات خطيرة تهدد استقرار المنتخب، في إشارة إلى بعض اللاعبين الذين يظهرون بقوة في بعض القنوات الخاصة للتحليل والتعليق على المباريات الكروية، ويوجهون انتقاداتهم لطرق تسيير وإدارة المنتخب أو النوادي المحلية، وقال "هناك بعض من جيل ثمانينات القرن الماضي تجده يحلل في البلاتوهات وهو ليس لديه أدنى شهادة، أظن أنه من الأفضل له أن يتوجه للدراسة والحصول على الشهادات، قبل أن يتوجه لنا بانتقادات لا تفيد المنتخب في شيء، ومثلما يقول المثل (يعاونونا بسكاتهم).. هناك من ذلك الجيل من يظن نفسه أنه مازال بطلا، والأبطال لم يبقوا من ثمانينات القرن العشرين وإلى يومنا هذا، جيل 2016 هو البطل، ولا ننسى أنه جيل تأهل مرتين متتاليتين للمونديال، ومن ينتقد سياستنا بجلب اللاعبين المغتربين، فليتفضلوا ويجلبوا لنا فيغولي محلي، إبراهيمي محلي وبن طالب محلي، وحتى سليماني آخر، أم أن الأمر هو مجرد كلام وفقط". وانتقد الإعلامي والمعلق الرياضي حفيظ دراجي، مساعي توظيف المنتخب في أغراض غير رياضية وكروية، واستغلال إنجازاته في حسابات أخرى، للتغطية على إخفاقات الآخرين أو استعماله لإلهاء الشارع الجزائري عن الاهتمامات والانشغالات الحقيقية للمجتمع، بصناعة شماعة المنتخب ليتعلق به الأنصار، للاستمرار في وهم الاستقرار والسلم الاجتماعي الهش.

كما لم تسلم من انتقاداته بعض الأصوات التي خاضت في جوانب هامشية لكنها حساسة، بغرض النيل من استراتيجية الاتحاد في تسيير شؤون المنتخب خلال السنوات الأخيرة، لا سيما فيما يتعلق بالاعتماد على العناصر المتكونة في المدارس الفرنسية، وتقليص فرصة اللاعبين المحليين في تقمص ألوان المنتخب، وذهبت إلى حد التشكيك في وفاء والتزام اللاعبين بالدفاع عن الألوان الوطنية، واستغلاله لخدمة مصالحهم المادية والمالية.

وقال في منشور على صفحته الشخصية على شبكة الفيسبوك "لكل من يشكك في وطنية لاعبي المنتخب الوطني ويتهمهم بالتهاون والتآمر، ولكل من يشكك في صدق نواياهم ويصفهم باللاعبين (المغتربين) وذوي (الجنسية المزدوجة)، يجب أن يعلم بأنهم (جزائريون) أبا عن جد، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولا أحد بإمكانه اختزال الوطنية في نفسه ويمنعهم من الدفاع عن ألوان بلادهم، إذا كانوا يستحقون ذلك من الناحية الفنية".

وأضاف "لاعبونا ليسوا مجنسين مثل لاعبي منتخب ألمانيا في صورة سامي خضيرة (التونسي) وأوزيل (التركي) وبودولسكي (البولندي) وبواتينغ (الغاني)، وليسوا مجنسين مثل أرمادة اللاعبين الفرنسيين من جنسيات أفريقية مختلفة، ولا مثل أرمادة اللاعبين الإنكليز الذين ينحدرون من أصول عديدة، ولا مثل كوستا البرازيلي الذي يلعب لصالح أسبانيا.. وغيرهم من اللاعبين في مختلف بقاع العالم، لكن لا أحد اتهمهم بأنهم ليسوا أبناء البلد!".

وتابع "من يعتقد بأن لاعبينا جاؤوا للمنتخب من أجل الأموال، فيجب أن يعلم بأن مكافأة الفوز أمام الكاميرون لم تكن لتتعدى عشرة آلاف يورو، وهو مبلغ يتقاضاه محرز في يوم واحد في ناديه ليستر، ومن يعتقد بأن الجهاد أثناء ثورة التحرير كان مقتصرا على الجزائريين في الداخل، فيجب أن يعلم بأن المغتربين قدموا بدورهم تضحيات كبيرة من أجل الحرية، ومن حق أبنائهم أن ينالوا الفرص نفسها في خدمة وطنهم، ويجب أن يعلم بأن أول منتخب للجزائر كان مشكّلا من مغتربين يلعبون في نواد فرنسية، لبّوا نداء جبهة التحرير أثناء الثورة". فالتشكيك في وطنية لاعبينا الذين ننقلب عليهم عندما "يتعثر المنتخب" هو تصرف غير لائق تجاه جيل مبدع ذنبه الوحيد أنه ولد خارج الجزائر لأسباب خارجة عن إرادته، والانقلاب عليهم بهذا الشكل من طرف "الفلاسفة" بعد التعثر أمام الكاميرون يراد منه التأثير على مسيرتهم في التصفيات والعودة بنا إلى نقطة الصفر، ويراد منه تصفية حسابات قديمة على حساب المنتخب الذي سنبقى نسانده ونقف معه حتى ولو كان يضم في صفوفه أطفالا صغارا أو شيوخا وعجائز لأننا لا نملك منتخبا آخر نناصره، ولا بلد آخر نعتز ونفتخر بمنتخبه.

> الجدل المحتدم حول منتخب المحاربين، يطرح العديد من الاستفهامات حول مهام وصلاحيات الخضر خارج كرة القدم، خاصة مع تدخل حكومي غير معلن لدى الاتحاد لضرورة التحرك السريع والناجع لتلافي أي إخفاق في المرور إلى نهائيات كأس العالم

التآمر والتمرد

هوّن حفيظ دراجي من حدة ما راج حول مشاكل غرفة ملابس الخضر، واعتبرها عادية لأنها تحدث في مختلف المنتخبات والنوادي، وأنها ليست الوحيدة في مسار المنتخب الجزائري، فقد سبق لبيت الخضر أن عاش أحداثا مماثلة، وهي رسالة منه لعدم تحميل الجيل الحالي كل شيء، مقابل نسيان مسؤولية اللاعبين الأوائل في بعض التصرفات الأنانية والمصلحية.

وقال "من يتحدثون عن التآمر والتمرد في صفوف المنتخب الحالي، فندعوهم للعودة إلى ما حدث سنوات ثمانينات القرن العشرين من تآمر وتمرد على خالف وسعدان وزوبا وغيرهم، وندعوهم لتذكر رفضهم الجلوس في كرسي الاحتياط ورفضهم الالتحاق بالمنتخب للعديد من المرات لأسباب تافهة، وندعوهم لاستعادة شريط أحداث مونديال 1982 ومونديال 1986، وما حدث في نهائيات كأس أمم أفريقيا 1986 و1988 و1992، وكل الذي كان يحدث في غرف تغيير الملابس بسبب أنانية البعض التي فوّتت علينا فرص التتويج بكأس أمم أفريقيا في العديد من المرات، وفوتت علينا الذهاب بعيدا في مونديالي أسبانيا والمكسيك.

دعوة إلى الرحيل

دعا النجم الجزائري والعالمي رابح ماجر، بصريح العبارة رئيس الاتحاد محمد روراوة، إلى الرحيل، واعتبر بأنه لو يتحقق ذلك سيكون خدمة كبرى للكرة الجزائرية، وهو رد يترجم حالة التوتر السائدة بين الرجلين منذ سنوات، والصراع المحتدم بين أقطاب الكرة الجزائرية، في ظل هيمنة ذهنية صراع الأجيال وبعض النرجسية.

وقال بطل أوروبا العام 1987 "هو يقول إن صمتي سيكون أمرا جميلا، وأنا من جانبي أطالبه بالاستقالة وسيكون ابتعاده أجمل شيء، وهذا الشخص (محمد روراوة) يزعم أني حصدت نقطة يتيمة في كأس أفريقيا للأمم 2002، أتساءل كم من لقب أفريقي حصده على مدار 15 عاما من حكمه؟ كما ادّعى أيضا أني درّبت ثلاثة لقاءات فقط في أحد النوادي، هو تناسى أنه لدى إشرافي على الوكرة القطري الذي لم ينل شيئا قبل تدريبي له، كنت وراء تتويجه ببطولة قطر إضافة إلى كأسين محليتين".

ويظهر أن ماجر لم يهضم توصيف "محللي الأستوديوهات" الذي أطلقه روراوة على بعض اللاعبين القدماء، وقال "تحولنا إلى محللين بماض مجيد، نمارس مهمتنا باحترام وموضوعية في قنوات محترمة، كثيرا ما تكون محلّ انتقاد الجماهير.. للأسف احترافيتنا وملاحظاتنا البناءة تزعج رغم أننا نتطرق إلى مسائل حساسة، لذا أحيي كل المحللين النزهاء مع تعدد القنوات التي ينشطون فيها، وفي النهاية نحن في الطريق الصحيح على درب كشف القبح في كرتنا".

وتابع "هؤلاء الناس يتسلّون بالتغيير، وأعتقد أنه حان الوقت لتغيير العلبة بالكامل، لا بد من تغيير راديكالي إذا أردنا إنقاذ كرتنا، ينبغي الإقدام على إصلاح جذري، وأنا لست ضد اللاعبين الناشطين في الخارج، لكن ينبغي الالتفات إلى مواهب الداخل، مؤسف حقا أن البعض لا يحب ما هو محلي، وإذا واصلنا في هذا المسار لنقل وداعا للكرة الجزائرية، لا سيما عندما نرى ما يحدث لأندية تُركت وحيدة لمصائرها".

> روراوة وجه أصابع الاتهام إلى البعض من قدماء اللاعبين في منتخب ثمانينات القرن العشرين، واتهمهم بزرع البلبلة والفتنة في صفوف المنتخب والإدلاء بتصريحات خطيرة تهدد استقرار المنتخب

روزبرغ يسعى لأن يكون ثالث ألماني يتوج بلقب الـ«فورمولا 1»

هاميلتون يأمل في التدارك انطلاقا من مضمار أوستن الأميركي

يسعى السائق الألماني نيكو روزبرغ منذ سنوات طويلة لنيل شرف الفوز بلقب بطولة العالم لسباقات سيارات "فورمولا 1 ، الذي لم يعد يفصله عنه سوى سباقين، الأول هذا الأحد على مضمار أوستن بولاية تكساس الأميركية والثاني الأحد القادم بالمكسيك.

❑ **تكساس** – ظل نيكو روزبرغ يعمل خلال السنوات العشر الماضية من أجل هذه اللحظة، ففي السباقين المقبلين وتحديدا خلال أسبوع واحد، قد يصبح ثالث سائق الألماني يتوج بلقب بطولة العالم لسباقات سيارات "فورمولا 1، بعد مايكل شوماخر وسيباستيان فيتيل.

ويتفوق روزبرغ، المولود في فايسبادن، وهو ابن الفنلندي كيكي روزبرغ بطل العالم في 1982، بفارق 33 نقطة على البريطاني لويس هاميلتون، زميله في مرسيدس، قبل سباق جائزة أميركا الكبرى، الذي يقام الأحد في أوستن بولاية تكساس.

ومع إقامة سباق جائزة المكسيك الكبرى يوم الأحد من الأسبوع المقبل، فإن سائق مرسيدس قد يقطع شوطا كبيرا، وربما حاسما، باتجاه الفوز بلقب بطولة العالم للمرة الأولى في مسيرته داخل المضمار.

ومع ذلك تحمل أوستن ذكريات جيدة بالنسبة إلى هاميلتون، الفائز بلقب بطولة العالم في العامين الماضيين، حيث توّج بلقبه الثالث في بطولة العالم في العام الماضي من خلال سباق أميركا، كما فاز بلقب السباق ثلاث مرات خلال أربع نسخ جرت في أوستن.

وقال روزبرغ "العام الماضي هذا السباق لم يسر بشكل رائع بالنسبة إليّ، لذا أتطلع إلى تقديم أقصى ما لديّ لتحقيق الوقت الأفضل".

وفي العام الماضي، اندفع هاميلتون من جانب سيارة روزبرغ، خلال المنعطف الأول، في الوقت الذي كان فيه السائق الألماني متصدرا للسباق، مما سمح للسائق البريطاني في النهاية بالفوز بلقب السباق، الأمر الذي أثار غضب روزبرغ، ولكن هذه المرة، فإن روزبرغ (31 عاما) يمتلك مصيره بيده من أجل ارتداء قبعة الفوز في تكساس والقبعة المكسيكية التي يرتديها الفائز.

وإذا فاز روزبرغ بلقب السباقين التاليين وحل هاميلتون بعيدا عن المركز الثاني في أحد هذين السباقين، فإن اللقب سيكون من نصيب السائق الألماني، وحتى لو فاز هاميلتون بألقاب آخر أربع سباقات من الموسم، فإن روزبرغ يكفيه أن يحل في المركز الثاني في هذه السباقات لكي يتوّج رسميا باللقب.

ويتحتم على هاميلتون أن يعيد حساباته، إذا أراد الحفاظ على أيّ فرصة له في حملة الدفاع عن لقب بطولة العالم.

وقبل أسبوعين في حلبة سوزوكا تعرض هاميلتون بطل العالم ثلاث مرات لانتقادات بعد أن قضى أغلب الوقت خلال المؤتمر الصحافي الإلزامي للسباق، وهو ينشر صورا مضحكة لزملائه الجالسين حوله، مستخدما تطبيق "سناب تشات"، ثم ترك مؤتمرا صحافيا للفريق بعد الهجوم على الانتقادات "قليلة الاحترام" لتصرفاته من جانب الصحافيين.

وفي المؤتمر الصحافي لسباق أوستن ظهر هاميلتون هادئا وتعامل مع الجميع بكل احترام، وأجاب على كل الأسئلة التي وجهت إليه، وكان روزبرغ بدوره على نفس الدرجة من الهدوء، وأكد أنه لا يفكر في الفوز باللقب، وأنه يتعامل مع كل سباق على حدة.

وتوج روزبرغ بألقاب خمسة من آخر ستة سباقات، ومنذ هزيمته في سباق أميركا العام الماضي، فاز في 12 من أصل عشرين سباقا من سباقات الجائزة الكبرى.

وقال هاميلتون "لدينا أربعة سباقات متبقية، وعلينا أن نستغلها على النحو الأمثل، وهذا ما أخطط لفعله، الأمر يتعلق بالضغط في كل سباق بأقصى ما يمكن، والسعي للفوز في كل سباق ثم لنرى ما سيحدث".

وقال توتو فولف، رئيس فريق مرسيدس، إن هناك ضغوطا تقع على عاتق الفريق لضمان لقب بطولة العالم لسباقات سيارات "فورمولا 1 المنتظر حسمه من خلال المضمار، في ظل الصراع الشرس بين روزبرغ وهاميلتون.

> بعد الفوز بلقب فئة الصانعين تبقى الأولوية بالنسبة إلى مرسيدس منح سائقيها أفضل فرصة ممكنة للفوز بالسباقات الأربعة المتبقية، ليتم الحسم بين روزبرغ وهاميلتون وسط المضمار

وأضاف لموقع "فورمولا وان" "بعد الفوز بلقب فئة الصانعين (الفرق)، فإن الأولوية بالنسبة إلى مرسيدس هي منح سائقينا أفضل فرصة ممكنة للفوز بالسباقات الأربعة المتبقية".

وتابع "اللقب ينحصر بشكل كبير بينهما، وهو أمر رائع بالنسبة إلى الفريق، حيث سنشعر بالسعادة بصرف النظر عن النتيجة النهائية، ورغم ذلك فإن الضغوط تقع على عاتقنا على اعتبار أن المعركة ستحدد من خلال الصراع بين رجل ورجل، سيارة وسيارة، داخل المضمار".

وأضاف "ربما احتفلنا بالفعل بنجاحنا على مستوى الفريق بعد الفوز بلقب فئة الصانعين، لكننا نتحمل مسؤولية اتجاه السائقين، ولن نجعل أيّ شيء يصرف انتباهنا عن المهمة المكلفين بها".

وأكد فولف "لدينا أربعة سباقات متبقية علينا أن نحقق خلالها أفضل إنجاز ممكن، وهذا تحديدا ما أعتزم فعله".

وبعد الفوز بالمركزين الأول والثاني في ماليزيا عبر دانييل ريتشاردو وماكس فيرستابن، وكذلك حصول ريتشاردو على المركز الثاني في سنغافورة وفوز فيرستابن بالمركز الثاني في اليابان، فإن ريد بول يبدو المنافس الأبرز لمرسيدس هذا الموسم.

بات الحلم في المتناول

البحث عن فضيحة

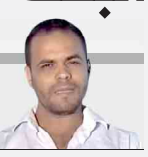

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ منذ أقل من شهر عرفت الكرة الإنكليزية فضيحة مدوية ومكتملة الأركان، فضيحة كادت تؤثر على استقرار المنتخب الإنكليزي بعد الكشف عن تورط المدرب السابق لهذا المنتخب سام ألاردايس في قضية فساد مالي عصفت به وجعلته يقدم استقالته مكرها من تدريب منتخب "الأسود الثلاثة".

السبب في ذلك تمثل في تحقيقات سرية أجرتها صحيفة "ديلي تليغراف" البريطانية أثبتت تورط ألاردايس في الحصول على أموال بطرق غير مشروعة، الأمر الذي كلفه خروجا مهينا ومخزيا من الباب الخلفي بعد إثبات تورطه في هذه الفضيحة.

كل هذه المقدمة واستعراض ما حصل للمدرب السابق للمنتخب الإنكليزي هو بالأصل حديث وتأكيد لمدى تأثير وسائل الإعلام البريطانية في بلورة المشهد الكروي في موطن كرة القدم الحديثة، وفي المحصلة يمكن القول إنه لا صوت يعلو فوق صوت الإعلام في هذا البلد.

مشهد يبدو للوهلة الأولى رائعا ومبهرا ومدهشا لمنافسات الدوري الإنكليزي الممتاز، والكل ينجذب صوب أغلب مباريات هذا الدوري نظرا لما يضمّه من نجوم سواء كانوا لاعبين أو مدربين، بل إن البعض يؤكد في كل مناسبة أن الدوري الممتاز في إنكلترا هو الأقوى والأفضل والأكثر إثارة، إذ لا يمكن البتة التكهن بمعرفة الفريق المتوّج في نهاية المطاف باللقب.

في المقابل، هناك وجه خفيّ في هذا المشهد الجميل والمثير للكرة الإنكليزية، وجه "قبيح" في أغلب الأحيان، لكن تخفيه "عمليات التجميل" التي تزيّن دائما واقع هذه الكرة، رغم كثرة كبواتها وعثراتها وزلاتها.

هذا الوجه الخفي هو في الأصل من صنع وسائل الإعلام البريطانية التي تعلّمت أغلب مدارسها منذ القدم أن "البحث عن فضيحة" هو أصل النجاح وأساس التفوق، حتى وإن كان ذلك على حساب الحياة الشخصية.

مبدأ واضح سار عليه العديد من الصحف الإنكليزية المعروفة منذ سنوات طويلة، فلم يقتصر الأمر على كبار نجوم السياسة والثقافة والفن، بل شمل بدرجة أولى وأساسية عالم الرياضة وخاصة كرة القدم الذي كان ولا يزال ميدانا ثريا وأرضا خصبة لحصد الفضائح والقضايا المثيرة.

العديد من الأحداث والكثير من الحالات كشفت هذا التعاطي الإعلامي "الفضائحي" مع أخبار نجوم اللعبة الشعبية الأولى في إنكلترا، وقد لا يكفي المجال لاستعراضها جميعا، لكن تُمكن العودة سنوات قليلة إلى الوراء للوقوف على بعض هذه الأحداث التي أدخلت "بلبلة" كبيرة وسط الكرة الإنكليزية.

ففي سنة 2010 ومباشرة بعد انتهاء مونديال جنوب أفريقيا، لم تتورع الصحافة المحلية في الكشف عن سلسلة من الفضائح الجنسية كان أبطالها عدد من نجوم المنتخب الإنكليزي مثل واين روني وجون تيري وأشلي كول وبيتر كراوش، والأكثر أن وسائل الإعلام أمعنت في كشف ملابسات تجاوزات هؤلاء اللاعبين بالصورة وأحيانا بالصوت، فالبحث عن الفضيحة يتوجّب وفق هذا القانون رصد كل تحركات النجوم وسكناتهم، وقضاء الساعات الطوال والأيام إن لزم الأمر في فرض رقابة لصيقة من أجل الظفر بسبق صحافي وخبر مثير.

وكادت وسائل الإعلام في العديد من الأحيان تتسبب في اعتزال بعض اللاعبين بعد أن خلقت لهم مشاكل لا حصر لها مع أنديتهم، بيد أن بعض العقلاء كانوا في كل مرة يؤكدون أن الحياة الشخصية لكل لاعب "متورط" هي ملك له ولا يجب ربطها دوما بمستواه فوق الميدان.

"البحث عن فضيحة" لدى بعض وسائل الإعلام البريطانية لا يقتصر على الفضائح المالية أو الجنسية فحسب، بل امتد الأمر للبحث في "إشعال فتيل" الخلاف بين عدة أطراف وخاصة المدربين، ونتذكر جميعا أنه عند قدوم المدرب البرتغالي خوزيه مورينهو لتشيلسي بدأت الصحافة الإنكليزية في ترصد كل كلماته وتصريحاته، ولم يكن يهدأ لها بال إلا عندما تساهم بطريقة أو بأخرى في وضعه في صدام مع مدربين آخرين مثل السير أليكس فيرغسون مدرب مانشستر يونايتد سابقا أو أرسين فينغر مدرب أرسنال الحالي.

كان الهدف الأول والأساسي غالبا هو الإبقاء على جذوة نار الخلاف متقدة، ومهما طال الزمان، فإن وسائل الإعلام الإنكليزية كانت دائما تحرص على النفخ في بقايا أيّ رماد يخلّفه تصريح من هذا الطرف أو ذاك، وبات تأثير وسائل الإعلام أحيانا أقوى من تأثير النتائج الرياضية، فالصحف تنجح غالبا في تحديد مصير فريق أو مدرّب أو لاعب.

ولعل ما حصل مع روني منذ فترة يؤكد هذا التوجه، فروني تعرض لحملة صحافية "شعواء" بسبب تدني مستواه، الأمر الذي دفع بالمدرب المؤقت للمنتخب الإنكليزي إلى التخلي عن خدماته في المباراة الأخيرة ضمن تصفيات كأس العالم. واليوم بدت وكأنها أشرس المدافعين عن اللاعب الفرنسي بول بوغبا بعد تحسن مستواه مع مانشستر يونايتد، فمنذ أيام قليلة كان "رأس النجم السابق لليوفي الإيطالي "تحت المقصلة الإعلامية"، لكن بقدرة قادر غيّرت وسائل الإعلام موقفها كليا وبات بوغبا أحد أهم ركائز الفريق.

صحيح أن هذا التعامل الإعلامي مع عالم كروي مثير ومتقلب تحكمه النجومية أحيانا والأموال في أحيان أخرى، ليس صناعة إنكليزية منفردة، وأغلب وسائل الإعلام في شتى أصقاع الأرض تتعامل به، إلا أن ما يجعل تأثير وسائل الإعلام البريطانية أكثر قوة وتأثيرا هو أنها لا تبحث دوما عن الحلول وأساليب العلاج لتخطي كل المشاكل والفضائح، بل إن خبرتها لعقود طويلة للغاية في التعاطي "الشعبوي والفضائحي" مع كل الأحداث جعلها تتميز عن بقية المدارس في العالم، وبوّأها مكانة متقدمة منحتها القدرة على التحكم في مصير الكرة الإنكليزية.

مارشيلو ليبي مدربا للمنتخب الصيني

❑ **بكين** – قال الاتحاد الصيني لكرة القدم عبر موقعه الرسمي على الإنترنت السبت، إنه عيّن الإيطالي مارشيلو ليبي الفائز بكأس العالم مدربا جديدا لمنتخب الصين.

وكان ليبي (68 عاما) فاز بكأس العالم في 2006 مع منتخب إيطاليا، كما أمضى ثلاثة أعوام ناجحة على رأس الجهاز الفني لنادي قوانغتشو إيفرغراند الصيني، فاز معه خلالها بلقب الدوري الصيني ثلاث مرات وبدوري أبطال آسيا في 2013.

ويتولى ليبي تدريب منتخب الصين خلفا لسلفه جاو هونجبو الذي استقال في وقت سابق من الشهر الجاري بعد هزيمة فريقه 2/ صفر أمام أوزبكستان، والتي شكلت ضربة جديدة لآمال الدولة العملاقة للتأهل لنهائيات كأس العالم 2018 التي ستقام في روسيا.

وكان من المتوقع أن يعود ليبي إلى تدريب قوانغتشو، لكن بطل الصين أفسح المجال أمام المدرب الإيطالي لتولي مهمة المنتخب عندما أعلن السبت، موافقته على إلغاء التعاقد بين الطرفين والذي وقع في بداية سبتمبر الماضي.

وسيكون ليبي ثالث مدرب يتولى تدريب المنتخب الصيني خلال العام الحالي بعد الصيني جاو هونجبو والفرنسي آلان بيران الذي أقيل من منصبه في يناير الماضي.

وستكون أول مباراة للمدرب الجديد في مواجهة قطر في تصفيات كأس العالم في 15 نوفمبر المقبل.

وجراء الهزيمة أمام أوزبكستان تراجع المنتخب الصيني إلى المركز السادس والأخير، بين فرق المجموعة الآسيوية الأولى بعد أن حقق تعادلا وحيدا ومني بثلاث خسائر في أول أربع جولات من التصفيات التي تستمر على مدار عشر جولات.

ويتأهل فريقا المركزين الأول والثاني في مجموعتي آسيا مباشرة للنهائيات العالمية التي ستقام في روسيا، في حين يخوض فريقا المركز الثالث جولة فاصلة بينهما، وبعدها يخوض الفائز منهما جولة فاصلة أخرى أمام فريق من منطقة أخرى.

وسيُقدّم المدرب الجديد للجمهور ووسائل الأعلام في مؤتمر صحافي يعقد في بكين الجمعة المقبل.

مغامرة جديدة

نيللي كريم تصعد «لأعلى سعر» في رمضان

❑ **القاهرة** – تستعد الفنانة المصرية نيللي كريم لتصوير مسلسلها الجديد "لأعلى سعر" الذي سيدخل في موسم رمضان الدرامي المقبل.

ويتناول المسلسل الاجتماعي الذي كتبه مدحت العدل ويخرجه ماندو العدل قصة حب رومانسية، ستنقل الفنانة المصرية من الأدوار ذات البعد النفسي التي اشتهرت بتجسيدها في السنوات الأخيرة إلى الأدوار العاطفية.

ويتوقع أن يمثل "لأعلى سعر" عودة قوية لنيللي كريم للتربع على عرش الدراما النسائية خاصة، في إطار الدراما العاطفية بعد أدوارها المركبة والمعقدة نفسيا التي ارتبطت بها مؤخرا.

ويبدو أن تجربة نيللي كريم في آخر مسلسل لها "سقوط حر" الذي عرض في رمضان الماضي بتجسيدها دور مريضة نفسية، ومستوى النجاح المتدني الذي واجهه المسلسل جعلها تبحث عن قالب درامي آخر لأعمالها، إذ لم يحظ سيناريو "سقوط حر" بجماهيرية أعمالها السابقة كـ"بنت اسمها ذات" و"سجن النساء" و"تحت السيطرة".

وفي سياق متصل سيعرض لكريم ضمن المسابقة الرسمية لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي الذي سينعقد في نوفمبر القادم، فيلمها الجديد "يوم للستات".

ويتناول الفيلم الذي أخرجته كاملة أبو ذكري خبر افتتاح حمّام سباحة جديد يخصص يوم الأحد للسيدات فقط، وهو ما يؤدي إلى جمع العديد من السيدات المنحدرات من خلفيات اجتماعية مختلفة، حيث يتبادلن مشاكلهن وآمالهن، ومع الوقت يصير هذا اليوم المخصص للسيدات مصدر فضول للرجال.

فلسطينية تطوّع الحديد بأنامل ناعمة

"ذكورية" مهنة الحدادة وخطورتها، وخشونة الأيادي التي تتعامل مع قضبان الحديد الثقيلة، لم تقف عائقا أمام الفلسطينية رنيم صفدي، لتصبح "معلمة"، في مجال الحدادة في قريتها عوريف الفلسطينية.

❑ **نابلس (فلسطين)** – على صوت لحام القضبان الحديدية، والشرر المتطاير من حولها، تقف الفلسطينية رنيم صفدي (30 عاما)، تحمل آلة قصّ الحديد، التي تخشى منها بنات جنسها، وتبدأ بقص لوحٍ حديدي كبير.

"منذ أربع سنوات وأنا أعمل داخل هذه الورشة الملاصقة لبيتي"، تقول رنيم في حين كان صغيرها ذو الثلاث سنوات يلهو عند باب الورشة، قبل أن يأتي ليحتضنها ويحظى بقبلة منها.

تلحم رنيم، ذات العينين الخضراوين والأيادي الناعمة التي اتسخت بسواد الحديد، القضبان الحديدية وتشكلها بأناملها، لتخرج في النهاية من ورشتها نافذة أو باب.

واضطرت ظروف الحياة الصعبة رنيم لاقتحام مهنة ذكورية بالأساس، حيث تقول "الحياة أجبرتني على اقتحام هذا المكان، فقد مرض زوجي ووصل إلى مرحلة لم يكن يقوى خلالها على العمل".

وتضيف "وضعنا المادي لم يسمح لنا بأن نستعين بعامل، يساعد زوجي بورشة الحدادة خلال مرضه، فكنت أقف معه، أساعده وأعطيه ما يحتاجه من الحديد أو الأدوات، ومع الوقت حفظت أسماء أنواع الحديد، وكل شيء يتعلق بالحدادة، وبدأت بالعمل بيدي".

ولا يقتصر عمل رنيم داخل الورشة، فبائعو الحديد بقرية عوريف (جنوب مدينة نابلس شمال الضفة الغربية) يعرفونها جيدا، فهي مرافقة لزوجها في جولاته على الباعة لشراء الحديد، وتقول في هذا الخصوص "بعض التجار يمازحون زوجي ويقولون له لا تحضر زوجتك معك المرة القادمة، فهي تأخذ السعر الذي تريده، في إشارة إلى قدرتي على مفاصلتهم جيدا".

ويقول أمجد عوريفي، زوج رنيم، الذي يعتمد عليها في كل تفاصيل العمل "ظروف مرضي والوضع المادي الصعب، هما من فرضا على زوجتي مساعدتي بالعمل".

أما بخصوص موقف الناس من عمل زوجته، يقول "رضا الناس غاية لا تدرك، ومن الطبيعي أن تساعد المرأة زوجها، زوجتي تحب عملها أكثر من أيّ عمل آخر قد يراه الناس مناسبا للنساء".

وتشارك رنيم زوجها في تركيب النوافذ والأبواب التي فصّلتها وطلتها، كما يشاركها أطفالها في هذا العمل، حيث تشير إلى أن أطفالها الثلاثة يرافقونها هي وزوجها خلال عملية التركيب في المنازل.

أما عن الحذر وخطورة العمل الذي تقوم به، تقول رنيم "عملي يتطلب حذرا، تواجهني أحيانا بعض الحوادث البسيطة، لكني حذرة وأعمل بدقة، لقد أصبح هذا العمل عاديًا بالنسبة إليّ".

وفيما يتعلق بنظرة المجتمع لها ولطبيعة عملها توضح "في البداية كان الأمر غريبا للناس، خاصة أني أعيش في قرية لها عادات وتقاليد معينة، والناس ليسوا معتادين على رؤية فتاة في ورشة حدادة، لكن عندما اضطررت للعمل، ولم يكن هناك من يساعدنا، لم أتردد لحظة، وأنا الآن أحب عملي، ولا أستطيع أن يمرّ يوم دون أن أعمل بالورشة".

ولا يتوقف إتقان رنيم للمهن الخشنة عند حدود الحدادة فقط، فهي أيضا قادرة على إصلاح السيارات، وتمكنت في أكثر من مرة من إصلاح الماكينات المستخدمة في البناء كخلاطات الإسمنت، حين ساعدت زوجها قبل فترة في تشييد منزلهما، لتتحول من ميكانيكية إلى مختصة في عالم البناء.

أنوثة بين شرر الحديد

أسعار المأكولات منقوشة على شاهد قبر بتركيا

❑ **إزمير (تركيا)** – لفت شاهد قبر امرأة في إحدى مقابر مدينة إزمير غربي تركيا، انتباه الباحثين، بسبب فرادة العبارات المنقوشة عليه، والتي تقدم لمحة عن طبيعة الحياة في الزمن الذي عاشت فيه صاحبة القبر جميلة هانم قبل 138 عاما، وكيفية موتها وأسرار أخرى.

وقال إرتان داش، عضو هيئة التدريس في قسم تاريخ الفن بكلية الآداب بجامعة إيجه، إن شاهد قبر إحدى السيدات لفت نظره خلال قيامه ببحث شواهد القبور في مقبرة ملحقة بمسجد "علي آغا" في منطقة كوناك بإزمير التركية.

وأوضح أن القبر يعود لجميلة هانم ابنة أحد حفاظ القرآن الكريم، وتوفيت وهي في الثلاثين من عمرها، قبل 138 عاما.

وتشرح الجمل المقفاة المكتوبة على شاهد القبر بالأحرف العثمانية، بعضا من ملامح العصر الذي عاشت فيه السيدة، حيث تقول إن الطماطم واللحم كانا يباعان بالأوقية، وكان سعر أوقية اللحم يساوي سعر 6 أوقيات طماطم.

ويكشف شاهد القبر أيضا عن جانب من حياة جميلة هانم، حيث يشير إلى أنها قضت السنوات الأخيرة من عمرها معتمدة في طعامها على البامية، ووفقا لداش "يشير هذا إلى كون جميلة من أبناء الطبقة الفقيرة، لأنّ البامية كانت تزرع في حدائق البيوت في ذلك الزمن، ما يعني أنها لم تكن تكلّف شيئا تقريبا".

كما يكشف شاهد القبر على أن جميلة لم تكن سعيدة في حياتها الزوجية، حيث يوضح داش، أن الجمل المكتوبة على الشاهد تتحدث عن أنها عانت كثيرا من زوجها "عديم الرحمة"، الذي أذاقها الأمرّين رغم أنها أنجبت له 4 أبناء.

ويبين الشاهد أيضا كيفية وفاة جميلة هانم، حيث تتحدث الجمل المقفاة عن وفاتها بعد معاناتها من تورم في إصبع قدمها الكبير، ويقول داش إن الأطباء يعتقدون أن هذا يعني وفاتها بالطاعون. ويشرح أنه كان من المعتاد في الزمن الذي عاشت فيه جميلة هانم أن تكتب شواهد القبور وفقا لوصية المتوفّى أو وفقا لرغبة عائلته، حتى أن البعض كان يعد شاهد قبره قبل وفاته.

ويعتقد داش أن جميلة هانم لم تعدّ شاهد قبرها بنفسها قبل وفاتها، كما يستبعد أن يكون زوجها هو من قام بإعداده بسبب حديث الجمل المكتوبة على شاهد القبر عن كونه "عديم الرحمة"، ويرجح داش أن يكون والد أو والدة جميلة هانم أو أحد أقربائها هو من قام بإعداد الشاهد.

صباح العرب

حكيم مرزوقي

مدينة بلا مجانين مدينة بلا أسئلة

❑ "مجنون" لمحته في عاصمة عربية، يقف مع قطيع السيارات عند الإشارة الحمراء، اقتربت منه وحاولت الاستماع إلى ما يقوله، فوجدته ينادي بحياة "القائد الرمز"، حاكم البلاد.. عندها أدركت أن لا أمل لدينا حتى في الجنون، وأنّ عبقرية رجال "القائد الرمز"، قد استطاعت أن تطوّع حتى العقل الباطن وتروّضه.

مدينة بلا مجانين هي مدينة بلا أسئلة، بلا تنوّع، بلا متنفس وبلا ذاكرة، هي ليست مدينة، بل قرية لنمل بشري لا يحركه عقل ولا حتى غريزة.

لا نخفي عادة إعجابنا بهذه الفئة التي تقول ما نشتهي قوله في سرنا، وتفعل ما لا نتجرأ على فعله ونحن عراة أمام المرآة وخلف باب محكم الإغلاق.

غالبا ما يثير المجانين ضحك الآخرين ويكونون مادة للتفكه على اعتبار أن الضحك هو ردة فعل بشري إزاء منطق غير مستأنس، فالحيوانات –بما فيها الأبقار والتماسيح– لا تضحك ولا تبكي، ولا تسأل عن عقولها.

صنّف الناس عبر التاريخ هذه الفئة في خانة السلوكيات الشاذة، وسمح لهم دون غيرهم بشيء من التطاول وسلاطة اللسان، حتى حسدهم بعض الحكماء والشعراء فتخفوا في زيّ البهاليل والمهرّجين وأصحاب الكرامات، والذين غالبا ما ينطقون بالكلام الملغز أو حتى الشتيمة التي لا يعاقبون عليها.

من المجانين وأنصافهم من حظي بمجالسة أهل السلطان (ربما لأنهم لا يطلبون شيئا) وتذكّرهم التاريخ أكثر من مستضيفيهم، ذلك أنهم يقفون على التخوم بين الحكمة والجنون، كمهرجي شكسبير، وخدم موليير وشخصيات تشيخوف، مرورا ببهلول هارون الرشيد، ووصولا إلى العصور التي استحدثت فيها "ورشات تصليح آدمية" اسمها "المصحات العقلية".

تخيلوا سجنا دون جرم، دون محاكمة، دون مدة عقوبة واضحة، دون عفو خاص أو عام، ودون زوار! يا لفظاعة العقل الإنساني حين يستبد بعقل آخر لمجرد أنه يختلف عنه، ويجبره على التداوي كي يعود إلى حظيرة "الصواب".

إنها السلطة في أقصى حالات عهرها، هي الوحيدة التي تملك الحجج والبراهين على أحقية الذئب في أكل الحمل، وزج الطبيب المعالج في قسم "المرضى"، كما في رائعة تشيخوف "عنبر رقم 6".

متى يصبح "المجنون" الذي التقيته في عاصمة عربية كمجنون الإغريق الذي جلس في زاوية تحت شمس الصباح في مقدونيا، وقف الإسكندر الأكبر أمامه مانعا عنه أشعة الشمس فدار بينهما الحوار التالي:

■ المجنون: أغرب عن وجهي أيها الرجل ودعني أستمتع بدفء الشمس.

● الإسكندر: ويحك أيها المجنون، أنا لست مجرد رجل.. أنا الإسكندر الأعظم.

■ المجنون: وماذا فعلت حتى تلقب بالأعظم؟

● الإسكندر: غزوت نصف بلاد العالم.

■ المجنون: وماذا أيضا؟

● الإسكندر: وسأغزو النصف الآخر وأصبح سيد هذا العالم.

■ المجنون: وماذا بعد؟

● الإسكندر: لا شيء.. سوف أعود إلى موطني هنا وأستمتع بشمس الصباح الدافئة.

■ المجنون: أغرب عن وجهي إذن أيها الرجل، ودعني أستمتع بدفء شمس الصباح، دون أن أضطر لغزو العالم.

برنس يعود بعد وفاته بألبومين جديدين

❑ **واشنطن** – سيحصل عشاق المغني الراحل برنس على موسيقى جديدة له، حيث يتضمن ألبومان جديدان تسجيلات جديدة للفنان لم تنشر ولم تذع من قبل.

وقالت شركتا "وورنر بروس ريكوردز" و"إن بي جي ريكوردز" الجمعة، إن ألبوم "برنس فور إيفر" (برنس إلى الأبد) سيكون متاحا للجمهور الأميركي يوم 22 نوفمبر القادم، وسيضم أغنية "مون بيم ليفيلز"والتي سجلها برنس أساسا في 1982.

والألبوم هو الأول الذي يصدر منذ وفاة برنس المفاجئة في أبريل الماضي عن عمر 57 عاما في بايسلي بارك بولاية مينيسوتا.

وفي أوائل 2017 ستطرح نسخة جديدة منقحة ومعالجة من تسجيل "بيربل رين" لعام 1984 والتي تم الاتفاق عليها مع برنس قبل وفاته، وتضم أغان قديمة وجديدة، ولم تكشف تفاصيل أخرى حول هذا الألبوم.